الدكتور بديع محمد جمعة

من قضايا الشعر الفارسي الحديث

في النصف الأول من القرن العشرين

الطبعة الأولى
١٩٨٠

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت ص.ب ٧٤٩

من قضايا الشعر الفارسي الحديث
« في النصف الأول من القرن العشرين »

الدكتور بديع محمد جمعة

من قضايا الشعر الفارسي الحديث

في النصف الأول من القرن العشرين

الطبعة الأولى

١٩٨٠

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت ص. ب ٧٤٩

الإهداء

إلى زوجتي ورفيقة دربي

إلى من تتحمل عنّي كل عبء

أعتز بإهداء هذا الكتاب ...!

بديع جمعة

المقدمة

ظل الأدب الفارسي عبر عصوره المختلفة – قبل العصر الحديث – مرتبطاً بالبلاط والحكام ، حيث كان كل أديب – كاتباً كان أم شاعراً – حريصاً على التقرب إلى حاكم زمانه أملاً في هباته وعطاياه ، أو رغبة في منصب يتيح لصاحبه المكانة والجاه ، كما كان الملوك متلهفين على استقطاب أكبر عدد من الكتاب والشعراء والمفكرين ، والإغداق عليهم بالأموال والهبات والعطايا ليكونوا أبواق دعاية لهم ، فكلنا يعرف المجهود الكبير الذي بذله السلطان محمود الغزنوي في جمع أكبر عدد من أدباء وفلاسفة ومفكري عصره للعيش تحت كنفه ، والتأليف والنظم باسمه ، ومنهم الشاعر الفردوسي ، والفيلسوف ابن سينا ، والمؤرخ الكبير البيروني والرياضي أبو نصر بن العراق ، وغيرهم كثيرون ، ثم تبعه في ذلك بنوه وأحفاده من حكام الدولة الغزنوية في إيران والهند .

ولم يكن هذا الأمر قاصراً على البلاط الغزنوي ، بل ظل الحال كذلك لدى السلاجقة فقد كان عمر الخيام يعمل في بلاط ملكشاه السلجوقي ، وإن لم ينظم شعراً يمدح فيه أحداً ، كما كان الكاتب الكبير نظام الملك مؤلف كتاب « سياست نامه » ، قد تولى منصب الوزير الأول لدى السلاجقة طوال ثلاثين عاماً .

وعلى الرغم من كراهية المغول – في بداية زحفهم – للأدباء والمثقفين وتخوفهم منهم ، وقتلهم الكثيرين من أهل الفكر والأدب ؛ فإنهم بعد أن استقروا وتحضّروا بدأوا في تقريب هؤلاء الكتاب والشعراء ، وخير دليل على ذلك إسنادهم منصب الوزارة إلى المؤرخ الكبير رشيد الدين فضل الله .

وهكذا كان الأدب الفارسي خلال هذه العصور وما تلتها من عصور تولت الحكم فيها دول عديدة أهمها الدولة الصفوية والدولة الأفشارية والدولة الزندية والدولة القاجارية أدب بلاط ، ولهذا كانت موضوعات الأدب وثيقة الصلة بحياة الملوك ورجال الحاشية ذلك إذا تجاوزنا الحديث عن الأدب الصوفي ، فكان الشعراء مولعين بالنظم في مدح هؤلاء الملوك ووصف بطولاتهم ومجالس شرابهم ، وهجاء أعدائهم ... إلى غير ذلك من الموضوعات التي تعلي شأن هؤلاء الملوك وترفع من مكانتهم وتحقق للشعراء الجاه والمال .

ثم جاء العصر الحديث بتغييراته الشاملة في نظم الحكم وتحرير الفرد وإسقاط نظرية حق التفويض الإلهي ، وأصبح الحاكم مجرد مواطن يتقلد منصباً ومكلفاً بعمل من قبل أمته ، يثاب عليه إذا أصاب ، ويحاسب إذا أخطأ ؛ كما لم يعد من حق الحاكم أن يوظف لديه عدداً من الشعراء والكتاب لا تكون لهم مهمة غير مدحه وتبرير أخطائه ، وتضليل الشعب أملاً في حفاظ ذلك الملك أو السلطان على كرسي العرش .

كما أدرك الكتاب والشعراء والمفكرون أن مهمتهم في العصر الحديث تختلف عن ذلك الدور الذي لعبه أقرانهم في العصور السابقة ، فواجبهم أصبح الوقوف بجانب شعوبهم ، والتحدث عن القضايا التي تهم الوطن بجميع طوائفه وطبقاته ، سواء أكانت هذه القضايا سياسية أو اجتماعية أو أدبية ...

ولكن لما كانت دائرة الأدب الحديث من السعة بحيث لا يمكن الإحاطة بها كلها ، والتحدث عن كل الأنماط الأدبية من شعر ومقالة وصحافة ومسرح وقصة وغير ذلك من الأنماط العديدة التي أثرت الأدب الحديث وجعلته يبدو في صورة غير تلك الصورة التي اتسم بها الأدب الفارسي طوال قرون عديدة سالفة ، فإننا لن نستطيع الإلمام بكل هذه الأنماط ؛بل سنكتفي بالحديث —وبصورة مقتضبة — عن بعض القضايا التي اهتم بمعالجتها الشعراء الإيرانيون خلال النصف الأول من القرن العشرين ، لأن هذه الفترة كانت حافلة بالعديد من القضايا ، وبكثير من التغييرات التي طرأت على الأدب الفارسي التقليدي في عصوره السابقة ، وهذه الفترة ، مع ربطها أحياناً بالسنوات القليلة السابقة عليها ، تستحق في حد ذاتها أن تكون موضوع دراسة مستقلة ، بل إن كل قضية من القضايا التي سنتحدث عنها ، تصلح بمفردها لتكون موضوع كتاب بأكمله ، بل موضوعاً لعدد من الكتب والمجلدات كي يوفيها الباحثون حقها من الدراسة والتمحيص .

وأرجو أن تسنح الظروف للكتابة بعد ذلك عن النثر الفارسي خلال نفس الفترة من القرن العشرين ، وبعد ذلك نتناول في كتاب ثالث الأدب الفارسي ؛ شعره ونثره خلال النصف الثاني من القرن العشرين ، لنركز على دراسة بعض قضايا الأدب الفارسي في صورته المعاصرة .

والله الموفق .

بديع جمعة

التمهيد

الحياتان السياسية والاجتماعية في ايران خلال العصر الحديث

الإنتاج الأدبي كائن حي يتأثر بالظروف البيئية المحيطة به ، ويؤثر فيها ، سواء أكانت هذه الظروف سياسية أو اجتماعية بكل ما تحمله كلمة اجتماع من معانٍ عديدة . لذا يجب علينا – قبل أن نتناول بعض قضايا الأدب الإيراني الحديث بالدراسة والمناقشة – أن نلقي نظرة سريعة إلى ما كان يكتنف الحياة الإيرانية من ظروف وملابسات أثرت أيما تأثير في الأنماط الأدبية ، والموضوعات والقضايا التي تناولها الكتاب والشعراء ، كما أن الأدب قد تفاعل مع هذه الظروف ، وتناولها بالنقد والتحليل والتعليق ، لذا يجمل بنا أن نلقي نظرة سريعة إلى أهم معالم الحياتين السياسية والاجتماعية ، حتى يمكننا أن نتفهم قضايا الأدب الإيراني الحديث ، وندرك بعض العوامل التي وجهته حتى وصل إلى الصورة التي وجدناه عليها خلال النصف الأول من القرن العشرين .

* * *

الحياة السياسية :

على الرغم من أن موضوع الكتاب دراسة بعض قضايا الأدب الفارسي خلال النصف الأول من القرن العشرين ، فإنه يمكن القول بأن العصر

الحديث في إيران قد بدأ منذ قيام الدولة القاجارية (١٧٩٦م) حيث بدأت إيران تنفتح على العالم أكثر من ذي قبل . كما بدأت تيارات الفكر المعاصر تصل إلى مشام الإيرانيين ، فإذا بهم يتفاعلون بها وينادون بضرورة التغيير في شكل المجتمع الذي يعيشون فيه ، ويطالبون بالقضاء على المفاسد الاجتماعية التي تفشت في إيران وبخاصة في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي مما أشعر الإيراني بأنه غريب في وطنه ، حيث باع الحكام البلاد إمـــا بالتواطؤ أو بالتخاذل ،فقد فقدت إيران أجزاء كبيرة من أراضيها إبان حكم ناصر الدين شاه القاجاري (١٨٤٧ — ١٨٩٦م)[١] ، حيث استولت روسيا على أجزاء كبيرة من خراسان وتركستان وما وراء النهر ، وكذلك أجزاء أخرى من آذربيجان وأرمينيا ، إلى جانب انفصال أفغانستان في أواخر حكم الدولة الصفوية . ونتيجة لهذا الفساد السياسي انتشرت موجة من الاغتيالات السياسية ، فقد اغتيل ناصر الدين شاه عام ١٨٩٦ ، وذلك في احتفال ديني عام أقيم في ضريح الشاه عبد العظيم الواقع جنوبي طهران ، وقد ألقي القبض على القاتل — ويدعى آقاخان كرماني — وزج به في السجن ، وقبل أن ينفذ فيه حكم الإعدام ، سجل خواطره بدمه على جدران الزنزانة ؛ فكتب :

بايران مباد آنچنان روز بـد　　　كه كشور به بيگانگان اوفتـــد
نخواهم زمانى كه اين نو عروس　　　بيفتد بزير جوانـــان روس
بگيتى مبـــاد اين حور ديـــس　　　شود همسر لردى از انگليس

---

١ ــ احمد كسروى تبريزي : تاريخ مشروطه ايران ــ جاب دهم ــ طهران ١٢٥٣ ش ، ص : ١٨ .

وترجمتها :

ــ فليجنب الله إيران مثل ذلك اليوم الشؤم الذي وقعت فيه تحت وطأة الأجانب !

ــ ولا أتمنى أن يأتي ذلك الزمن الذي تكون فيه هذه العروس موطئاً لشباب الروس !

ــ ولتجنب يا إلهي هذه الشبيهة بالحور ، أن تكون قرينة للــورد إنجليزي !

ولعلنا نلاحظ أن القاتل قد برر فعلته بأن ناصر الدين شاه قد أوقع بلاده تحت وطأة كل من روسيا وانجلترا ، وقد كان التنافس بين هاتين الدولتين العظميين على بسط النفوذ على أكبر رقعة من الأرض الإيرانية سبباً في سوء التفاهم فيما بينهما ، وفي حدوث مشاكل كثيرة لإيران والإيرانيين ، ولكي يوقف الروس والإنجليز هذا التطاحن ، وقّعوا فيما بينهم اتفاقية قسموا بمقتضاها إيران إلى مناطق نفوذ ،حيث أصبحت المناطق الشمالية تحت سيطرة الروس ، في حين سيطرت انجلترا على المناطق الجنوبية من إيران ، وظلت بين المنطقتين منطقة ثالثة صغيرة محايدة ، حتى لا تتعدى قوات أي دولة منهما على منطقة نفوذ الدولة الأخرى . وقد وُقّعت هذه الاتفاقية في عام ١٩٠٧م .

ونتيجة لهذه المفاسد السياسية وتسلط حكام إيران ، فقد ثار الشعب ــ وبخاصة المثقفين والكادحين ــ وطالبوا بوجود دستور ينظم علاقة الحاكم بالمحكومين ، وعلاقة المحكومين بعضهم بالبعض الآخر ، وعرفت هذه الثورة باسم « الثورة الدستورية » ، أي الثورة المطالبة بدستور وحياة نيابية ، يشارك الشعب الشاه والحكومة في تسيير دفة الأمور في البلاد ،

وقد ساعد على اشتعال أوار هذه الثورة سفر بعض الإيرانيين إلى البلاد الأوربية ومشاهدتهم كيف تمضي الحياة السياسية في هذه البلاد ، وكيف يعيش الأوروبيون في ظل نظم ودساتير تكفل للجميع الحرية والمشاركة في صنع القرار ، ومن العوامل التي ساعدت كذلك ذيوع مبادىء الحرية والإخاء والمساواة التي أوجدتها الثورة الفرنسية في أوربا كلها وانتقال هذه الأفكار إلى بعض بلاد الشرق ومنها إيران ، وكذلك الدور الرائد الذي لعبه جمال الدين الأسد آبادي (الأفغاني) في تأليب الإيرانيين ضد جلاديهم من الملوك وأعوانهم ، إلى جانب شعور الإيرانيين بالظلم الاجتماعي والتقسيم الطبقي المجحف وإحساسهم بأن خيرات بلادهم قد أصبحت نهباً لكل أجنبي .

وأخيراً رضخ الشاه مظفر الدين القاجاري (١٨٩٦ – ١٩٠٧م) لإرادة الجماهير ، وأصدر الدستور في الخامس من أغسطس عام ١٩٠٦[1] ، وعلى أثر ذلك قامت أول حياة نيابية في إيران .

ولكن لم يمض أكثر من عام ونصف على قيام الحركة النيابية حتى تجرأ محمد علي شاه (١٩٠٧ – ١٩٠٩م) – بمساندة من الروس والإنجليز – على ضرب البرلمان بالمدافع ، وقد تولى هذه المهمة حرسه الخاص المعروف باسم فرقة القوزاق ، والتي كان يرأسها ضابط روسي ، ويشارك فيها بعض الجنود والضباط من الروس ، وبعد ذلك نفى جمعاً من النواب ، وأوقف بعض الصحف ، وتوقفت الحياة النيابية[2] .

---

١ – تاريخ مشروطه ايران ، ص : ٥٨ .

٢ – دكتور مهدي ملكزاده : تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد دوم . طهران ١٣٢٩ ش ، ص : ٢١٣ .

ولكن الشعب الإيراني لم يقف مكتوف الأيدي أمام هذا الظلم البين ، وهذا التطاول على أول منبر يعبّر — ولو بصورة محدودة — عن إرادة الجماهير وتطلعاتهم ، فقامت ثورات عديدة ضد هذا الشاه مطالبة بعودة الحياة النيابية ، وكان الشاه يقمع هذه الثورات بمساعدة قوات روسية ، ولكن الثورة الشعبية لم تتوقف حتى تم خلع هذا الشاه عن الحكم في عام ١٩٠٩م ، وإسناد الحكم إلى ابنه الصغير أحمد شاه (١٩٠٩ — ١٩٢٥م) ، وعين عليرضا خان عضد الدولة وصياً عليه[1] ، حتى بلغ سن الرشد في عام ١٩١٤ .

وتوالت الأحداث السياسية والاضطراب يسود إيران ، حتى اندلعت نار الحرب العالمية الأولى . فسارعت إيران بإعلان حيادها ، وعلى الرغم من ذلك أصبحت طهران — وكل إيران — مرتعاً للمؤامرات التي يقوم بها الدبلوماسيون الروس والإنجليز ، وكذلك قوات الدولتين المنتشرة في أجزاء كبيرة من الأراضي الإيرانية بمقتضى الاتفاقية الموقعة فيما بينهما عام ١٩٠٧ ، كما شارك في هذه المؤامرات دبلوماسيو ألمانيا وأعوانها رغبة في الوصول إلى إيران ، وأملاً في ضرب كل من روسيا وانجلترا ، وقد كان الشعور الإيراني العام متعاطفاً مع ألمانيا أملاً في الخلاص من النفوذين الروسي والإنجليزي ، ونتيجة لهذا الاضطراب فقد سيطر العثمانيون على منطقة آذربيجان ، كما مدت انجلترا سيطرتها على بعض مناطق إيران في كل من خراسان وما وراء النهر ، وذلك خارج المناطق التي استولت عليها روسيا من قبل .

وبعد سنوات من الاضطراب والدمار انتهت الحرب العالمية الأولى ، وكانت إيران تأمل أن ينتهي معها النفوذ الروسي والإنجليزي ، ولكن

---

١ — سر برسی سایکس : تاریخ ایران ص ٥٨٧ — ٥٩٥ .

حدث في مؤتمر باريس عام ١٩١٩ والذي عقده الحلفاء للتفاوض بشأن تنظيم العالم بعد إنتهاء الحرب ، أن تمكنت انجلترا من أن تفرض على إيران قبول معاهدة تعطي الحق للإنجليز في الإشراف على معظم مناحي الحياة الإيرانية وبخاصة الأمور العسكرية والمالية ، وكأن إيران قد أصبحت تحت الانتداب البريطاني ، أو تحت الوصاية البريطانية[1] ، وقد ثار أحرار إيران ضد هذه الاتفاقية ، واتهموا أحمد شاه القاجاري بالخيانة والتواطؤ مع الإنجليز ، كما غضبت روسيا أشد الغضب لتوقيع مثل هذه المعاهدة التي تعمل على إخراجها من الساحة الإيرانية ، ولكن قيام الثورة الروسية جعل روسيا تغير من نظرتها إلى إيران ، فأعلنت تنازلها عن اتفاقية عام ١٩٠٧ التي وقعتها مع انجلترا لتقسيم إيران إلى مناطق نفوذ فيما بينهما ، وبذلك خرجت روسيا من إيران تاركة الفرصة لإنجلترا ، لكي تنفرد بالتحكم في كل الأراضي الإيرانية ، والعمل على نهب خيراتها ؛ كما تخلى الضباط الروس عن رئاسة فرقة القوزاق الإيرانية .

ظلت حالة الاضطراب هذه سائدة في إيران إلى أن ظهر قائد حربي ، أخذ يعمل لنفسه أولاً ولإيران ثانياً ووجد الفرصة مهيأة لكي ينقض على كرسي الحكم ، وهذا القائد هو رضا خان « البهلوي » ، الذي التحق وهو شاب بالجيش وعمل بفرقة القوزاق الروسية الإشراف ، والتي كانت بمثابة حرس خاص للشاه الإيراني ، وظل يترقى هذا الضابط الشاب حتى تمكن في النهاية من أن يكون أول قائد لهذه الفرقة بعد أن تنحى عن ذلك الضباط الروس ، ولا شك أن هذا التطور أعجب الإيرانيين في حينه ، فبدأت العيون تتطلع إليه ، وبدأ رضا يعمل على زيادة نفوذه

---

١ ـ دكتر نصرت الله حكيم الهي : عصر بهلوي وتحولات ايران ، طهران ١٢٤٦ ش ، ص : ٣٠ .

داخل دولة عدمت الشخصية القوية التي تستطيع الإمساك بأزمة الأمور بيد قوية .

وأول عمل قام به القائد رضا خان أن تقدم بقواته من قزوين إلى طهران ، وأقصى الحكومة الموجودة آنذاك[1] ، وأسند الأمر إلى صديقه سيد ضياء الدين طباطبائي ، وان احتفظ رضا لنفسه بمنصب وزير الحربية وقائد الجيش ، وكان ذلك عام ١٩٢١م .

ولكن لم يكن رضا بالشخص الذي يقنع بمنصب وزير ، فقد كان يعمل بعد ذلك لتوطيد سلطته ، حتى جاء عام ١٩٢٣ ، وأقصى سيد طباطبائي عن رئاسة الوزارة ، وتولى المنصب بنفسه إلى جانب احتفاظه بمنصب وزير الحربية وقيادة الجيش .

ولم تتوقف أطماع رضا عند هذا الحد ، بل أخذ يتطلع إلى منصب الشاه نفسه ، ولكنه شعر بأن وجود أحمد شاه القاجاري عقبة في هذا الطريق ، فرتب له زيارة مفتوحة إلى أوربا ، وكان يخطط بذلك لسفر بلا عودة حتى يتخلص من آخر حكام الدولة القاجارية ، فيخلو له الجو بعد ذلك ويتولى بنفسه عرش إيران .

وفي عام ١٩٢٤ أعلن النظام الجمهوري في تركية ، فتأثر كثير من المفكرين الإيرانيين بما حدث في تركيا ، ونادوا بأن تتحول إيران كذلك إلى النظام الجمهوري ، كما نادى البعض بأن يكون رضا خان أول رئيس للجمهورية ، ولكن رضا اعترض على هذه الفكرة فيما بعد ، مدعياً أن النظام الجمهوري لا يتفق والمذهب الشيعي الذي تدين به إيران والذي يؤمن بالإمامة والإرث فيها ، ولكن الحقيقة تتمثل في أن رضا خان لم يكن

---

١ ـ المرجع السابق ، ص : ٨

يقبل أن يحكم فترة محدودة - كما يقضي بذلك النظام الجمهوري - ثم يترك الحكم لغيره ، بل كان يطمع في الحكم طوال عمره ، وأن يرثه أولاده من بعده . وقد تصدى بعض الشعراء والمفكرين لدحض فكرة الجمهورية لا كراهية في النظام الجمهوري ، بل تخوفاً من انقضاض رضا خان على المنصب ، وما يتبع ذلك من تسلط الطبقةالعسكريةعلى مقاليد الأمور ،وكانوا يرون أن الإصلاح الحقيقي في الإبقاء على النظام الملكي مع قيام المجالس النيابية بالدور الطليعي في تسيير دفة الأمور كما هو متبع في انجلترا حيث يملك الملك ولا يحكم ، وقد تعرض رضا لهؤلاء بالإرهاب والتنكيل والاعتقال سواء أيام أن كان رئيساً للوزارة أو بعد توليه عرش إيران .

وأخيراً نجح رضا خان في الإيعاز إلى عدد من أعضاء مجلس النواب للمطالبة بتنصيب رضا ملكاً على إيران ، وقد تم ذلك في أواخر عام ١٩٢٥ ، بعد أن أعلن المجلس عزل أحمد شاه الموجود في أوربا منذ عامين ،ثم تمّ تتويج رضا شاه في ابريل (نيسان) عام ١٩٢٦ ، وهكذا نجح رضا فيما خطط له ،ووصل إلى كرسي العرش مكوناً دولة جديدةهي الدولة البهلوية ، ومنهياً عهد دولة أخرى هي الدولة القاجارية التي حكمت إيران فيما بين عامي ١٧٩٦ - ١٩٢٥م . وقد حرص رضا على أن يطلق على دولته اسماً فارسياً قديماً وهو « پهلوي »، ولعله يقصد بذلك العودة بإيران إلى وجهها البهلوي قبل أن يدخلها الإسلام على أيدي القوات الإسلامية العربية .

حاول رضا شاه أن يحد من الامتيازات الأجنبية وبخاصة تلك التي حصلت عليها إنجلترا وروسيا خلال حكم الدولة القاجارية ، فأوقف العمل بهذه الامتيازات ، كما حاول أن يعيد الهيبة إلى الحكومة المركزية فقضى على كثير من الثائرين الذين تجرءوا على هيبة الدولة ، وقد ساعده

في ذلك جيشه الذي كان يدين له بالولاء ، والذي أغدق عليه بسخاء ، وأعطاه الكثير من المميزات، وأمدّه بالجديد من السلاح ليكون أداته في تثبيت حكمه وسنده ضد أي ثائر أو شعور بالقبلية والانفصال ، كما أرسل بعض الضباط في بعثات تعليمية إلى أوربا[1] .

ومن أعماله التي تحمد له إنشاء أول جامعة وطنية وهي جامعة طهران ، وقد وضع حجر الأساس لها عام ١٩٣٤م وأرسل طلابها في بعثات علمية إلى مختلف الدول الأوربية ، كما شجع على نشر التعليم العام في معظم البلدان الإيرانية ، وحث الفتيات على ارتياد معاهد التعليم ، وأن ينلن من ثمار هذا الحقل كما ينال الفتيان ، ولم يكتف بهذا الحد في موقفه من المرأة الإيرانية ، بل أصدر قراره برفع الحجاب في عام ١٩٣٥ .

وحاول رضا شاه خلق قاعدة صناعية في إيران ، فقد أنشأ مصانع لغزل ونسج الصوف والقطن والحرير ، كما أنشأ بعض المصانع الحربية ، ولكي تعتمد إيران على أبنائها في تسيير دفة أمورها المالية ، أنشأ البنك الوطني الإيراني ، وفتح فروعاً عديدة لهذا البنك في جميع أرجاء إيران إلى غير ذلك من الاصلاحات التي قام رضا شاه بتنفيذها ، ولكن على الرغم من هذه الاصلاحات فقد وقع في عدة أخطاء أذكر منها على سبيل المثال :

كانت إيران منذ القدم تقدس الزراعة وتجعلها الحرفة الأولى التي يزاولها رجالها وفتيانها ، ولكن رضا شاه لم يول الزراعة أي اهتمام ، وإنما صرف كل جهده في تشجيع الصناعة ، ومحاولة إنشاء مصانع جديدة ، وإزاء هـذا الاهتمام بالصناعة ، هجـر بعض المزارعين

---

١ ـ سعيد نفيسي : تاريخ شهرياري شاهنشاه رضا بهلوي ـ طهران ١٢٤٤ ش ، ص ٧ وما بعدها .

أراضيهم ، فأُهملت الحقول وتخلفت الزراعة، مما جعل إيران تعاني حتى اليوم من هذه المحاولة ، وتلك اللامبالاة بالزراعة والزرّاع ؛ ومما زاد الأمر صعوبة على الفلاحين أن رضا شاه كان حريصاً على أن يوسع رقعة ممتلكاته الخاصة وذلك بمصادرة بعض الأراضي الزراعية ، وأخذها من أصحابها تحت ستار من الأباطيل والحجج الواهية ، بل إنه ضم إلى ممتلكاته بعض الغابات الإيرانية .

ومن عيوبه كذلك أنه كان حاكماً مطاقاً ، فلم يساعد في تمرس الإيرانيين على الحكم الديمقراطي ، بل فرض هيمنته على المجلس النيابي الذي لم يكن يجرؤ أعضاؤه على مناقشة الشاه ، وإبداء الرأي حول ما يحيط بالبلاد من مشاكل وصعوبات ، وإذا تجرأ عليه مفكر أو كاتب أو شاعر ، كان القتل أو الاعتقال أو النفي جزاء هذا المنتقد ، فقد اغتال الشاعر عشقي ، واعتقل الشاعر فرخي اليزدي الذي مات بعد ذلك وهو في سجنه[1] ، كما اعتقل ونكل بالعديدين غيرهما .

وهذه الأخطاء اعترف بها ابنه محمد رضا شاه، فعندما أراد أن يقيّم دور والده ، لم يستطع تجاهل ما ارتكبه من أخطاء ،وذلك في كتابه: (مأموريت براى وطنم)[2] .

وإذا تركنا الحكم على رضا شاه للتاريخ ، ورجعنا إلى سير الأحداث بعد ذلك ، فإننا نلاحظ أن رضا شاه قد استعان في كثير من المشاريع الجديدة التي أقدم على تنفيذها ، بالخبراء الألمان ، كما حظيت ألمانيا

---

١ ــ حسين مكي : مقدمة ديوان فرخي اليزدي ، طهران ١٣٤١ ش .

٢ ــ محمد رضا بهلوي : مامووريت براي وطنم ، طهران ١٣٥٠ ش ، ص : ٥٣ .

في عهده بالمرتبة الأولى في مجال التجارة الخارجية الإيرانية وبخاصة في عام ١٩٣٩ ، كما وجد في طهران مندوبون يمثلون معظم البيوت المالية والصناعية الألمانية ، إلى جانب استعانة جامعة طهران بعدد من الأساتذة الألمان ... كل هذا أثار بلا شك حفيظة كل من انجلترا وروسيا ضد رضا شاه،وعلى الرغم من أن إيران أعلنت حيادها بمجرد اندلاع نار الحرب العالمية الثانية ، فقد قامت كل من انجلترا وروسيا بتوجيه إنذار شديد اللهجة إلى رضا شاه لكي يطرد الخبراء والأساتذة الألمان من إيران ، ولكن رضا تباطأ في تنفيذ الإنذار ، مما أتاح الفرصة لانجلترا وروسيا باتهام إيران بنقض حيادها ، وسرعان ما هاجمت القوات الروسية والإنجليزية إيران في السادس والعشرين من أغسطس عام ١٩٤١ ، وانتهت هذه الحملة التي استهدفت كل الأراضي الإيرانية ومن كل الجوانب، بإغراق الأسطول الإيراني كله ، وسفك دماء الكثيرين من الجنود الإيرانيين ، ولم يستطع الجيش الإيراني الصمود أكثر من ثلاثة أيام ، وبعد ذلك أجبر رضا شاه على التنازل عن العرش لابنه « محمد »[1] ، ووافق مجلس النواب الإيراني على تنحيته في السادس عشر من سبتمبر عام ١٩٤١م. وقد نُفي رضا بعد ذلك إلى جزيرة مدغشقر ، ثم نقل بعد فترة إلى جوهانسبرغ بجنوب أفريقية،وظل هناك حتى قضى نحبه عام ١٩٤٤م .

وبعد انتولى محمد العرش امتثلت إيران لكل ما فرضه عليها الحلفاء، فقامت بطرد الخبراء والأساتذة الألمان ، وقطعت التجارة الخارجية مع ألمانيا ، كما أصبحت الأراضي الإيرانية معبراً لقوات الحلفاء وعتادهم المرسل إلى روسيا لمساعدتها على مقاومة الحصار الألماني . وهكذا أرغمت

---

١ ـ نصرت الله حكيم : عصر بهلوي ، ص : ٤٦ وما بعدها

إيران على أن تكون شريكة ــ على الرغم منها ــ في الحرب العالمية الثانية .

وقد ظلت إيران لعدة سنوات خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها مرتعاً لقوات الحلفاء وتسلطهم ومطمعاً للأجانب ، مما جر عليها الكثير من المشاكل التي تعاني منها حتى يومنا هذا .

وبسقوط رضا شاه نكتفي بالحديث عن الأحداث السياسية التي اكتنفت معظم سني النصف الأول من القرن العشرين ، مؤثرين التحدث عن فترة حكم محمد رضا شاه ، عندما نتناول بالدراسة أهم قضايا الأدب الفارسي المعاصر إبان النصف الثاني من القرن العشرين ، وذلك في كتاب مقبل إن شاء الله .

* * *

الحياة الاجتماعية :

لا يمكن أن تكون الحياة السياسية في تدهور وانحطاط وتكون الحياة الاجتماعية في ازدهار وتقدم ، فكلاهما وثيقا الصلة ، وعلى هذا فيمكننا بعد أن استعرضنا الحياة السياسية وأدركنا ما سادها من اضطراب وفساد ، أن نستنتج ما ساد الحياة الاجتماعية من تخلف وتدهور ، وهذا ما حدث ، فقد كان سوء تصرف ملوك الدولة القاجارية وما يعيشون فيه من بذخ قد دفعهم إلى كثرة القروض التي عقدتها إيران مع كل من إنجلترا وروسيا ، وما تبع هذه القروض من امتيازات أجنبية جعلت إيران ككرة يتقاذفها الروس والإنجليز فيما بينهم ، كما أن الحكام لم يسايروا النهضة الصناعية التي بدأت تسود أوربا كلها ، مما جعل الصناعة الإيرانية تواجه كساداً لا في الخارج فحسب ، بل في الداخل أيضاً ، حتى أن صناعة السجاد الإيراني الذائعة الصيت في العالم كله قد بدأت تواجه بعض الكساد لمنافسة

صناعة السجاد الميكانيكي الأوربي لهامن حيث رخص الثمن وجودة الألوان ، حتى أصبح النساجون الايرانيون يتباكون على حالهم ويقولون :

هركه را كارش بسافندگى   مُردنش بهتر بوَد از زندگى

وترجمته :

كل من كانت حرفته النسيج ، كان موته أفضل من حياته !

ومن عوامل تدهور الحياة الاجتماعية خلال هذه الفترة التي نتعرض لدراسة أدبها ، ذلك الإجحاف الذي فان يحيط بالطبقات الدنيا ، وكأن المجتمع مقسم إلى طبقات كمجتمعات العصور القديمة والوسطى دون إعلان ذلك صراحة ، مما أشعر هؤلاء الكادحين المطحونين بأنهم يعيشون غرباء في ديارهم ، فقد تمتع بخيرات إيران كل من الشاه والأمراء ورجال الاقطاع وكبار القواد والوزراء ، أما الفلاحون والحرفيون ، فكانوا غاية في البؤس والمسغبة ، وكثيراً ما صور الأدباء والشعراء حال هؤلاء مطالبين أولي الأمر بمد يد العون إلى هؤلاء الكادحين الذين يقع على كاهلهم العبء الأكبر في القيام بكل ما تحتاجه إيران من صناعة وزراعة ودفاع كذلك .

ومن عوامل تدهور المجتمع الإيراني وبخاصة في الربع الأول من القرن العشرين تفشي الجهل بين جميع أبناء الوطن إلا القلة التي سمحت ظروفهم الاجتماعية بالتعليم داخل إيران أو خارجها ، ونتيجة لهذا الجهل فقد سادت الخرافات وسيطرت على عقول الكثيرين ، ووجد المشعوذون الفرصة سانحة للتضليل والكسب على حساب الشعب ، وبخاصة من لم يجد منهم الفرصة للتعلم وكشف خداع هؤلاء المشعوذين الذين حاول

بعضهم أن يتخذ من الدين ستاراً يخفي وراءه تدليسه ، وهذا الأمر كان متفشياً في كل بلدان الشرق لا في إيران وحدها .

ومن الأمراض الاجتماعية التي تفشت في ذلك الوقت كذلك مرض الرشوة ، وبخاصة بين من تتعلق بوظائفهم مصالح المواطنين ، وأهم طبقة هاجمها الشعراء لحرصهم على تقاضي الرشوة طبقة القضاة الذين يفترض فيهم النزاهة ، فإذا ببعضهم – ولا أقول جميعهم – يتاجر بالأحكام ويصدرها لمن يدفع أكثر ، ولمن يقدم رشوة يستحق بها أن يشتري القاضي وأحكامه !

ومن سمات الحياة الاجتماعية في تلك الفترة التخلف الكبير الذي كانت تعيش فيه المرأة الإيرانية ، فقد كانت محرومة حتى من حق التعليم ، وكانت لا تسير إلا محجبة ، وهذه الحياة المتخلفة دفعت بعض الرائدات للمطالبة بحق المرأة في التعليم وحقها في رفع الحجاب وقد وُفِّقت المرأة بعد طول جهاد في أن تحصل على حقوقها المسلوبة فصدر عام ١٩٣٥ قانون يقضي برفع الحجاب ، وأخيراً أعطيت المرأة حق التصويت وعضوية المجامع والمجالس البلدية ، كما شاركت في الحياة النيابية .

* * *

هكذا شاركت الحياة الاجتماعية الحياة السياسية الاضطراب والتدهور خاصة وأن أكابر إيران كانوا قليلي الاكتراث بالشئون الاجتماعية في مجتمعهم وقد كتب الشاعر فرخي اليزدي مقالاً صحفياً يعلق فيه على حالة الضياع الاجتماعي التي كانت تعيشها إيران ، فقال :

« ... كل مملكة لها مثل هذا الوضع ، مملكة تسير في طريق الفناء والمحو ، تندفع نحو طريق الضياع والزوال والانحطاط ،

إن هـــذا الوضع الـــذي نعيشه ؛ يستحق أن يسمى حالـــة الضياع . حقاً لقد اتخذت مملكتنا صورة الضياع هذه، ولم يعد أي شيء في البلاد يتسم بصفة الثبات والصلاح .

حقاً أليس وضع مملكتنا ضياعاً في ضياع ! ؟

إن كنا نرى السلطنة في ضياع ، والمجلس في ضياع ، والحكومة في ضياع فكيف ننتظر أن تكون أمور الشعب مصانة ، وأن تكون الدولة مهابة في الداخل والخارج ؟ وإن كان القائم على الأوضاع الداخلية جاهلاً بها ولا يصلح لها ، وجب أن يكون أول واجب على الشعب ألا يعتبر السلطنة شيئاً مقدساً .

وإذا كان الاهتمام بالذهب والنساء يفوق الاهتمام بمصالح الشعب ، فمن حقنا ألا نؤمل خيراً في أولي الأمر ... » .

الباب الأول

من القضايا السياسية

الفصل الأول

التصدي للنفوذ الأجنبي في إيران

الفصل الأول

التصدي للنفوذ الأجنبي في إيران

الموقف من اتفاقية (١٩٠٧ م) المعقودة بين روسيا وانجلترا لتقسيم ايران :

كانت إيران – كما ذكرنا – في المقدمة التاريخية في بداية القرن العشرين نهباً للصراع الدائر بين قوى الاستعمار العالمي وبخاصة بين روسيا وإنجلترا ، وقد كان هذا الصراع فيما بينهما مسبباً للكثير من المشاكل لكل من الطرفين المتنازعين ،ناهيك عن المشاكل التي يسببها هذا الصراع لإيران والإيرانيين ، وقد خشيت كل من الدولتين الاستعماريتين النفوذ المتصاعد لألمانيا في ذلك الوقت ، فسارعتا بالاتفاق فيما بينهما على تقسيم الأراضي الإيرانية إلى مناطق نفوذ ، حيث تتمتع روسيا بالنفوذ المطلق في المناطق الشمالية ، في حين تُطلق يد إنجلترا في الأجزاء الجنوبية من إيران ، وتظل المنطقة الوسطى منطقة حياد بين منطقتي النفوذ .

وقد عقدت هذه الاتفاقية دون أن يؤخذ رأي الإيرانيين أو مليكهم في ذلك الوقت وهو محمد عليشاه القاجاري ، ولكن سرعان ما تسربت أنباء هذه الاتفاقية إلى إيران عن طريق صحيفة « الحبل المتين » التي كانت تصدر بالفارسية في كلكتا ،وترسل نسخها بصورة سرية ومهربة إلى

إيران ، نتيجة للحظ الذي كان يفرضه النظام الإيراني على أمثال هذه الصحف التي لم يجد أصحابها الفرصة لإصدارها في إيران نتيجة للقهر والمصادرة ، فآثروا الهروب وإصدارها في خارج الأراضي الإيرانية .

عندما وصلت أخبارها إلى إيران ثارت ثائرة أحرارها ومثقفيهـا وطالبوا الشاه برفضها ولكنه لم يحرك ساكناً خوفاً من هاتين القوتين الأعظمين ، ولأنه كان يستمد وجوده على عرش إيران من مساندتهما له ، لذا لم يكن أمام هؤلاء الأحرار إلا شجب الاتفاقية في المقالات الصحفية والقصائد ، ومما قيل في هذه القضية الوطنية الكبرى ؛ تلك الرسالة الشعرية التي وجهها الشاعر بهار إلى السير ادوارد جراى وزير خارجية بريطانيا الذي خطط لعقد هذه الاتفاقية ووقعها باسم إنجلترا :

« بيام بوزير خارجية انكلستان »

سوى لندن گذر اى پاك نسيم سحرى
سخنى از من بر گو به سر ادوارد گرى

ور بدى راى تو داير بحيات ايران
اين همه ناله نمى‌ماند يدين بى اثرى

اندر آن عهد كه با روس ببستى زين پيش
غبن ها بود ونديدى تو ز كوته نظرى

نه همين زير پى روس شود ايران پست
بلكه افغانى ويران شود وكاشغـرى

ور همى گوئى روس از سر پيمان نرود
رو بتاريخ نگر تا كه عجايب نگرى

در بر نفع سياسى نكند پيمان كار
اين نه من گويم كاين هست ز طبع بشرى

سپه روس ز تبریز کنون تا به سرخس
بیش از بیست هزارند چو نیکو شمری

نام نیکو بِهْ ازین چیست که گویند بدهر
هند وایران شد ویران ز سر ادوارد گری(۱)

وترجمتها :

« رسالة الى وزير خارجية انجلترا »

ـ لتمض يا نسيم الأسحار الطاهر إلى لندن ، وأبلغ السير إدوارد جراي رسالة مني :

ـ إذا كان سوء تدبيرك سيحيق بإيران ، فلن تمضي هذه الأنات وتلك الآهات دون أثر .

---

١ ـ ديوان بهار ، ج ١ ، ص ٢١٣ ـ ٢١٥ . ومحمد تقي بهار (١٨٨٧ ـ ١٩٥٢ م) اخر من تلقب في ايران بملك الشعراء ، ولد بمشهد المدينة الايرانية المقدسة وحاضرة محافظة خراسان الحالية،وكان والده شاعر الاعتاب المقدسة وورث بهار المنصب عنه ، ولكن ما ان تغيرت الاحوال الاجتماعية والسياسية حتى هجر هذا المنصبوانضم الى الاحرار المطالبينبالدستور وطرد المستعمرين من ايران ، واخذ يهتم بتثقيف نفسه وتحصيل المزيد من العلوم والمعارف ، ومما كان يحرص عليه مطالعة الكتب والمجلات المصرية التي كانت ـ على حد قوله ـ تصل بانتظام الى ايران وبوفرة ، ونتيجة لشعره الثوري واصداره الصحف المليئة بالحديث عن الحرية والتصدي للطغاة في الداخل او الخارج، فقد اعتقل عدة مرات وبخاصة في عهد رضا شاه . وقد تقلد عدة مناصب منها عضوية مجلس النواب والتدريس بالجامعة ووزارة التربية والتعليم ، وخلف لنا عددا كبيرا من الكتب،الى جوار ديوانه الكبير الذي يقع في مجلدين ضخمين ، والصحف العديدة التي أصدرها ، واهم هذه الكتب : سبك شناس، تاريخ مختصر احزاب سياسي ـ احوال فردوسي ـ احوال محمد بن جرير الطبري ـ رسالة في احوال ماني ... (انظر مقدمة الديوان الجزء الاول . تذكرة شعراء معاصر لخلخالي ، لغت نامه ، فرهنك ادبيات دري ، كنج سخن (ذبيح الله صفا) ، تاريخ مطبوعات ... وغيرها .

— إن هذه الاتفاقية التي عقدتها من قبل مع الروس ، قد غصت بالغبن والإجحاف ، ولكنك لم تدرك ذلك لأنك قصير النظر !

— لن تكون إيران وحدها تحت قبضة الروس ، بل سرعان ما يلحق الدمار بكل من بلاد الأفغان وكاشغر .

— وإن تقل بأن الروس لن ينقضوا الاتفاقية ، فاذهب ، وتصفح التاريخ كي ترى العبر !

— فلا احترام للمعاهدات أمام أي مكسب سياسي ، إنني لا أقول هذا من تلقاء نفسي ، بل إن هذه هي طبائع البشر .

— لقد انتشرت جحافل الروس ما بين تبريز وسرخس ، وتدفق أكثر من عشرين ألف جندي ، إن كنت تحسنُ العدَّ !

— فأي سيرة عطرة أفضل من القول على مدى الدهر ، أن الهند وإيران أصابهما الخراب على يد السير إدوارد جراي !!

* * *

ومن الذين سخروا من هذه الاتفاقية كذلك الشاعر إيرج ميرزا ، وذلك بأسلوب تهكمي ضد الشاه الإيراني وبطانته الذين التزموا الصمت ، ولم يحاولوا الاعتراض على الاتفاقية أو مجرد شجبها ، على الرغم من أن ايرج نفسه أحد أفراد البيت الحاكم ، ومما قاله :

گويند كه انگليس با روس عهدي كردست تازه امسال
كاندر پلتيك هم در ايران زين بس نكنند هيچ اهمال
افسوس كه كافيان اين ملك بنشسته وفارغند ازين حال

كز صلح ميان گربه وموش   بر باد رود دكان بقال[1]

وترجمتها :

ـ يقولون لقد عقد الإنجليز والروس معاهدة جديدة بينهما هذا العام.

ـ وأن مصلحتهما السياسية تقضي بألا يغضا الطرف بعد ذلك عن إيران .

ـ مع كل هذا ، ويا للحسرة ، فقد جلس رجال القصر في هـذه المملكة وكأن الأمر لا يعنيهم !

ـ ألم يدركوا بأن الصلح بين القط والفأر سرعان ما يُذهب بدكان البقال ؟

---

١ ـ ديوان ايرج ميرزا ، ص : ١٩٢ ، وايرج أحد أبناء الاسرة القاجارية الحاكمة في ذلك الوقت ، فجده لابيه فتحعليشاه القاجاري ، والى جانب أصله هذا ، فقد كان والده وجده وجد والده شعراء ، مما جعله يتأثر بهم وينظـم الشعر كذلـك ، واذا بـه يتفـوق عليهم جميعـا • وقـد أتاحت لـه ظروفه الاجتماعيـة فـرصة تعـلم اللغـات الاجنبيـة وبخاصـة الفرنسيـة التـي كـان يجيدهـا ، وذلـك الـى جـانب العلـوم التقليديـة التـي كانت سائدة في عصره (١٨٧٤ ـ ١٩٢٦ م) • وقد تقلد ايرج بعض المناصب المالية في الدولة سواء في تبريز أو خراسان ولكنه آثر الاعتزال فـي نهاية حياته،وانتقل للعيش في طهران،وكان بيته كصالون أدبي يجتمع اليه عدد من كبار الادباء والشعراء في ذلك الوقت،ولكونه قاجاري الاصل فانه لم يقف موقفا حادا من حكامها ، بل كان ينتقدهم بصورة رفيقة ، كما كان في خصومة مع من ينتقدهم بشدة ، وهذا ما أفسد العلاقة بينه وبين الشاعر عارف القزويني الذي كان يكيل التهم في كل محفل للاسرة القاجارية ، فرد عليه ايرج بمنظومه « عارفنامه » وصب فيها جـام غضبه بأسلوب ساخر وفاضح ، مما جعلها من أشهر المنظومات الفارسية في العصر الحديث • والى جانب هذه المنظومة، نظم منظومة أخرى أكثر شهرة منها وهي منظومة « زهرة ومنوجهر » وهي تأليف فارسى لمنظومة شكسبير « فينوس وأدونيس»، كما خلف ديوانا شعريا ما زال يحظى باهتمام الدارسين ومحبي الشعر ، حيث يعتبر شعره من أرق الاشعار التي قيلت في القرن العشرين كله • انظر الديوان ومقدمته القيمة التي كتبها الدكتور محمد جعفر محجوب • وغيره من الكتب التي تهتم بدراسة الادب الحديث •

وتحسر الشاعر الوطني الكبير « فرخي اليزدي » على ضياع إيران ، وما أصابها نتيجة لضعف ملوكها ، فبعد أن كانت مقراً لامبراطوريات عظيمة ، ويتولى أمرها ملوك بواسل ، أصبحت اليوم نهباً لكل طامع ، ومرتعاً لجحافل الجيوش البريطانية والروسية ، فقال :

این همان ایران که منزلگاه کیکاوس بود
خوابگاه داریوش ومأمن سیروس بود
جاي زال ورستم وگودرز وگیو وطوس بود
نی چنین پامال جور انگلیس وروس بود
این همه از بی حسی ما بود کافسرده‌ایم
مردگان زنده بلکه زندگان مرده ایم[1]

---

١ ـ ديوان فرخي اليزدي ، ص ١٤٦ · وهذه الاسماء التي وردت بالنص ، اسماء الملوك وابطال وجدوا في ايران خلال العصور القديمة ،سواء أكانوا أبطالا أسطوريين أو أبطالا تاريخيين ، وعلى أيديهم ، كما يقول الايرانيون في كتب تاريخهم ، بلغت دولة ايران غاية مجدها وعظيم اتساعها حيث سيطرت على العالم كله وامتد ملكهم ما بين الهند وبلاد اليونان·أما عن الشاعر فرخي : فهو شاعر الوطنية الاول في ايران الحديثة ، وقد واصل هجومه على حكام الدولة القاجارية لدرجة أن حاكم يزد قد اعتقله وخاط فمه حتى لا يواصل هذا الهجوم، ولكنه لم يكف عن مواصلة كفاحه الوطني، وحدث خلاف شديد بينه وبين رضا شاه بعد سقوط الدولة القاجارية ، فهاجم رضا كذلك ، وترك البلاد وسافر فترة الى برلين كي يواصل كفاحه الوطني ضد رضا شاه بعيدا عن الاعتقال والتشريد ، واخيرا أقنعه البعض بالعودة الى ايران بعد أن أمنوه على حياته ، وأن رضا لن يتعرض له بالسجن أو الاعتقال ، فخدع وعاد الى ايران حيث زج به في السجن الى أن قضى نحبه داخله وذلك عام ١٩٤١ · ومن الملاحظ أن كثيرا من كتب الادب كانت تضرب صفحا عن ذكر فرخي حتى لا تتعرض للمصادرة في عهد محمد رضا بهلوي · ولكن أشعاره الآن تعد ذخيرة للثوار والاحرار في ايران · وترجمة ديوانه الى العربية تحت الطبع وستصدر عن مكتبة الانجلو المصرية قريبا وذلك باهتمام الزميل الدكتور أحمد الخولي ·

وترجمتها :

— أهذه إيران التي كانت منزلاً لكيكاوس ، ومرتعاً لداريوش ومأمناً لسيروس ؟

— وكانت موطناً لزال ورستم وجودرز وجيووطوس ، وليست تلك التي أصبحت موطئاً لجور كل من الإنجليز والروس .

— كل هذا راجع إلى فقداننا الشعور والإحساس ، وهكذا ظل أمواتنا أحياء ، وصرنا نحن الأحياء في عداد الأموات !

ويعتقد فرخي بأن الجهل الذي ترزح تحت نيره إيران في ذلك الوقت ، هو الذي شجع الدول الاستعمارية على الحكم في مصيرها ، دون أن يحرك الشاه ساكناً ، وظناً من الدول الاستعمارية أن جهل الناس في إيران لن يسمح لهم بإدراك المخاطر التي ستتولد عن هذه المعاهدة ، وبالتالي لن يثوروا ضد الاتفاقية وضد أطرافها والمتواطئين معهم ، كما أن الفُرقة والانقسام بين أبناء الشعب قد أصابا الوطن بالضعف والهوان ، فتجرأ عليه أعداؤه والطامعين فيه ، لذا يدعو فرخي إلى ضرورة الاهتمام بالتعليم والوحدة لوطنية حفاظاً على الوطن والمواطنين :

شد ز دستِ پارتی این مملکت بی بوی ورنگ
پارتی زد شیشهٔ ناموس ایران را بسنگ
پارتی آورد نامِ نیا ایران را بننگ
پارتی بنمود مارا بندهٔ اهل فرنگ
این همه بی همت نبود جز از اهل نفاق
چارهٔ این درد بیچاره است علم واتفاق (1)

---

1 — ديوان فرخي ، ص : ١٤٧ .

وترجمتها :

– بفعل الفُرقة والانقسام عدمت تلك المملكة كل لون ورائحة. فقد حطم هذا الانقسام وتلك الفرقة زجاج الكيان الإيراني بحجر

– إن هذه الفرقة وذلك الانقسام قد ألحقا العار باسم إيران ، كما أحالنا الانقسام والفرقة عبيداً للفرنجة .

– إن هذا التخاذل لا يتأتى إلا من المنافقين ، ولا علاج لهذا الداء العضال إلا بالتعليم والاتفاق !

ومن الأشعار المعبرة التي قيلت في هذه المناسبة ، تلك القطعة التي نظمها « أشرف الجيلاني » ونشرها في العدد التاسع من مجلة « نسيم الشمال » وذلك في الثاني من يناير عام ١٩٠٨ ، ومما قاله هذه الأبيات التي يصور فيها إيران بميت حمله أهله لكي يضعوه في قبره ، وقد ساروا خلف النعش نائحين مولولين :

– گرديد وطن غرقهٔ اندوه ومحن واى ايواى وطن واى
خيزيد، رويد از پى تابوت وكفن واى ايواى وطن واى

– از خون جوانان كه شده كشته در ين راه رنگين طبق ماه
خونين شده صحرا وتل ودشت ود من واى ايواى وطن واى

– كو همت وكو غيرت وكو جوش فتوت كو جنبش ملت
دردا كه رسيد از دو طرف سيل فتن واى ايواى وطن واى

– افسوس كه اسلام شده از همه جانب با مال اجانب
مشروطهٔ ايران شده تاريخ زمن واى ايواى وطن واى

ـ ٥ تنها همين گشت وطن ضايع وبد نام　گمنام شد اسلام
پژمرده شد اين باغ وگل وسرو وسمن‌واى　ايواى وطن واى[1]

★ ★ ★

وترجمتها :

ـ لقد أصبح الوطن غريق الأحزان والمحن، فواحسرتاه على الوطن، واحسرتاه !

هبوا ، وسيروا وراء النعش والكفن ، فواحسرتاه على الوطن واحسرتاه !

ـ من دماء الشبان الذين قتلوا في هذا المضمار ، خضبت صفحة القمر .

كما اتشحت بلون الدماء كل من الصحراء والهضاب والفيافي، فواحسرتاه على الوطن ، واحسرتاه !

ـ أين الهمة ؟ وأين الحمية؟ وأين ثورة الفتية؟ بل أين الإحساس بالوطنية ؟

وامصيبتاه ، إن السيول تتدفق من كلا الجانبين ، فواحسرتاه على الوطن ، واحسرتاه !

ـ واغماه! إن الإسلام أصبح موطئاً لأقدام الأجانب من كل جانب.

---

١ ـ نقلا عن از صبا تانيما (يحيى آرين بور) ج ٢ ، ص ٧٢ ، ٧٣ .
وسيد اشرف ولد عام ١٢٨٧ في مدينة قزوين ، وعاش فترة في مشهد ، وفترة أخرى في كربلاء والنجف ، وأخيرا استقر به المطاف في مدينة رشت حيث أصدر جريدة « نسيم الشمال » وكانت تضم في معظمها أشعارا فكاهية وانتقادية ، وكان سيد أشرف يسطر مجلته من أول حرف فيها الى آخر حرف ، ولا ينشر فيها أشعارا لغيره ، ويعد سيد أشرف من أحب الشعراء الوطنيين الذين عاشوا خلال الثورة الدستورية ، وكان مدافعا بكل معنى الكلمة عن الطبقات الكادحة ، انظر از صبا تانيما ، ج ٢ ، هي : ٦١ ـ ٧٧

كما أصبحت الحركة الدستورية في إيران مجرد ذكرى وتاريخ ، فواحسرتاه على الوطن ، واحسرتاه !

٥ ـ وهكذا لم يضيع الوطن وحده وأصيب بسوء السمعة ، بل لقد ضاع الإسلام كذلك !

لقد ذبلت هذه الحديقة بما فيها من ورود وأشجار سرو وياسمين ، فواحسرتاه على الوطن ، واحسرتاه !



قضية المستر شوستر :

ومن القضايا التي تمثلت فيها شراسة النفوذ الروسي والبريطاني في إيران ، وعدم سماحهما لأي وجود أجنبي آخر بالنفاذ إلى إيران ، قضية الخبير الأمريكي شوستر الذي تعاقدت معه الحكومة الإيرانية للإشراف على الشئون المالية ، ولكن هذا الإجراء لم يرق لكل من إنجلترا وروسيا خوفاً من أن تدخل أمريكا طرفاً في السيطرة على موارد إيران ، ويكون لرعاياها من النفوذ ما يهدد نفوذ الجاليتين الروسية والإنجليزية ، لذا سارعت روسيا بتقديم إنذار شديد اللهجة إلى الحكومة الإيرانية وذلك في نوفمبر عام ١٩١١ ، وطالبت فيه بطرد شوستر من إيران ، وصحب هذا الإنذار تهديد بالغزو ، حيث تقدمت القوات الروسية حتى حدود قزوين ، وذلك لكي تعطي إنذارهـا الجدية المطلوبة ، فتمتثل إيران وتقبل الانذار . ومع هذا فقد اجتمع البرلمان الإيراني ورفض هذا الإنذار . ولكن على الرغم من موقف البرلمان فقـد قبلت الحكومة الإنذار ، وطلبت من شوستر الرحيل عن إيران .

وقد أغضب موقف الحكومة هذا أحرار إيران ومثقفيها ، حيث اعتبروا قبول الحكومة للإنذار على الرغم من رفض البرلمان ، إذعاناً

للقوى الاستعمارية ، وتشجيعاً لها على التمادي والتدخل في كل صغيرة أو كبيرة من أمور الحياة الإيرانية ، ولذا يندد الشاعر « عارف القزويني » بهذا الموقف المتخاذل للحكومة، ويدعو شباب الأمة للتصدي لهذا القرار، وعدم تنفيذ الإنذار وطرد شوستر :

ننگ آن خانه که مهمان ز سر خوان برود
جان نثارش کن ومگذار که مهمان برود
گر رود شوستر از ایران رود ایران بر باد
ای جوانان مگذارید که ایران برود
ننگ تاریخی عالم شود افسانهٔ ما
بگذاریم اگر شوستر از ایران برود[1]

وترجمتها :

– أي عار يصيب الدار (الوطن) إذا طلب من الضيف مغادرة المائدة ، فلتضحِّ بالروح ولا تترك الضيف يذهب .

– فإن يمض شوستر عن إيران ، فقد تفنى إيران نفسها ، فجاهدوا أيها الشباب حتى لا تفنى إيرانكم .

---

١ ـ نقلا عن از صبا تانيما ، ج : ٢ ، ص : ١٦٧ ـ ١٦٨ ، وعارف القزويني كان من شعراء الثورة الدستورية ، ولد بقزوين في حدود عام ١٨٨٥ م ، وحصل في قزوين العلوم المتعارف عليها في ذلك الوقت، ثم انتقل الى طهران في العشرين من عمره تقريبا ، وظل يعيش فيها حتى نهاية عمره، اتصل في بداية حياته بأمراء وملوك الدولة القاجارية ، ولكن ما أن ثارت الثورة الدستورية حتى كان من أكبر دعاتها ، ووظف شعره للهجوم على حكام الدولة القاجارية والقوات الانجليزية والروسية ، ونظرا لشدة تهكمه بالقاجاريين ، فقد نظم ايرج ميزرا القاجاري منظومته « عارفنامه » للرد عليه والسخرية منه ، ومن كل المناوئين للدولة القاجارية . وكانت وفاته في عام ١٩٣٣ م . راجع ديوانه ، واز صبا تانيما ج ٢ ، ص ١٤٦ ـ ١٦٨ ، ٣٤٩ ـ ٣٦١ ، ولغت نامه .

— إن نسمح لشوستر بمغادرة إيران ، فإن مصيرنا هو العار والخجل أبد الدهر !

* * *

ونظم ملك الشعراء بهار مسمطا في هذه المناسبة كي يستحث مواطنيه لكي يهبوا لرفض الانذار ، والاستعداد لملاقاة الجيوش الروسية التي دخلت الأرض الإيرانية ملوحة بإحداث انقلاب والإطاحة بالحكومة الإيرانية ؟ ومما قاله في هذا المسمط :

هان ای ایرانیان ! ایران اندر بلاست
مملکت داریوش دستخوش نیکلاست
مرکز ملك کیان در دهن اژدهاست
غیرت اسلام کو ؟ جنبش ملی کجاست
برادران رشید ! اینهمه سستی چراست
ایران مال شماست ، ایران مال شماست

دولت روس از شمال رایت کین برفراشت
بمحو دین مبین بخیره همت گماشت
بخاك ایران نخست تخم عداوت بکاشت
بغصب ایران سپس پیش کند یاد داشت
کنون بمردانگی دادن سزاست
ایران مال شماست ، ایران مال شماست

هان ای ایرانیان ، ببینم محبوستان
به پنجه انگلیس ، بچنگل روستان

گوئی در اینمیان گرفتــه کابوستان
کز دو طرف میبرند ثروت وناموستان

در ره ناموس ومال ، کوشش کردن رواست
ایران مال شماست ، ایران مال شماست[1]

وترجمتها :

ـ هبوا أيها الإيرانيون،إن إيران في محنة وبلاء، فقد وقعت مملكة داريوش لعبة في يد نيكولا .

ـ إن قلب مملكة الكيانيين قد سقط في فم التنين ، فأين الغيرة على الإسلام ؟ وأين الإحساس بالوطنية ؟

وأي تخاذل هذا أيها الأخوة النجبــاء ؟
إن إيران مِلكٌ لكم ، إن إيران مِلكٌ لكم !

ـ لقد رفعت دولة الروس في الشمال راية الحقد والضغينة ، وجاهدت لمحو الدين المبين وإفساد الهمة .

ـ وبذرت في الأرض الإيرانية بذرة العداوة والبغضاء ، وهي تمهد الطريق للاستيلاء على إيران بعد ذلك .

والآن وجب إظهار الرجولة والبطولة
فإيران ملك لكم، إيران ملكٌ لكم!

---

١ ـ راجع باقي المسمط بديوان بهار ، جـ ١ ، ص : ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، داريوش : أعظم ملوك الدولة البيشدادية التي حكمت ايران فــي القرنــين السادس والخامس قبل الميــلاد ، أمــا نيكــولا فهو قيصر روسيا في ذلــك الوقت .

– هبوا أيها الإيرانيون ، فإنني أراكم مكبلين بالأصفاد في مصيدة الإنجليز ، ومحبس الروس

– وكأنكم في إسار كابوسن ، كل منهما يسلبكم الثروة والشرف

وكم يجدر بكم الجهاد من أجل الشرف والثروة
فإيران ملكٌ لكم ، إيران ملكٌ لكم !!

التعاطف مع المانيا خلال الحرب العالمية الاولى :

ظل الحال هكذا يسير من سيىء إلى أسوأ حتى اندلعت نار الحرب العالمية الأولى ، فأعلنت إيران حيادها ، ولكن الجماهير كانت – كما كان الحال في مصر وجميع الدول العربية في ذلك الوقت – تتعاطف مع الألمان ، لا حباً فيهم ، ولكن ربما يتمكنون من تخليصهم من نفوذ الحليفين المتصارعين على أرض إيران وهما روسيا وإنجلترا .

ومن الذين أعجبوا بألمانيا، الشاعر الإيراني أديب پيشاوري(المتوفي[1] عام ١٩٣٠م) فنظم منظومة أسماها « قيصر نامه » ، تحدث فيها عما أصاب إيران من خراب ودمار على أيدي جنود الحلفاء ، حيث كانت

---

١ – هو أديب بن سيد شهاب الدين من رجال بيشاور الواقعة على الحدود بين ايران وافغانستان ، ويصل في نسبه الى الشيخ شهاب الدين السهروردي ، قتل والده اثناء المعارك التي دارت في بيشاور وما جاورها بين القوات البريطانية وحكام تلك المنطقة ، لهذا تولدت في نفس أديب كراهية شديدة ضد الانجليز ، ولذا كان من اكبر الشعراء الذين ناصروا الالمان في الحرب العالمية الاولى وتغنوا ببطولات المانيا في حروبها مع انجلترا وحلفائها . ظل اديب يعمل في حقل التدريس حتى أواخر عمره ولم يرض بتقلد اي منصب سياسي ، أو يحقق لنفسه اي مجد اجتماعي حتى مات عام ١٩٣٠ م انظر مقدمة ديوانه بقلم : علي عبد الرسولي ، وكنج سخن جـ ٣ ص ٢٧٣ ، ولغت نامه .

إيران نهباً للجيشين الإنجليزي والروسي ، وتحدث في المنظومة عن سخطه على الحرب وويلاتها وعلى المعتدين . وقد كان صادقاً في التحدث عن مشاعره ومشاعر الإيرانيين في ذلك الوقت ، وذلك لولعه بوطنه وشدة حبه له ، ولهذا جاءت المنظومة معبرة تماماً عن روح الشاعر وعن الحالة السياسية التي اجتاحت إيران إبان الحرب العالمية الأولى . وعدد أبيات هذه المنظومة أربعة عشر ألف بيت من الشعر .

ومن القطع الجميلة التي تضمنتها منظومة « قيصر نامه » ، وفيها يوجه الخطاب لكل إيراني كي يحب وطنه ويدافع عنه ويكون غيوراً عليه ضد كل ظالم في الداخل أو الخارج ، هذه القطعة التي نقتطف منها أبيات يتحدث فيها الشاعر بلسان أم توجه حديثها إلى ابنها العاق ، هذه الأم هي إيران . والابن العاق هو كل إيراني يساعد الأجنبي على حساب وطنه :

توای پرویده بخون دلم
چگونه ز مهر تو دل بگسلم
نداری ز بن هیچ پاس مـرا
فراموش کردی سپـاس مـرا
در آغوش نـازت بپرورده ام
چو شمع طرازت بـر آورده ام
بهنگام بوزش بگـاه سجـود
پیمـبر مرا قبلهٔ تو نمـود
٥ـ که چون پیش یزدان نیایش کنی
سوی مـن بباید گرایش کنی
روان را بدوزخ از آن سوختی
که این رمزها را نیاموختی

سخن بشنو وبـر میـاور غریو
که نبود گنهکارتر از تو دیو

کجا دیوان مـام کش پروريد
زپستان او شهـد شیرین مکید

جو یك مرد بیگانه یازید دست
بریـد آن سر مام بنشسته پست

١٠ـ کجا دیوان زشت کار کنـد
که بر مرد بیگانه یاری کند

★ ★ ★

منم پور ایران وبر مام خویش
مرا غیرت آید ز اندازه بیش

★ ★ ★

وترجمتها :

ـ يا من رُبيتَ بدماء قلبي
كيف أُبعد قلبي عن حبك ؟

ـ أما أنت ، فلا تُكِنُّ لي حباً في قرارة نفسك
وكم نسيت أن تشكرني وتثني عليّ !

ـ لقد ربيتك في أحضان العز والدلال
ونشأتك في أحسن صورة وأبهى منظر

ـ لقد جعلني الله قبلة لك
في وقت العبادة والتضرع وكذلك عند السجود

ـ فعندما تتضرع إلى الله وتدعوه
يجب عليك أن تدعو لي وتتذكرني
ـ لقد أحرقت روحك في نار جهنم
وذلك لأنك لم تحسن تعلم هذه الرموز
ـ فلتستمع إلى الكلام ولتكف عن الهراء
لأن الشيطان ليس أكثر منك ارتكاباً للمعاصي
ـ فأين ذلك الشيطان الذي يقتل أمَّه بعد أن ربته
وشرب الشهد من ثدييها ؟ !
ـ وهل يمكن أن يأتي أجنبي وتتطاول يده
ليقطع رأس أمه ، وهو جالس في ذلة وانكسار ؟
ـ وأي شيطان ذلك الذي يرتكب السوء
بأن يساعد الأجنبي ويعاونه ؟

★ ★ ★

ـ أما أنا فابن إيران وغيور على أمي
غيره تفوق كل حد ووصف !

★ ★ ★

أما الشاعر «عشقي» ، فيرى أن الطريق الحقيقي الذي يجب على الإيرانيين سلوكه للتحرر والتخلص من ربقة الروس والإنجليز يكمن في قوتهم الذاتية ، فبغير هذه القوة لن يقتنع الروس أو الإنجليز بالتخلي عن إيران ، وإذا كان البعض يتطلع إلى ألمانيا كي تساعدهم ضد الروس أو الإنجليز ، فهم مخطئون لأن أقصى ما يمكن لألمانيا أن تقدمه إلى إيران بعض بيانات التأييد ، أو بعض المساعدات المادية التي لا تقدم أو تؤخر في سبيل تحرير إيران :

یك دسته‌ای ز نخبهٔ ایرانیان شدند
در فکر استفادهٔ اوضاع حاضری
در دیده خشم روس ، وبدل کین انگلیس
در سر هوای یاری آلمان عبقری
رفتیم در برابر دشمن که تا کنیم
ابراز زورمندی واثبات قدری
امید ما به یاری ، ووی نداشت
جز بذل زر طریق دگر بهر یاری
٥ ـ گشتیم ما مهاجر وبدبخت ودربدر
گردون بما نمود نهایت ستمگری(١)

وترجمتها :

ـ كانت هناك مجموعة من مثقفي إيران يفكرون في الإفادة من الأوضاع الحاضرة (أي ظروف الحرب العالمية الأولى)

ـ إذ بعيون مفعمة بالغضب من الروس ، وبقلوب غاصة بالحقد ضد الإنجليز ، تطّلعوا إلى المساعدة من الألمان ذوي العبقرية .

---

١ ـ ديوان عشقي ، ص : ١٤٨ ، واسم عشقي الحقيقي مير محمد رضا وهو ابن الحاج سيد أبي القاسم الكردستاني ، ولد في همدان ، وشارك في الثورة الدستورية ولما أندلعت نار الحرب العالمية واصبحت أرض ايران مباحة للقوات الاجنبية ، رحل الى اسطانبول وعاش فيها حتى انتهت الحرب، ثم عاد الى ايران . وعندما تولى رضا رئاسة الحكومة وتولدت فكرة الجمهورية على ان يتولى رئاستها رضا اعترض عشقي ، وهاجم النظام الجمهوري ، ودعا الى الحفاظ على الملكية للقاجاريين مع تقوية الحياة النيابية وأن يكون الحكم للشعب ، مما أغضب منه رضا وأعوانه ، وتآمروا عليه فقتل عام ١٩٢٣ م .

راجع مقدمة ديوانه ، واز صبا تانيما ج ٢ ص : ٣٦١ ـ ٣٨١ .

— ولكن متى واجهنا الأعداء مثبتين قوتنا ، مؤكدين على مقدرتنا ؟

— كنا نأمل في مساعدتها ، ولكنها لم نجد طريقاً آخر للمساعدة غير تقديم الذهب والمال !

٥ — وهكذا أصبحنا مهاجرين تعساء ، وسيواصل الفلك ظلمه معناً إلى أقصى مداه .

* * *

وعلى الرغم من تعاطف الإيرانيين — وبخاصة الأدباء والمثقفين — مع ألمانيا وحليفتها الدولة العثمانية ضد روسيا القيصرية وجماعة الحلفاء ، فعندما تعرضت إيران لهجوم عثماني على حدودها الغربية ، سارع الكتاب والشعراء لشجب هذا الهجوم ، وذلك لأن حسهم الوطني يرفض أن يُعتدى على ديارهم من عدو أو صديق ، وقصة هذا الهجوم أنه في عام ١٩١٤ هاجمت القوات العثمانية بقيادة حسين رءوف بك غربي إيران ، وتقدمت جحافل الدولة العثمانية داخل الأراضي الإيرانية مثيرة الفتن والاضطرابات والخراب والدمار ، ودخلوا في حرب بعد ذلك مع صمصام الدولةالسنجابي أحد القواد الإيرانيين ؛ فما كان من الشعراء إلا أن هاجموا هذا العدوان ، ومنهم الشاعر بهار ، حيث كتب عدة مقالات صحفية هاجم فيها هذا الغزو العثماني ، ونظم كذلك غزلية اقتطف منها هذه الأبيات :

هر حلقه كه در آن زلف دوتاست
دام دگرى بهر دل ماست
بيمارى ماست زان چشم دژم
تنهائى ما زآن زلف دوتاست

باز این چه بلاست؟ ای ترك پسر
ای ترك پسر! باز این چه بــلاست

ای خلق خــدای آواز کنیــد
کاواز عموم، آواز خداست

این کشور کیست در دست عــدو؟
این کشور ماست، این کشور ماست

مارا بشکست پرخــاش مــلوك
پرخــاش ملوك مرگ فقــراســت

این یك بشمال، آن یك بجنــوب
این یك بجفا، آن یك بملاســت

در مغرب ملك جنگ است وجدال
در مشرق ملك قتل است وشقاست

در خطهٔ فارس جوش است وخروش
در ملك عراق شور است ونواست

ایــران ضعیف، میران جبــان
خصمان جسور پیش آمده راست[1]

وترجمتها :

ـ كل حلقة من تلك الزلفة المبعثرة، شبكة أخرى تتعلق بها قلوبنا

ـ آلامنا نابعة من تلك العين المهمومة الحزينة، وعزلتنا مصدرها تلك الزلفة المبعثرة.

---

١ ـ ديوان بهار، ج ١، ص : ٢٧٨ .

— أي بلاء جديد هذا يا سليل الأتراك؟ يا سليل الأتراك لم هذا البلاء مرة أخرى ؟

— أيها الخلق هبوا وارفعوا أصواتكم بالضراعة إلى الله ، فصوت الخلق هو صوت الله والحق .

— لمن هذا الوطن الذي وقع فريسة في أيدي الأعداء ؟ إنه وطننا ! إنه وطننا !

— لقد ألحق بنا الدمار تطاحن الملوك ، حيث لا يتأتى من تطاحن الملوك إلا موت الفقراء .

— فهذا يخرب في الشمال ، وذلك يعبث في الجنوب ، وهذا يدبر في الخفاء ، وذلك يفسد جهاراً وعياناً .

— وتدور المعارك والحروب في مغرب المملكة ، كما يجتاح مشرقها القتل والشقاء والتعاسة .

— وفي منطقة فارس يسود الغليان والهياج ، كما يعم منطقة العراق (العجمي) الاضطراب والنواح .

— إن إيران ضعيفة ، وقوادها جبناء ، بينما لا يتقابل في ساحة الوغى غير ذوي الشجاعة والإقدام !

* * *

شجب معاهدة ١٩١٩ :

أشرنا من قبل — في التمهيد التاريخي — إلى أن إنجلترا قد فرضت معاهدة على إيران بعد الحرب العالمية الأولى وأثناء انعقاد مؤتمر باريس للتفاوض بين الحلفاء حول شئون العالم بعد هزيمة ألمانيا ، وأن هذه المعاهدة

قد أعطت الحق للإنجليز للتدخل بصورة أكبر من ذي قبل ، والإشراف على الأمور العسكرية والمالية لإيران وقد وقع على هذه المعاهدة من قبل إيران رئيس وزرائها وثوق الدولة ، وكان ذلك في ديسمبر (كانون أول) عام ١٩١٩ ، وما أن علم أحرار إيران بذلك حتى ثاروا على هذا الوزير واتهموه بالتواطؤ والضعف ، وأنه أسلم إيران إلى الإنجليز ، وأنه خيب آمال مواطنيه ، فقد سافر على أمل أن يقنع المؤتمرين في باريس بإخراج كل من القوات الإنجليزية والروسية من إيران ، بعد أن هدأت الحرب ولم يعد لوجود هذه القوات أي مبرر ، فإذا به يرجع وقد وقع معاهدة ترسخ الوجود البريطاني في إيران . ومن الذين هاجموا الاتفاقية والوزير وثوق الدولة ، الشاعر فرخي اليزدي ، ومما قاله :

دردا كه دستور بدخوى ز بيـداد
كشورِ جم را بباد بى هنرى داد
داد قرارى كه بى فزارى ملـت
زآن بفلك ميرسد ولولـه وداد
كاش يكى بردى اين پيـام بدستور
كجا ز قرار تو داد، و عيد تو فرياد
چشم بدت دور ، وچه خوب نمودى
خانه ما را خراب . وخانه ات آباد[1]

وترجمتها :

— واحسرتاه ، لقد أسلم هذا الوزير السيىء الطوية وطن جمشيد ظلماً وبهتاناً إلى رياح الذل والمهانة !

---

١ ــ ديوان فرخي ، ص : ١٦٢ .

– فقد وقع اتفاقاً حرم الأمة الهدوء والاستقرار ، لذا ارتفع صياح الناس وعويلهم إلى عنان السماء .

– ويا ليت أحداً يحمل هذه الرسالة إلى الوزير ، وهي : أين العدل في اتفاقك وقد أصبح العيد صراخاً وعويلاً ؟

– فليجنبك الله عين السوء بعد أن فعلتَ عظيماً ، حيث دمرت ديارنا (الوطن) ، وأبقيت دارك عامرةً !

ثم تغنى فرخي بالحرية المنشودة ، وأقسم أن يسفك دم كل متخاذل رجعي متى واتته الفرصة لذلك ، وهذه القطعة من أعذب ما أنشده فرخي ، ويتغنى بها التلاميذ في المدارس ، وتنشد في كل مناسبة وطنية :

قسم بعزت وقـدر مقـام آزادى
که روح بخش جهان است نام آزادى

به پيش اهل جهان محترم بود آنكس
که داشت از دل وجان احترام آزادى

هزار بار بوَد بِه ز صبح استبداد
براى دسته پا بسته شام آزادى

بروزگار قيـامت بپـاشود آنروز
كنند رنجبران چون قيـام آزادى

٥ – اگر خداى بمن فرصتى دهد يكروز
كُشم زمرتجعـين انتقـام آزادى

* * *

وترجمتها :

– قسماً بشرف الحرية ومقامها العظيم
إن ما يبعث الحياة في الدنيا ليس إلا الحرية

– كم هو مبجل ومحترم أمام الناس
من يحترم الحرية من أعماق وجدانه وقلبه

– إن ليل الحرية بالنسبة للمكبلة أيديهم وأرجلهم بالقيود
أفضل ألف مرة من صبح الاستبداد

– وهؤلاء المطالبون بالحرية سيقفون مرفوعي الرأس
عندما يُبعثون يوم القيامة

٥ – وإن يمنحني الله الفرصة ذات يوم
فإنني أقتل الرجعيين انتقاماً للحرية .

* * *

أما الشاعر عشقي فقد دعا مواطنيه لشجب هذه الاتفاقية المجحفة ، والنضال من أجل محاربتها وعدم تنفيذ بنودها ؛ حتى ولو سفكت دماء المناضلين المكافحين من أجل إيران حرة مستقلة ، فقد قال :

ميدانم ار كه سر خط آزادگى ما
با خون نشد نگاشته خوانا نميشود
تنها منم كه گر نشود حكم قتل من
حاشا چنين معاهده امضا نميشود
گر سيل خون ز دژ ودشت ملك هم
جارى شود ، معاهده اجرا نميشود [1]

---

١ – ديوان عشقي ، ص ١٤٢ ، (طهران ، بهمن ١٣١١ ش) .

وترجمتها :

— إنني على يقين بأن خط حريتنا ، لا يمكن قراءته إن لم يكتب بمداد من الدم .

— وحاشا لله، أن توقع هذه المعاهدة، إلا إذا صدر حكم بسفك دمي.

— وحتّى ولو سالت دماؤنا أنهاراً تُروى بها وديان وصحاري وسهول المملكة ، فلن تُنفّذ هذه المعاهدة !



اجتياح الاراضي الايرانية خلال الحرب العالمية الثانية :

وتتابع الأحداث السياسية بعد ذلك وتقوم الثورة الروسية فتنسحب روسيا من معاهدة ١٩٠٧ التي عقدت بينها وبين إنجلترا لتقسيم إيران إلى مناطق نفوذ ، كما تنازلت عن الامتيازات التي حصلت عليها عن طريق القهر والإذعان من قبل ، فخلا الجو لإنجلترا ، فبسطت سيطرتها على كل الأراضي الإيرانية . كما تتابعت الأحداث داخلياً وسقطت الدولة القاجارية ، وتولى رضا شاه الحكم مؤسساً دولة جديدة ، وحاول أن يقلل من النفوذ الأجنبي وبخاصة نفوذ إنجلترا وروسيا ، وفي مقابل ذلك زاد تعاونه مع ألمانيا ، واستعان بخبراء ألمان في بناء إيران حديثة ، وظلت الأمور على هذه الحال حتى اندلعت نار الحرب العالمية الثانية وأعلنت إيران حيادها ، ولكن القوات الإنجليزية والروسية هاجمت إيران وأجبرت رضا شاه على التنازل عن العرش والرحيل عن إيران ، وإسناد الملك لابنه محمد من بعده ، ومن الذين عبروا عن هذه الحادثة ملك الشعراء بهار ، فعلى الرغم من خلافه المستمر مع رضا شاه ، واعتقاله أكثر من مرة خلال سنوات حكمه ، إلا أنه تعاطف معه ضد هذا الطرد ووقوع البلاد

فريسة للقوات الإنجليزية والروسية مرة أخرى ، وذلك لأن الخلاف في الرأي بين أفراد الوطن الواحد مهما كانت أسباب هذا الخلاف ومدى حدته ، يجب أن يُنسى إذا ما تعرضت البلاد إلى عدوان خارجي ، ومما قاله بهار في قصيدته هذه ، والتي اختار لها « حب الوطن » عنواناً ، نورد هذه الأبيات :

(حب الوطـن)

— هركرا مهر وطن در دل نباشد كافر است
معنى حب الوطن ، فرمودهٔ پيغمبر است

— هر كه بهر پاس عرض ومال ومسكن داد جان
چون شهيدان از مى فخرش لبالب ساغر است

— از خدا واز شاه وز ميهن دمى غافل مباش
زانكه بى اين هر سه ، مردم از بهائم كمتر است

— قلب خود از ياد شاهنشه مكُن هرگز تهى
خاصه در ميدان كه شاهنشاه قلب لشگر است

— رو تفاخر كن بشمشيرى كه دارى در ميان
زانكه زير سايه او جنت جان پرور است

— مُردن اندر شير مردى بهتر از ننگ فرار
كادمى را عاقبت تير اجل در معبر است

— چون ببايد مُرد ، بارى خيز ، ودر ميدان بمير
مرگ در ميدان بِهْ از مرگى كه اندر بستر است

— مُردن از هر چيز در عالم بتر باشد ولى
بندهٔ بيگانگان بودن ز مُردن بدتر است

ـ فقر در آزادگی بِهْ از غنا در بندگی
گور فربه بی گمان صید بلنگ لاغراست

۱۰ ـ از خدا غافل مشو یك لحظه در هر كار كرد
چون تو باشی با خدا هر جا خدایت یاور است[۱]

وترجمتها :

(حب الوطـن)

ـ كافر كل من خلا قلبه من حب الوطن
فحب الوطن أمر صادر من الرسول الأمين

ـ وكل من يضحي بروحه دفاعاً عن عرضه وماله وداره
كالشهداء يغص الكأس بخمر فخره وعظمته

ـ لا تغفل لحظة عن الله والشاه والوطن
فبدون الثلاثة يكون الخلق أقل مكانة من البهائم

ـ يجب ألا يخلو قلبك من ذكر الشاه أبداً
وبخاصة إذا كان الشاه وسط الجند في ساحة الوغى

٥ ـ امض ، وتفاخر بالسيف المعلق في وسطك
فالجنة تحت ظلال السيوف

ـ الموت في ساحة الوغى أفضل من معرة الفرار
فسهم الموت يُردي الانسان في نهاية الأمر

---

۱ ـ ديوان بهار ، ج : ۱ ، ص : ۷۱۲ ـ ۷۱۸ .

ـ فإذا كان الموت واقع لا محالة ، فانهض ، ولتمت في الميدان
أذ" الموت في الميدان أفضل من الموت على الفراش

ـ إذا كان الموت أسوأ شيء في الوجود
فإن التبعية للأجانب أسوأ من الموت

ـ إن الفقر مع الحرية ، خير من الغنى قرين العبودية
كما أن الحُمر الوحشية المكتنزة تكون بلا ريب صيداً للنمور النحيلة

١٠ ـ لا تغفل عن الله لحظة في أي عمل
فإن تكن مع الله ، فالله في عونك دائماً

وهكذا اكتوت إيران بنار الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وكانت أرضها في كلا الحربين مرتعاً لجيوش المحاربين ومعبراً دون موافقة أهلها ، وقد حدث كل هذا على الرغم من إعلان إيران حيادها في كلا الحربين . ونتيجة لهذا الدمار ، وذلك الخراب وُجد بين الشعراء من تغنوا بالسلام ونبذوا الحروب : واعتبروا دُعاتهـا بمثابة بومة تحمل الشؤم لمن يسمع صوتها المفزع والمقبض والمنذر بالشرور والكوارث .

جغدجنگ

فغان ز جغد جنگ ومرغواى او
که تا ابد بريده باد نـاى او
بريده بـاد نـاى او تـا ابـد
گسسته وشکسته پـر وپاى او

زمن بریده کرد آشنای من
کزو بریده باد آشنای او
چه باشد از بلای جنگ صعبتر
که کس امان نباشد از بلای او
همی زند صلای مرگ ونیست کس
که جان برد زصدمت صلای او
همی دهد ندای خوف ومی رسد
بهر دلی مهابت ندای او
همی تند چو دیوپای در جهان
بهر طرف کشیده تارهای او
بهر زمین که باد جنگ بر وزد
بحلقها گره شود هوای او
در آن زمان که نای حرب در دمد
زمانی بی نوا شود ز نای او
بگوشها خروش تندر اوفتد
ز بانگ توپ وغرش وهرای او
جهان شود چو آسیا ودمبدم
بخون تازه گردد آسیای او
رونده تانك همچو کوه آتشین
هزار گوش کر کند صدای او
چو پر بگسترد عقاب آهنین
شکار اوست شهر و روستای او
هزار بیضه دمی فرو نهد
اجل دوان چو جوجه از قفای او

١٥ ـ برزمگه (خدای جنگ) بگـذرد

چو چشم شیر لعلگون قبـای او
اهـل جهـان ز قعقع سلاح او
اجـل دوان بسایـهٔ لـوای او
بهر زمین کـه بگذرد بگسترد
نهیب درد ومرگ وویل ووای او
بقای غول جنگ هست دزد مـا
فنـای جنگبارگان دوای او [1]

* * *

وترجمتها :

بومة الحرب

ـ يا ويلتاه من بومة الحرب وصوتها المشئوم ، إنني أسأل الله أن ينقطع صوتها إلى الأبد .

ـ فلينقطع صوتها إلى الأبد ، وليتحطم جناحاها ، وتنكسر قدماها !

ـ لقد أبعدت عني أصدقائي ، فليحرمها الله من أربابها !

ـ وأي شيء في بلاء الحرب أصعب من أن أحداً لا يأمن شرها وبلاءها

ـ إنها تؤذن دائماً لصلاة الموت ، وليس لشخص أن يحمي روحه من صدمة صلاتها .

ـ إنها تصدر نداء الرعب دائماً ، لذا فمهابتها تصل إلى كل قلب .

ـ وهي تنسج خيوطها كالعنكبوت في الدنيا بأسرها ، وتمدها إلى جميع الأنحاء .

---

١ ـ ديوان ملك الشعراء بهار ج ١ ، ص ٧٩٦ ـ ٧٩٩ .

– وفي كل بلد تهب عليه رياح الحرب ، تصبح غُصة تقف في الحلوق .

– وكلما تعالت نغمات ناي الحرب ، يصاب الزمان بالعجز والشلل من نغماتها .

١٠ – كما تصم الآذان بأصوات الرعد ، الصادرة عن المدافع وزئيرها المزعج .

– في الحرب تصبح الدنيا كالطاحونة ، تتجدد رحاها بالدماء في كل لحظة .

– عندما تتحرك الدبابة وهي شبيهة بجبل ناري ، فإنها تصم آلاف الآذان بصوتها المرعب .

– وعندما ينشر العقاب الحديدي جناحيه ، يكون صيده كل من القرى والمدن !

– ولأنها تضع في كل لحظة ألف بيضة ، فالأجل يسرع في ركابها كما تسرع الفراخ في إثر أمها .

١٥ – وعندما يتحرك إله الحرب في ميدان الوغى ، يتطاير الشرر المتقد من عينيه وكأنها عين أسد مزمجر .

– وأهل الدنيا – نتيجة لقعقعة سلاحه – سرعان ما يسرع إليهم الأجل والدمار .

– ففي كل أرض يمر بها ، ينشر الهلع والموت والويل والأسى .

– وبقاء غول الحرب ، بقاء لآلامنا ، إذ لا يجد راحته إلا في إفناء المحاربين !

* * *

الفَصْل الثاني

الشعر في خدمة الثورة الدستورية

الفصل الثاني

الشعر في خدمة الثورة الدستورية

مقدمات الثورة الدستورية :

أشرنا في المقدمة إلى أن أحوال إيران خلال السنوات الأخيرة من القرن الماضي والسنوات الأولى من القرن العشرين قد اتسمت بالسوء وتفشي المظالم ، واتسام ملوك الدولة القاجارية ورجال البلاط بالأنانية وعدم الإحساس بمشاكل الجماهير ، بل والتعالي على هؤلاء الجماهير ، وفي مقابل ذلك أصاب الضمور المساحة الإيرانية ، واقتطعت روسيا القيصرية الكثير من الأراضي الإيرانية في آذربيجان وتركستان وما وراء النهر ، وهكذا شعر أحرار إيران وأبناؤها البربرة بأن الحاكم القاجاري لم يعد جديراً باحترام مواطنيه ، وليس أهلاً لأن يظل قابعاً على كرسي العرش ، ولهذا وجدنا ناصر الدين شاه القاجاري يتعرض للاغتيال عام ١٨٩٦ م، ولعل حادثة الاغتيال هذه كانت الشرارة الكبرى التي أسقطت هيبة الشاه في إيران ، وبدأت القصائد والمقالات تتوالى في تقديم النقد والتطاول عليهم لأن الفجوة بين الحاكم والمحكومين قد اتسعت ، والصلة بينهما قد انقطعت ، ولا شك أن هذه النظرة الجديدة إلى الحكم والحاكم قدتأثرت بعوامل داخلية ،وأخرى خارجية نجملهاباختصار شديدفيما يلي:

١ ــ سفر الإيرانيين إلى الخارج ، والاختلاط بشعوب يتمتع فيها المواطن بحرية إبداء الرأي ، والمشاركة في صنع القرار من خلال المنظمات الدستورية التي تشارك الحكومة والحاكم في تسيير دفة الأمور ، فوجد هؤلاء الإيرانيون الذين أتيحت لهم فرصة السفر ، أن فكرة الشرق عن الحاكم وأنه ظل الله على الأرض ، فكرة خاطئة ، وأنه ليس إلا مواطناً عادياً مكلفاً بعمل ضخم عليه أن يخلص في آدائه ، وإلا انسحب من الحياة العامة وترك المنصب لمن هو أكثر قدرة على القيام بهذا العمل ، وهكذا يكون المُلك تكليفا قبل أن يكون تشريفاً ، وعندما عاد هؤلاء الإيرانيون إلى ديارهم بدءوا يتحينون الفرص للحديث عن نظم الحكم الأوروبية ، إما في مجالسهم الخاصة ، وإما في أي مناسبة عامة .

٢ ــ منح شركة بريطانية امتياز احتكار التبغ في إيران ؟ مما أشعر الإيرانيين بأن الاقتصاد الإيراني أصبح تحت قبضة هذه الشركة ، كما تدخل رجال الدين وعلى رأسهم جمال الدين الأسدآبادي (الأفغاني) للاعتراض على هذا الاحتكار وألبوا الشعب ضد الشاه القاجاري ، وضد الشركة البريطانية الاحتكارية ، مما أجبر الشاه على إلغاء الامتياز ، وهكذا أدرك الإيرانيون أن الوحدة بين صفوفهم قادرة على إجبار الشاه والحكومة على النزول وفق إرادة الجماهير .

٣ ــ حالة الفقر المدقع الذي سادت إيران في أواخر العصر القاجاري ، وقد كان هذا الفقر نتيجة مباشرة للضرائب الباهظة التي يفرضها البلاط القاجاري على المواطنين ، أملاً في الحصول على الأموال التي تيسر لهم حياة البذخ واللهو ، والسفر إلى أوربا بحثاً عن المتعة المحرمة . كما أن إهمال الدولة للزراعة والصناعة ، قد ألحق الأضرار الكبيرة بالمزارعين والصناع ، مما أشعر الإيرانيين بالحقد تجاه جلاديهم وهم حكامهم ، وكأن

حال لسانهم ينطق بالقول المأثور : « تقتير هنا وتبذير هناك »، ولهذا بدأ الإيرانيون يتطلعون ليوم يتخلصون فيه من سطوة هؤلاء الحكام وظلمهم وجورهم .

٤ ــ كثرة الامتيازات التي منحها القاجاريون للأجانب وبخاصة لكل من روسيا وإنجلترا ، فقد كان الحاكم القاجاري حريصاً على الانفاق والبذخ ، وبالتالي انخرطوا في أخذ الديون من هاتين الدولتين ، وبالتالي تبعت الديون امتيازات تُعطى لأصحاب الديون ، وهكذا أصبحت كل مصادر الثروة الإيرانية من مصايد وهاتف وسكك حديدية وجمارك تحت تصرف الدول الأجنبية لكي يكون دخلها ضماناً لهم لاسترداد ديونهم . وهكذا شعر الإيرانيون بأن الحاكم الإيراني قد باع وطنه للأجانب ، وبالتالي فقدَ احترام مواطنيه، وأصبحوا يتمنون الخلاص منه والإطاحة به وبكل الامتيازات التي كبل بها الاقتصاد الإيراني .

٥ ــ مقتل ناصر الدين شاه (١٨٩٦) ، إذ كان هذا الاغتيال عاملاً هاماً في تحطيم قدسية الشاه ، وفكرة « حق التفويض الإلهي » وأن « الحاكم ظل الله على الأرض» ، فقد حكم ناصر الدين شاه فترة طويلة جـــداً (١٨٤٨ ــ ١٨٩٦م) اتسمت بكل مظاهر القسوة والجبروت، وبالتالي كان سقوطه بالاغتيال ، سقوطاً لنصب الظلم والقهر، ولذا اشتدت بعد اغتياله مباشرة حملات الهجوم على الحكام ورجال البلاط ، وتعنيفهم على ما أصاب إيران من ضعف وتخلف .

إلى جانب هذه العوامل الداخلية يمكن إضافة عاملين خارجيين ساعدا على تطلع الإيرانيين لقيام حكم نيابي ومشاركة شعبية في الحكم ، وهذان العاملان هما :

ا ــ انتشار مبادىء الثورة الفرنسية في العالم ، وهي مبادىء الحرية والإخاء والمساواة ، وأن هذه المبادىء دكت صروح الظلم والطغيان

وقصور الفساد لا في فرنسا وحدها ، بل في كل البلاد الأوربية ، ثم انتقلت هذه المبادىء إلى بلدان الشرق ومنها إيران ، وهكذا بدأ الإيرانيون يقارنون بين ما هم فيه من ظلم وتعسف وطبقية ، وبين ما تدعو إليه الثورة الفرنسية من إخاء ومساواة ، وأدركوا أنهم لن ينعموا بهـذه المبادىء إلا إذا تحطمت قصور القاجاريين كما تحطمت جدران الباستيل في فرنسا ، فتمنوا أن يكون هذا اليوم قريباً وأخذوا يعملون له .

ب ـ الحرب اليابانية الروسية ، فنظرة الإيرانيين إلى روسيا القيصرية كانت نظرة ضيق وحنق نتيجة لاقتطاع الروس بعض الأراضي الإيرانية ، ولعدم قدرة الإيرانيين على استرداد هذه الأراضي ، وتخوفهم من بطش روسيا ، ومقدرتها على إلحاق الضرر بهم ، ولهذا كانت فرحة الإيرانيين عظيمة عندما استطاعت اليابان التغلب على روسيا في هذه الحرب التي وقعت في أواخر القرن الماضي بينهما ، وشعر الإيرانيون أن اليابان قد انتصرت على روسيا بفضل وحدة جماهيرها ، والتحام حكام اليابان بالشعب الياباني ، وبالتالي فإن تسلط الروس على إيران مرجعه إلى ما يسود البلاد من فرقة وانقسام بين طوائف الشعب المختلفة ، كما يعود إلى تواطؤ الشاه القاجاري مع الروس على حساب المصلحة العامة لمواطنيه ، وهكذا تطلع الإيرانيون ليوم يسقط فيه هذا الشاه وتتحد الإرادة الجماهيرية حتى تستعيد إيران سابق مجدها ، وسالف قوتها للتصدي للتطاول الروسي شأنهم في ذلك شأن اليابانيين الذي ضربوا لهم المثل بأن الاتحاد قادر على التصدي لأي جبار طاغية ، حتى ولو كان هذا الجبار روسيا القيصرية .

* * *

هذه العوامل الداخلية والخارجية خلقت شعوراً بعدم الرضا موجهاً ضد الحكام القاجاريين ، ولهذا بدأت موجة الانتقاد لهؤلاء الحكام تنتشر

في الأدب الفارسي ، حيث تحدث الكتاب والشعراء عن صنوف العذاب التي تعرض لها الإيرانيون على يد زبانية الحكم القاجاري ، فقد قال « ميرزا آقاخان كرماني »[1] :

همه در اسارت ودر بنـــدگی
نه آگه ز آزادی وزنـــدگی

همه ز رد وهیجان وآزار ونزار
شب وروز بر حال خود سوگوار

بریده یکی را دو دست ودو پای
تنی مانده بر پا وجانی بجای

یکی را بمسمار کنده دو چشم
که هر کو به ببیند بسوزد زخشم

یکی را ز سر دور کرده دو گوش
که هر کس بدید آن بر آرد خروش

یکی را بریده است دژخیم سر
یکی را کشیـــده بتنگ قجـــر

---

١ ـ اسمه ميرزا عبد الحسين المعروف باسم ميرزا اقا خان ، ولد عام ١٢٧٠ هـ في كرمان حيث تعلم هناك الرياضيات والطبيعة والحكمة والعـلوم الالهية ، كما تعلم بعضا من اللغتين الانجليزية والفرنسية ٠ ثم انتقل وهـو في الثلاثين من عمره الى اصفهان ومنها الى طهران حيث قـــام بتدريس العلوم القرآنية ، وأخيرا سافر في عام ١٣٠٥ هـ الى اسطانبول وهناك اشتغل محرراً في صحيفة « اختر » التي كانت تصدر في اسطانبول وتوزع في ايران والهند ٠ ومن أهم مؤلفاته التي طبعت : « جنك هفتاد ودو ملت »، «انشاء الله وما شاء الله » ، و «ائينه سكندرى»٠ وقد انتهت حياته بالقتل عام ١٣١٤ هـ٠ (لغت نامه ، از صبا تانيما جـ ١ ، ص ٣٩٠ ـ ٣٩٤) ٠

وترجمتها :

– الجميع قيد الأغلال ورهن العبودية ، وليس لهم بالحرية دراية ، وبالحياة أي خبرة .

– الجميع يقضون نهارهم وليلهم وكأنهم في مأتم ينعون حظهم مما هم فيه من اضطراب وهياج وحسرة وألم .

– فهذا واحد قد قُطعت يداه وساقاه ، فبقي جسداً هامداً ، وإن كانت تدب فيه الحياة !

– وآخر فقأوا عينيه بمسمار ، فأصبح مصدر ألم وحسرة لكل من يراه !

– وهذا قطعوا أذنيه من رأسه ، فإن رآه أحد انخرط في بكاء وعويل .

– وآخر أطاح الجلاد برأسه ، وذاك أُقتيد إلى سجن القاجار .

* * *

إذا كان آقاخان كرماني ، قد تحدث عن المصائب والكوارث التي يتعرض لها الإيرانيون كل يوم على أيدي القاجاريين ورجالهم ، فإن « أديب الممالك فراهاني » قد سخر من الملوك ، وما آلت إليه إيران على أيديهم ، فبعد أن كانت قوية فتية مرهوبة الجانب ، وكان ملوكها الأقدمون قد كونوا إمبراطوريات أخضعت العديد من بلدان العالم للراية الإيرانية ، فإن ملوك الدولة القاجارية ، قد جعلوا إيران تابعة ذليلة لكل من إنجلترا وروسيا ، وأصبح الإيرانيون نهباً للهموم والأحزان والكوارث ، أما الملوك فهم في غفلة عن كل هذا ، ولا يهمهم إلا تحقيق المتعة واللهو والعبث ؛ وقد نظم أديب الممالك هذا المسمط عام ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م)

ونشره لأول مرة في صحيفة الأدب التي كانت تصدر في مشهد حاضرة خراسان :

مایيم که از پادشاهان باج گرفتیم
زآن پس که از ایشان کمر وتاج گرفتیم
دیهیم وسریر از گهر وعاج گرفتیم
اموال وذخایرشان تـاراج گرفتیم
وز پیکرشان دیبه ودیباج گرفتیم
ما ییم که از دریا امواج گرفتیم
واندیشه نکردیم ز طوفان وز تیّار

در چین وختن ولوله از هیبت ما بود
در مصر وعدن غلغه از شوکت ما بود
در اندلس وروم عیان قدرت ما بود
غرناطه واشبیلیه در طاعت ما بود
صقلیه نهان در کنف رایت ما بود
فرمان همایون قضا آیت ما بود
جاری به زمین وفلك وثابت وسیار

امروز گرفتار غم ومحنت ورنجیم
در داو فره باخته اندر شش وپنجیم
با ناله وافسوس در این دیر سپنجیم
چون زلف عروسان همه در چین وشکنجیم

هم سوخته كاشانه وهم باخته گنجيم
مايم كه در سوك وطرب قافيه سنجيم
جغديم به ويرانه ، هزاريم به گلزار[1]

· وترجمتها :

— نحن من أجبروا الملوك على دفع الخراج ، بعد أن سلبناهم التيجان وزينة الملك .

— نحن من استولوا على العروش ومقاليد الحكم ، ومن أغاروا على الأموال والذخائر .

— ونزعنا عن أجسادهم الديباج والحرير ، بل من سلبوا البحر أمواجه دون أن نأبه قط بطوفانه وتياره !

— هيبة منا ، عم الصراخ والعويل الصين والختن ، وهلعاً من جبروتنا ساد الاضطراب مصر وعدن !

---

١ ـ نقلا عن از صبا تانيما ، جـ ٢ ، ص : ١٤٠ ، ١٤١ ، واديب الممالك فرهاني ولد في عام ١٢٧٧هـ في قرية من اتباع مدينة أراك ، ولقد لقبه الشاه مظفر الدين بلقب أديب الممالك ، ولكنه انضم بعد ذلك الى الثوار وكان بين الشود التي وفدت على طهران لفتحها عام ١٣٢٧ هـ · وقد صرف معظم وقته في تحرير الصحف ، وكان ينشر اشعاره في الصحف التي يشارك في تحريرها ، وتوفي عام ١٣٣٥ هـ ، ونشر ديوانه باهتمام وحيد دستكردى ، وقد حفلت أشعاره الى جانب المدح والهجاء ، بالموضوعات الاجتماعية والمبارزات السياسية ، وكانت معرفته باللغات الاوربية سببا في تضمينه أشعاره بعض الافكار والكلمات الاوربية ، كما كان تبحره في العلوم العربية واللغة العربية سببا في استخدامه بعض الكلمات العربية الفصحى التي لم يستخدمها معاصروه من قبل ، فكان مثلهم الذي يحتذى في ذلك · (لغت نامه ، كنج سخن جـ ٣ ذبيح الله صفا ، ص ٢٤٩ ـ ٢٦١ ، از صبا تانيما جـ ٢ ، ص : ١٣٧ ـ ١٤٦) ·

ـ وكانت قدرتنا واضحة للعيان في الصين والروم ، وتحت إمرتنا خضعت غرناطه وأشبيلية .

ـ وفي كنف رايتنا التجأت صقلية واحتمت، كما جعل القضاء أوامرنا الملكية :

سارية ً بالأرض قاطبة ، وكذلك بالأفلاك الثوابت منها والسيارة !

ـ ولكننا اليوم ، أصبحنا أسرى الهموم والمحن والأحزان ، كمن يضرب أخماساً في أسداس .

ـ وهكذا سيطر النواح والحسرة علينا في تلك الفانية (الدنيا) ، وبقينا مشوشي الفكر مبعثرين كزلفة العروس .

ـ لقد أحرقنا أمتعتنا ، وأضعنا كنوزنا ، ثم وقفنا في ركن نسمع رجع الصدى :

حيث تنوح بومتنا في كل خرابة ، ويصدح بلبلنا بكل روضة !

* * *

كما نظم أديب الممالك مسمطاً آخر بسيطاً في شعره ، سهلاً في حفظه ، عذباً في نغماته ، مما دفع الكلنيل علينقي خان وزيري إلى تلحينه ، فشاع ترديده بين الناس، وقد جعله في صورة خطاب موجه إلى أحد ملوك إيران الأقدمين «سيروس» الذي حقق لبلده العظمة وأخضع كل البلاد المعروفة لحكمه ، فهو يدعوه لكي ينقذ إيران بعد أن عجز الشاه القاجاري عن تحقيق ذلك :

پیام به سیروس

ز راه کرم ای نسیم سحرگاه
سوی پارساگرد وبگذر از این راه
به سیروس از ما بگو کای شهنشاه ،
چرا گشتی از حال این ملك غافل ؟

تو بودی که لشکر به قفقاز راندی
ز ارمینیه تا بـــه اهواز راندی
ز شط العرب تا بـــه شیراز راندی
خراسان وری وصل کردی به بابل

دریغـــا که اقلیم سیروس ودارا
فتاده است در بحر غم آشکارا
تو ای ناخدا ، همتی کن خدارا
مگر گشتی ما برده ره به ساحل

چو ویرانه شد ملك کیْ ، کشور جم
ز علم وهنر باید افراشت برجـــم
ز همت کمر ساخت ، از عدل خاتم
ز تقوی کلاه ، و ز دانش حمایل[1]

---

١ ـ نقلا عن از صبا تانیما ، ج ٢ ، ص ١٤٦ ، وسیروس هو کورش مؤسس الامبراطورية الكيانية التي حكمت ايران والعالم قبل ظهور الاسكندر الاكبر ٠

وترجمتها :

« رسالة الى كورش »

نسيمَ السحر ! تكرم علينا
وامض صوب فارس ، عابراً هذا الطريق
وقل لكورش على لساننا : يا ملك الملوك
لمَ أنت عن هذه المملكة غافل ؟

عندما كنت موجوداً ، اجتحت بجيوشك القوقاز
واندفعت من أرمينيه حتى الأهواز
كما تقدمت من شط العرب إلى شيراز
ووصلت خراسان والرى ببابل

واحسرتاه ! لقد أصبح وطن كورش ودارا
غريقاً في بحار الغم جهارا
استحلفك بالله أيها الربان أن تكون ذا همة
فلعلك تصل بسفينتنا إلى الساحل

إذا كان الخراب قد عم مملكة الكيانيين ، وديار جمشيد
فالواجب أن ترفع راية العلم والفضل
ولتجعل الهمة إزارك ، والعدل خاتمك
والتقوى قلنسوتك ، والعلم حمائلك

* * *

إذا كان أديب الممالك وغيره ، قد صبوا جام غضبهم على الشاه ورجال حاشيته ، فهناك بعض الأدباء الذين وجهوا اللوم إلى كل الإيرانيين حكاماً ومواطنين ، حيث عدم الجميع الشعور بالمسئولية العامة وروح الجماعة ، وأصبح كل فرد يعمل لحسابه الخاص ، دون النظر إلى مصلحة باقي المواطنين ، ومن هؤلاء الذين عبروا عن هذه الحالة من فقدان المسئولية العامة، الكاتب والشاعر « طالبوف » حيث قال ، ما ترجمته :

« ... إن اهتمام الخلق لم ينجه بعد صوب إصلاح أمور الوطن ؛ فكل فرد من الكبار أو الصغار ، من الأغنياء أو الفقراء ، من العلماء أو الجهلاء يرعي حماره فقط ، وليس لدى أي شخص إحساس أو شعور بالآخرين ، فلا يتحدث أحد عن المصالح المشتركة للوطن والمواطنين وكأن هذا الوطن ليس قطعة منهم، وكأنهم ليسوا مواطنين مثل غيرهم[1] ».

---

١ ـ انظر : بررسي ادبيات امروز ايران : دكتر محمد استعلامي ، ص ٧٧ : تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهي · وقد ولد عبد الرحيم طالبوف في عام ١٢٥٠ هـ · باحدى مدن آذربايجان ، وكان ابوه فقيرا معدما ، ولذا هاجر في صباه الى مدينة تفليس ، حيث عمل ليكسب قوته ، كما اجتهد في تعلم اللغة الروسية · وعندما بدأ الغليان في ايران ضد ناصر الدين شاه،انضم طالبوف الى الثائرين ، بل اعتبره البعض من زعماء الثورة اذ اعتبروا كتاباته في هذا الخصوص « الف باء الحرية » وبعد ان نجحت الثورة الدستورية ، التف حوله الاذربايجانيون لكي يرشحوه عنهم في المجلس النيابي خلال دورته الاولى ، ولكنه اعتذر لتقدمه في السن وضعف بصره ، وهكذا لم تتح له الفرصة للذهاب الى طهران ، حيث قضى البقية الباقية من حياته في مدينة « تمرخان شورة » الروسية والمعروفة الآن باسم « بويناكسك » وقد قضي نحبه في حوالي عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) ، ومن أهم مؤلفاته : سفينة طالبي يا كتاب احمد ، مسالك المحسنين ، مسائل الحيات ، ايضاحات در خصوص آزادي ، سياست طالبي ··· (از صبا تانيما جـ ١ ، ص ٢٨٧ ـ ٣٠٤) ·

ومن أشعاره التي يُحمِّل فيها كل طوائف الشعب المسئولية، ويطالبهم بضرورة العمل المشترك، قوله :

تاكـه دانش وغيرت شـد زخلق ايران
ملك وملـت ايران رفت رو بهويرانى
كشورى همه غافـل ملتى همه جاهل[1]

وترجمتها :

ـ متى يتولد لدى شعب إيران الشعور بالغيرة، والاهتمام بالعلم.
ـ لقد سارت المملكة الإيرانية وشعبها صوب الخراب والدمار .
ـ وذلك لأن الوطن كله في غفلة، والأمة كلها في جهالة .

* * *

الثورة وبدء الحياة النيابية :

كانت النفوس مهيأة للثورة مع انطلاق أول شرارة، وكانت هذه الشرارة قد تمثلت في ارتفاع مفاجىء في ثمن السكر بالعاصمة طهران، فإذا بحاكم طهران المدعو علاء الدولة يلقي القبض على سبعة عشر تاجراً وعلى اثنين من رجال الدين بتهمة احتكار السكر ورفع سعره، وتأليب العامة ضد الحكومة وإهمالها معالجة مشاكل الجماهير وعدم العمل على ارتفاع الأسعار، وقد تم جلد المقبوض عليهم، مما أجج ثورة الشعب، واعتصمت الجموع الوفيرة من التجار والمثقفين ورجال الدين في المساجد، وبدأ الإضراب العام يجتاح العاصمة، ورفع المعتصمون مطالبهم المتمثلة في إقصاء حاكم طهران عن منصبه، وتأسيس محكمة عليا تتولى ـ طبقاً للقانون ـ محاكمة أي منهم، وحتى لا يتكرر ما فعله حاكم طهران،

---

١ ـ المرجع السابق، ص : ٨٦ .

من إلقاء قبض وإعدام دون محاكمة منصفة كما يقضي بذلك قانون حقوق الانسان ، وقبلها تعاليم الدين الإسلامي .

لكي يمتص مظفر الدين شاه ثورة الجماهير ، قطع على نفسه وعداً بإنشاء المحكمة العليا ، وعزل الصدر الأعظم عين الدولة الذي كان يساند حاكم طهران في موقفه ، ولكن الشاه لم يف بما وعد ، بل واصل عين الدولة تنكيله بالجموع المضربة ، واعتقال الكثيرين من المتظاهرين ، فزادت الثورة اشتعالاً وتوجه العلماء — فيما يسمى بالهجرة الصغرى — إلى ضريح الشاه عبد العظيم الموجود في جنوبي طهران ، واعتصموا به وكان ذلك في أواخر عام ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) ، كما تجاوبت جميع المدن الإيرانية مع الثائرين ، فثارت الاضطرابات في مشهد وكرمان وفارس وأصفهان وغيرها من المدن الإيرانية تطالب بحياة نيابية حيث يحكم الشعب فيها نفسه بنفسه .

استمرت الاضطرابات تجتاح طهران وبقية المدن الإيرانية ، دون أن تبدو بوادر حل للأزمة ، مما دفع العلماء إلى ما يسمى بالهجرة الكبرى ، حيث غادروا العاصمة ، وتوجهوا للاعتصام بمدينة قم المقدسة ، وكانت هذه الهجرة الكبرى في الثالث والعشرين من جمادى الأولى عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) ، وصاحب هذه الهجرة إضراب عام وإغلاق للمتاجر وشل لكل حركة في العاصمة . وواكب ذلك لجوء بعض المتظاهرين للاعتصام بالسفارة الإنجليزية والتحصن داخلها ، حيث كانت إنجلترا تحاول التقرب من زعماء الحركة الدستورية طمعاً في احتوائهم ، ولضرب غريمها الأول في إيران ، وأعني به روسيا القيصرية التي كانت تبدو متآمرة ضالعة مع الشاه في قسوته وجبروته ضد الثائرين ، كما سيتضح لنا فيما بعد [1] .

---

١ ـ انظر ضرب المجلس ، ص ٨٢ وما بعدها من هذا الكتاب .

أمام هذا الإصرار الثوري ، اضطر مظفر الدين شاه إلى إصدار فرمان بقيام حياة نيابية في إيران لأول مرة في التاريخ ، وكان ذلك في الرابع عشر من جمادى الآخرة عام ١٣٢٤ (١٩٠٦) وهنا بدأت الأمور تأخذ طريقها إلى الهدوء ، وبدأ العلماء يعودون إلى طهران ، وغادر المعتصمون بالسفارة البريطانية مبنى السفارة ، وبدأ الزعماء والأحرار يستعدون لممارسة الحياة النيابية والمشاركة في حكم البلاد[١] .

هلل الأدباء بصدور هذا القانون ، ونظموا العديد من القصائد في هذه المناسبة التي جاهدوا من أجلها ، وضحوا في سبيل تحقيقها ، ومن بين الذين عبروا عن فرحتهم هذه الشاعر بهار ، حيث قال :

بگذشت اردی بهشت وآمد خرداد
خيز كه بايد قدح گرفت وقدح داد
آمد خرداد ماه با گل سوری
داد ببايد كنون بعيش وطرب داد
بر گل سوری خوش است بادهٔ سوری
ويژه ز دست تو ماهروی پريزاد
صبح دوم كافتاب خندد بر كوه
بر سر يكشاخ ، گل بخندد هفتاد
٥ — جور پسندند خوبرويان بر من
فرياد از جور خوبرويان فرياد
ملك يكی خانه ايست بنيادش عدل
خانه نپايد اگر نباشد بنياد

---

١ ــ لمعرفة المزيد عن هذه الثورة الدستورية يمكن الرجوع الى بهار : تاريخ احزاب سياسي ، سايكس : تاريخ ايرذن جـ ٢ ، كسروی : تاريخ مشروطة ايران ...

داد ودهش گر بنا نهند به کشور

به که حصاری کنند ز آهن وپولاد

شکر خداوند را که داد ودهش را

طرفه بنائی نهـاد پادشه راد[1]

پادشه دادگر مظفر دین شـاه

آنکه ز عدلش بنای ظلم بر افتـاد

۱۰ ــ ظلم برون شد چو او در آمد بتخت

فتنه فرو شد چو او ز مام جهان زاد

وترجمتها :

ــ انقضى ارديبهشت وجاء خرداد ، فانهض حيث وجب تبادل الأقداح .

ــ جاء خرداد مصحوباً بوردة حمراء ، فوجب الفرح والسرور والغناء .

ــ وما أجمل أن تصحب الوردة الحمراء خمر ياقوتية ، وبخاصة إذا كانت من يدك أيتها الملائكية الحسناء .

ــ عندما تتبسم الشمس من خلف الجبل كل صباح ، فإن كل غصن تتبسم منه سبعون وردة .

٥ ــ لقد استعذب الحسان ممارسة الظلم معي ، فالنجدة من ظلم الحسان النجدة !!

---

١ ــ ديوان بهار ، ج ١ ، ص : ٢٥ ، ٢٦ ، وارديبهشت شهر ايراني يقابل شهري ابريل ومايو (نيسان ــ وأيار) ، أما شهر خرداد فيقابل شهري مايو ويونيو (أيار ــ حزيران) .

ـ المُلك منزل أساسه العدل ، فإذا انعدم الأساس ، تقوض المنزل .

ـ إذا كان بناء الوطن مؤسساً على العدل والإنصاف ، كان أكثر إحكاماً من جدار بُني من حديد وفولاذ !

ـ شكراً لك يا إلهي أن ألهمت بعدلك وإنصافك السلطان الحصيف لإقامة البنيان .

ـ إنه الشاه العادل مظفر الدين ، الذي قوض بعدله بناء الظلم والتعسف .

١٠ ـ لقد ولى الظلم عندما تولى السلطنة ، وسقطت الفتنة حينما أنجبته أم الدنيا !

* * *

وإذا كان ملك الشعراء بهار قد مدح الشاه مظفر الدين في نهاية قصيدته على إصدار القانون ببدء الحياة النيابية ، فقد هاجم أشرف الجيلاني الصدر الأعظم عين الدولة الذي كان أكبر مناوئ للدستور ، وانتهى الأمر بعزله وانتصار الثورة الدستورية ، ومما قاله أشرف :

اى مرغ پر شكسته مفلوك ومستمند
اى طوطى بهشتى پرورده ز آب وقند
اى آهوى ختايى افتاده در كمند
اى روح فيض بخش مقيد به قيد وبند
خود را ز قيد وبند اسارت رهيده گير
مشروطه را شنيده وليكن نديده گير (١)

---

١ ـ نقلا عن : در جنبش مشروطيت (ابراهيم فخرائي) تهران ١٣٥٣ ش ، ص : ٢٧٦ .

وترجمتها :

– أيها الطائر المحطم الجناح المسكين الذليل ، ويا ببغاء الجنة المدلل بالماء والسكر .

– ويا غزال الخطا الواقع في الشباك ، ويأيها المتحكم في الأرواح المقيد الآن بالقيود والأصفاد .

– لتخلص نفسك من قيود العبودية ، فقد سمعت بالثورة الدستورية ، ولكنك تتعامى عنها ؛ أيها الأسير !

* * *

ومن الذين فرحوا لنجاح الثورة الدستورية الشاعر أديب الممالك فراهاني ، وقد قرن فرحته بتوجيه النصح لجموع الشعب حتى تدرك ماذا تعني هذه الحياة الدستورية، إنها تعني المشاركة الجماعية في الحكم، واتحاد جميع قوى الشعب للعمل صفاً واحداً لدفع عجلة الوطن نحو التقدم والازدهار :

غرض ز انجمن واجتماع جمع قواست
چرا که قطره چو شد متصل بهم دریا ست
ز قطره هیچ نیاید ولی چه دریا گشت
هر آنچه نفع تصور کنی در او گنجاست
ز قطرهٔ دیده نگردیده هیچ جنبش موج
که موج جنبش مخصوص بحر طوفانراست
به قطره کشتی هرگز نمیتوان راندن
چرا که او را نی گودی است ونی پهناست
فرد فرد محال است کارهای بزرگ
ولی ز جمع توان خواست هر چه خواهی خواست

اگر مرا وترا عقل خویش کافی بود
چرا بحکم خداوند امـــر بر شُوراســـت

وترجمتها :

ـ الهدف من المجتمع والجماعة هو جمع القوى ، فحيثما تجتمع القطرات تصبح بحراً .

ـ إن القطرة لا يتأتى منها أي فعل ، ولكن عندما تصبح بحراً ، فلك أن تتصور أي نفع يتأتى منها ، لقد أصبحت كنزاً !

ـ لن يكون لقطرة دمع هدير الموج ، فهدير الأمواج صفـــة البحـــار الهادرة .

ـ القطرة لا تسيِّر سفينة قط ، وذلك لأنها قد عدمت العمق والإتساع .

ـ لا يمكن لإنسان بمفرده أن ينجز أعمالا كباراً ، ولكن يمكن أن يتأتى من الجمع كل ما تتمناه وترغب

ـ إذا كان في عقلي وعقلك الكفاية ، فلمَ جاء حكم الله ـ عز جـــل ـ بأن الأمر شورى ؟

* * *

وبعد شهرين من صدور قانون الحياة الدستورية ، انعقد المجلس في دورته الأولى ، وكانت في الثامن عشر من شعبان ١٣٢٤ هـ (أغسطس ١٩٠٦) . وذلك بحضور مظفر الدين شاه بقصر الگلستان ، وفي هـــذه الجلسة وقع الشاه « بروتوكولات » الحياة الدستورية ، وقد وصلت مواد الدستور في صورته الأولى إلى إحدى وخمسين مادة ، وبهذه المناسبـــة قال أديب الممالك :

شادباش ای مجلس ملی که بینم عنقریـــب
از تو آید درد ملت را درین دوران طبیب
شادباش ای مجلس ملی که ایران از تو یافت
دولت دور شباب اندر بی عهـــد شیـــب
مجلس ملی ز یاد شاعران برد آنچـــة بـــود
از حماسه وز تهانی وز مدیح واز نسیب [1]

وترجمتها :

– مرحباً بك أيها المجلس الوطني ؛ فعما قريب أرى طبيباً ينهض من بين صفوفك يعالج آلام الأمة .

– مرحباً بك أيها المجلس الوطني ، فستجد إيران عصر الفتوة والشباب بعد طول مشيب

– لقد سلب المجلس الوطني كل ما كان بذاكرة الشعراء من حماســـة وتهاني ومديح ونسيب !



الاعتداء على المجلس وتوقف الحياة النيابية (٢) :

لم يعمر مظفر الدين شاه كثيراً بعد افتتاح المجلس النيابي ، فقـــد مات بعد حفل الافتتاح بعشرة أيام فقط ، أي في الرابع والعشرين من ذي القعدة عام ١٣٢٤ هـ (أغسطس ١٩٠٦ م) .وتولى مكانه ابنه محمد عليشاه

١ ـ ديوان اديب الممالك ، ص : ٥٣ ·

٢ ـ انظا المراجع السابق الاشارة اليها عن الحياة الدستورية ·

الذي كان يتولى ولاية العهد ويقيم في تبريز ، حيث كانت العادة لدى ملوك الدولة القاجارية أن يقيم ولي العهد في تبريز التي كانت بمثابة العاصمة الثانية لإيران ، وكان يشرف على إعداده وتربيته هناك معلم روسي ، ولم يكن محمد عليشاه موضع ثقة الناس وحبهم ، وبخاصة أهل آذربايجان الذين خبروه قبل أن يتولى العرش ، لذا سارع الثوار إلى تكوين الجماعات السرية استعداداً لأي صدام مرتقب ، كما بدأت الصحف تتـوالى في الصدور بعد أن كفل قانون الحياه الدستورية حرية إصدار الصحـف ، وحرص محرروها على مخاطبة الجماهير ، والتحدث عـن حقوقهـم وواجباتهم ، والتصدي لكل محاولات القهر من قبل المسئولين ، ومن قبل القوات الأجنبية الموجودة في الشمال (قوات روسية) أو في الجنوب (قوات بريطانية) .

وقد بدأ الصدام بين الشاه الجديد وأعضاء المجلس ، عندما أسند الشاه منصب الصدر الأعظم لشخصية متسلطة وهو الأتابك أمـين السلطان ، الذي كلفه الشاه بالتفاوض مع أعضاء المجلس لاستكمال باقي مواد الدستور ، ولكنه تعنت معهم في كل مادة ، مما جعلهم يوقنون بأنه يحاول جاهداً شل الحركة الدستورية ، والقضاء عـلى مكاسب الشعب التي حصل عليها بالدم والعرق .

وهنا ثارت ثائرة الأحرار ، وكانت الشرارة الأولى لهذه الثورة مدينة تبريز التي تعرف الشاه الجديد معرفة كاملة ، والتي لم يكـن أهلها يتوقعون منه أي خير على الإطلاق ، وأمام هذه الثورة سارع محمد عليشاه بالإعلان بأنه يحترم الحياة الدستورية ، وسيحافظ على مجلس النواب والحياة النيابية ، وليدلل على صدقه سارع بتوقيع باقي مواد الدستور وعددها سبع ومائة مادة ، وذلك إلى جانب الإحدى

وخمسين مادة التي صدرت أيام مظفر الدين شاه ، وهكذا أصبحت جميع مواد الدستور تتضمن ثمان وخمسين ومائة مادة .

بعد ذلك توالت الأحداث السياسية ، وتم توقيع معاهدة (١٩٠٧ م) بين انجلترا وروسيا . وتبع ذلك تنديد الثوار والأحرار بالاتفاقية فتدخلت روسيا بسفور في المناطق التي خُصصت لنفوذها . فكان في هذا التدخل تشجيعاً لمحمد عليشاه ليكشف عن مكنون نفسه ، ويتمادى في محاولاته لضرب الحركة النيابية والرجوع بإيران إلى حكم الفــرد مرة أخرى . لذا كلف مجموعة من الأشرار بمهاجمة المجلس والاعتداء على نواب الأمة . وكان ذلك في ذي القعدة عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) فتدخل الشاه بجنوده لفض الاشتباك حتى ينفي عن نفسه تهمة التآمر على المؤسسة الدستورية الوحيدة في البلاد .

سارت الأمور من سيء إلى أسوأ بين الشاه والمجلس ، فأمر الشاه فرقة القوزاق الإيرانية (حرسه الخاص) والتي يرأسها ضابط روسي بضرب المجلس بالمدافع ، وكذلك ضرب مسجد سبهسالار حيث كان بعض الأعضاء يجتمعون به ، كما هاجمت نفس الفرقة المتظاهرين في حديقة « باغشاه » وقتلت عدداً منهم ، كما اعتقلت العديدين ، مما أجبر البعض على الالتجاء إلى السفارة البريطانية في طهران . وهكـــذا أصيبت الحياة الدستورية بنكسة كبيرة ، وتوقفت الحياة النيابية وتعطل المجلس ، لم يمض على افتتاحه إلا عام واحد . وأمام هذه الكارثـــة سارع الأدباء بالهجوم على محمد عليشاه ، واتهامه بأقذع الإتهامات ، وأنه لم يعد جديراً بالعرش . ومن الشعراء الذين عبروا عن هـــذه الكارثة الشاعر أشرف الجيلاني في مستزاد بعنوان « داء إيران بـــلا دواء » . ومما جاء به :

– دوش مي گفت این سخن دیوانه ای، ای بی باز خواست
درد ایران بی دواست
عاقلی گفتا که از دیوانه بشنو حرف راست
درد ایران بی دواست
– مملکت از چار سو در حال بحران وخطر
چون مریض محتضر
باچنین دستور این رنجور مهجور از شفاست
درد ایران بی دواست
– پادشة برضد ملت ، ملت اندر ضد شاه
زین مصیبت آه ، آه
چون حقیقت بنگری هم این خطا ، هم آن خطاست
درد ایران بی دواست
– هرکسی با هرکسی خصم است وبد خواه است وضد
گوید اورا مستبد
با چنین شکل ای بسا خونها هدر جانها هباست
درد إیران بی دواست

. . . .

– اشرفا ! هرکس دراین مشروطه جانبازی نمود
رفعت وقدرش فزود
درجزا استبرق جنات عدنش متکاست
درد إیران بی دواست[1]

---

١ ـ نقلا عن : از صبا تانیما ، ج ٢ ، ص : ٧٤ ، وقد نظمها أشرف الجيلاني بعد أحداث ضرب المجلس ونشرها في جريدته نسيم الشمالي في ١٥ من ذي الحجة عام ١٣٢٥ هـ.ق .

وترجمتها :

– يا من يتساءل عن الحقيقة ، لقد قال أحد المجانين في البارحة :
إن داء إيران بلا دواء !
فقلت للعاقل « خذ الحكمة من أفواه المجانين »
إن داء إيران بلا دواء !
– إن المملكة في خضم من الاضطرابات والفوضى
فهي كمريض يحتضر
مع وجود نظام حكم هكذا ، فإن هذا المريض لا أمل له في الشفاء
إن داء إيران بلا دواء
– الشاه ضد الأمة ، والأمة في خصومة مع الشاه
آه من هذه المصيبة آه
إن تنظر بعين الإنصاف ، ستجد أن هذا مخطيء ، وذاك مخطيء
إن داء إيران بلا دواء
– لقد عادى كل شخص كل شخص ، وتمنى له الضرر والأذى
متهماً إياه بالاستبداد
مع هذا الوضع ما أكثر ما أريقت من دماء وما أزهقت من أرواح
إن داء إيران بلا دواء

. . . .

– يا أشرف ! إن كل من ضحى بروحه في الثورة الدستورية
قد سمت مكانته وعلا قدره
فليكن جزاؤه متكأ من استبرق في جنة عدن
إن داء إيران بلا دواء !

★ ★ ★

وقد كان ضرب المجلس مدعاة للتطاول على محمد عليشاه ، وإعلان سقوطه كملك من قبل كل حر ، وذلك قبل أن يُقصى عن

الحكم رسمياً بعد ذلك ، وقد عبر عن ذلك أديب الممالك فراهاني :

از نام تو بيالوده تاريخ شهان را
هر چندكه نت ننگ ونه ناموس‌ونه نام است
كار تو تمام است ، وندانى كه از آنروز
شاهى تو ودولت وملك تو تمـام است
آنخگر ز دم توپ در مسجد ومجلس
فرياد ز بيداد تو در هر ركن ومقام است
هى ، هى ، جبلى ، قم ، قم‌كه از اين فتنه
شاهى بتو ختم آمد ، ودولت بختام است [1]

وترجمتها :

ـ لقد لوث اسمك تاريخ الملوك ، ولم يعد إلا رمزاً للعار والخسة وعدم الشرف

ـ لقد انتهى أمرك ، أفلا تعلم أنه منذ ذلك اليوم انتهى سلطانك ودولتك وحكمك ؟ !

ـ لقد تعالت الآهات من دمدمة المدافع وهي تقصف المسجد والمجلس، كما ارتفعت صيحات الألم من ظلمك في كل ركن ومقام .

ـ هيا أيها الجبلي ، وقم وانهض ، فبسبب هذه الفتنة قد انتهى أمر السلطنة ، وسقطت الحكومة !

★★★

ثورة آذربيجان (٢) :

ذكرنا من قبل أن ضرب المجلس وتعطيل الحياة النيابية قد ألهبت

---

١ ـ ديوان أديب الممالك ، ص : ٨٦ .
٢ ـ نفس المراجع التي اشرت اليها من قبل عن الثورة الدستورية .

حماس الأحرار في كل إيران ، وثارت الاضطرابات في كل المدن ولكن ثورة تبريز عاصمة إقليم آذربيجان كانت أخطر هذه الثورات وذلك لأنها أقرب المدن الإيرانية إلى الأقاليم الروسية ، كما أن أهالي تبريز قد جبروا تسلط محمد عليشاه وتعنته معهم أيام أن كان وليــاً للعهد ، وكانت تبريز هي المقر الدائم لولي العهد في ذلك الوقــت ، حاول الشاه إخماد هذه الثورة التي تزعمها قائد يدعى « ستارخان » ولكن جنوده لم يتمكنوا من ذلك ، مما جعله يلجأ إلى القيصر الروسي نيكولاي الثاني ، الذي سارع بإرسال وحدات من فرقة القــوزاق الروسية صوب آذربايجان ، ولكن ثوار تبريز بقيادة ستارخان حصنوا مدينتهم تحصيناً منيعاً ، فلم يتمكن الجنود الروس من اقتحام المدينة فاكتفوا بمحاصرتها ، ومنع طرق الإمدادات عن المحاصرين . لعلهم يضعفون ويستسلمون بعد ذلك ، ولكن دون جدوى ، على الرغم من أن الحصار دام عشرة شهور كاملة ، مما جعل الإيرانيين جميعهــم ينظرون لسكان تبريز ، وكل أهالي آذربيجان بإعزاز وتقدير ، وطالب بعض الشعراء سكان إيران كلها بتقديم العون لأهالي آذربيجان ليتمكنوا من الصمود وتحدي الدب الروسي ، وتطاوله على الأرض الإيرانية تحقيقاً لمطامعه ، ومناصرة لملك فاسد ظالم . ومن الذين حيوا كفاح آذربيجان الشاعر فرخي اليزدي :

بود اگر طهران در یاد آذربیجان
برفلك ميرفت كى فرياد آذربيجان
خاك خود خواه خطر خيز رى بى آبروى
داد بر باد فنا بنياد آذربيجان
از اورومى بانگك «هل من ناصر ينصر» بلند
كوى معين نا كند امداد آذربيجان

خصم خيره، بخت قيده ، والى از اهمال سست
سخت اندر زحمتند افراد آذربيجان
نيست رسم داد كز بيداد شخص حود پرست
كرشود گوش فلك از داد آذربيجان
كى روا باشد بنا بندگى گردد اسير
ملت با غيرت آزاد آذربيجان [1]

وترجمتها :

— إذا كانت طهران تتذكر آذربيجان ، فلم تذهب صيحات آذربايجان أدراج الفضاء ؟

— لقد أسلمت الري [2] المثيرة للمخاطر ، البعيدة عن كل حياء المتسمة بالأنانية ، أساس أذربايجان إلى رياح الدمار والفناء

— فارتفعت الصيحات من أرومية [3] مرددة « هل من ناصر ينصرنا » ؛فأين المعين الذي يقدم العون إلى آذربايجان ؟

— الخصم متهور ، والحظ عاثر ، والوالي بإهماله ضعيف ، وسكان آذربايجان في مشقة وضيق !

— ليس من العدل أن تصاب أذن الفلك بالصمم ، ولا تسمع صيحات آذربايجان لما لحق بها من جور ذلك المستبد المغرور .

---

١ ـ ديوان فرخي اليزدي . ص : ١٦٣ ـ ١٦٤ .
٢ ـ الري : الاسم القديم لمدينة طهران ، وما زال هذا الاسم يطلق على الاجزاء الجنوبية من المدينة .
٣ ـ أرومية (أورميا) : بحيرة في منطقة آذربيجان ، واسم لمدينة بجوار البحيرة .

– وكيف يجوز أن تكبل حرية شعب آذربايجان الغيور بالقيود والأصفاد ؟

* * *

استمر الحصار عشرة شهور ، وقد حاولت القوات الروسية منع أي إمداد عسكري أو غذائي عن سكان المدينة الباسلة تبريز لعلهم يستسلمون ، ولكن الأهالي تحملوا كل شدة ومسغبة ، ورفضوا الاستكانة لقوات الغزو الروسية ، لدرجة أنهم أكلوا لحوم الخيل ، وأكلوا أعلاف الماشية وكذلك أوراق الشجر ، أكلوا كل أخضر ، بل كل يابس يمكن أن يؤكل ، تحملوا كل صنوف العذاب وكلهم عزم وتصميم بقيادة بطلهم الشعبي « ستارخان » . وأمام هذه البطولة الفذة والتصميم الرائع اضطرت القوات الروسية إلى الانسحاب مهزومة ، فسارع الإيرانيون من كل المدن والأقاليم بتقديم العون والمؤن لهؤلاء الأبطال .

وقد عبر عن هذه التضحيات الشاعر الإيراني « أبو القاسم لاهوتي » في صورة رائعة حيث تحدث عن أم تبريزية حرة ذهبت لزيارة قبر ابنها الذي مات متأثراً بجراح النفس والجسد التي سببها الغزو الروسي ، وبسبب الجوع الذي عاناه كل الأهالي والذي مات بسببه الكثيرون ، وقفت على شاهد قبره وقد حملت معها بعض الخبز لعله يقيم أوده ، ويقضي على جوعه في العالم الآخر بعد أن قتله الجوع في العالم الفاني ، وقفت تعاهده على أن تحضر إليه كل كسرة خبز تحصل عليها . وقفت تزف إليه بشرى النصر على الأعداء ، وقفت فخورة به بعد أن ضحى بروحه ولم ينقض عهوده مع وطنه من حفاظ على حريته وكرامته .

وفا به عهد

اردوی ستم خسته وعاجز شد ،و برگشت
برگشت نه با میل خود ، از حمله احرار
ره باز شد وگندم وآذوقه به خروار
هی وارد تبریز شد از هر در وهر دشت

ازخوردن اسب وعلف وبرگ درختستان
فارغ چو شد آن ملت با عزم واراده
آزاده زنی بر سر یك قبر ستاده
با دیده‌ای از اشك پر ودامنی از نان

لختی سرپا دوخته بر قبر همی چشم
بی جنبش وبی حرف ،چو یك هیکل پولاد
بنهاد پس ، از دامن خود آن زن آزاد
نان را به سر قبر ،چو شیری شده در خشم

. . . .
. . . .

مجروح وگرسنه ز جهان دیده بستی
من عهد نمودم که اگر نان به کف آرم
اول به سر قبر عزیز تو بیارم
بر خیز ، که نان بخشمت وجان بسپارم

تشویش مکن فتح نمودیم ، بسر جان
اینك به تو هم مژده آزادی وهم نان

وآن شير حلالت كه نخورديم ز بستان
مزد تو كه جان دادى وپيمان نشكستى [1]

وترجمتها :

(الوفاء بالعهد)

لقد ألم العجز والوهن بجيش الظلم ، وعاد أدراجه
عاد لا رغبة منه في العودة ، ولكن أمام شجاعة الأحرار
لقد فُتح الطريق وتتابعت أحمال القمح والمؤن
على تبريز من كل حدب ، ومن كل صوب
لقد توقف هؤلاء القوم ذوو العزم والإرادة
عن أكل الخيل والعلف وأوراق الشجر
ووقفت امرأة حرة على شاهد أحد القبور
وقفت وعيناها منهمرة دموعها ، وبأطرافها بعض الخبز
وقفت عارية من الرأس إلى القدم ، وعيناها مشدودتان على القبر
وقفت دون حراك أو كلام ، وكأنها تمثال من فولاذ
ثم وضعت المرأة الحرة ما كان بأطرافها
من خبز على شاهد القبر ، وبها غضبة أسد

. . . .

. . . .

---

١ ـ Brown. I. G. : Press and Poetry of Modern Persia, 1414,
از صبا تانيما ج ، ٢ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ ، وقد ولد أبو القاسم لاهوتي في كرمانشاه عام ١٣٠٥ هـ ٠ وقد نشأ في اسرة محبة للادب ، فكان أبـوه ينظم الشعر فتعلم منه ، وقد ساعدت صحيفة « حبل المتين » على شهرة لاهوتي حيث نشرت له أشعاره الوطنية وهو في الثامنة عشرة من عمره ، وعندما اندلعت الثورة الدستورية كان من أوائل المنضمين اليها لذا سافر الى طهران واستقر بها ، ولكن بعد فترة من الاضطرابات فر الى تركيا ،حيث أنشأ هناك مدرسة للاطفال الايرانيين الموجودين هناك ، وذلك ليعلمهم اللغة الفارسية ٠

ثم قالت : لقد ودّعتَ الدنيا مثخناً بالجراح ، مستبدأً بك الجوع
إني أعاهدك عن أن كل خبز يأتيني
سأحضره على الفور إلى قبرك الغالي
فانهض ! لقد أحضرت لك الخبز

لتهدأ نفساً ، فقد تم النصر يا ابني الحبيب
إني جئت أزف إليك بشرى الحرية ، كما جئت بالخبز
إن اللبن الحلال الذي أرضعتك إياه من ثديي
كنت به جديراً لأنك ضحيت بروحك ، ولم تنقض العهود ! !

★ ★ ★

ومن الحقائق التي تستحق الاهتمام أن أحرار القوقاز الروسية ، والذين كانوا في ثورة وتذمر ضد الحكومة القيصرية . قد تعاطفوا مع ثوار آذربيجان . فكانوا يمدونهم سراً بالأسلحة والمؤن ، ويشجعونهم على مواصلة الحرب ضد القوات الروسية المحاصرة لمدينه تبريز كما أن الصحف القوقازية ، قد تعاطفت مع الثوار الإيرانيين ، ونشرت قصائد تحثهم على مواصلة الجهاد ، وسمحت لأدباء فروا من إيران بالكتابة فيها ، والتعبير عن السخط الشعبي ضد الشاه ، وقوات الاحتلال الروسية . ومن هؤلاء الشعراء ميرزا علي صابر الأذري القوقازي ، الذي نشر قصيدة باللغة القوقازية يؤيد فيها ثوار آذربيجان . وقد قام مؤلف كتاب «از صباتا نيما» بترجمة بعض أبياتها إلى اللغة الفارسية أذكر منها :

— چون مجلس ملى در تهران ويران ساختن
مردم آذربايجان با « ستارخان » پيمان بستند

– تا از استبداد وبيداد نفرت كنند
ودر راه ملت وميهن جان سپارند

– خدا مردم آذربيجان را يارى كرد
تا بر ضحاك آل قاجار بشعورند

– درود بر روان پاك شهيدانى
كه خونشان خاك تبريز وتهران را گلگون كرد !

– ستارخان كشور ايران را زنده ساخت
واين ملى خويش را پرداخت

– در جنگ، دلبرى ومردانگى نمود
وعين الدولة را رسواى جهان كرد

– آفرين ، اى تبريزيان ، چه خوب به عهد خود وفا كرديد
دوست ودشمن ستايشگر وثنا گوى شما ست

– زنده وپاينده باش اى سردار بزرگ
پيامبر اسلام در بهشت برتو مى بالد

– زيرا خدمت تو به اسلام وانسانيت بود
اي آفرين بر همت والاى ستارخان ؟ (١)

---

١ – نقلا عن از صبا تانيما ، ج ٢ ، ص ٥٧ ، ٥٨ ، واسم الشاعر : ميرزا علي اكبر طاهر زاده صابر ، الشاعر الوطني في آذربيجان القوقازية، والمحرر النشيط بصحيفة ملا نصر الدين ، وهي الصحيفة التي نشر فيها قصيدته التي نحن بصددها وغيرها من القصائد الوطنية • كان والده بقالا متدينا ، فنشأ صابر في بيئة متدينة محافظة ، مما جعله يحافظ على أداء واجباته الدينية ، ويحافظ على اسلامه محافظة تامة ، وعندما التحق بالمدرسة تعلم اللغات العربية والفارسية والآذرية وذلك بمدينة شيروان ، وفي شبابه انضم الى الجماعة الادبية التي كونها ملا نصر الدين ، الذي كان

وترجمتها :

– عندما دُك صرح المجلس الوطني في طهران
تعاهد أهل آذربايجان مع ستارخان
– تعاهدوا على الثورة ضد الاستبداد والتعسف
والتضحية بالروح فداء للشعب والأمة
– لقد أعان الله شعب آذربايجان
حتى يثوروا ضد ضحاك [1] آل قاجار
– ألف رحمة تتنزل على أرواح الشهداء الطاهرة
الذين خضبوا بدمائهم تراب تبريز وطهران
– لقد أحيا ستارخان إيران
كما تولى رعاية دينها الحنيف [2]

→
يصدر صحيفة تحمل اسمه ، وفي هذه الجريدة نشر اشعاره وتصانيفه وانتقاداته الاجتماعية والفكاهية ، ونتيجة للصلات الودية والعرقية والدينية التي كانت تربط سكان القوقاز بسكان ايران عامة ، وباهالي اذربيجان على وجه الخصوص ، فانه تعاطف مع اهالي تبريز أيام حصارها من قبل القوات القيصرية . وقد عاش في الفترة ما بين عامي ١٨٦٢ و ١٩١١ م .
(انظر از صبا تانيما جـ ٢ ، ص : ٤٦ ـ ٦٠) .

١ ـ الضحاك ، ملك أسطوري يقال انه من أصل حميري ، استطاع أن يفتك بأبيه ويسيطر على ملك بلاد اليمن ، ثم يوسع دائرة ملكه حتى تضم ايران ، وينشر هناك الظلم والقسوة والجبروت ، ويظل الشعب يرزح تحت نيره ، الى أن ثاروا ثورة شعبية بقيادة حداد يدعى (كاوه) ضده ، وانتهى الامر بقتل الضحاك وانتصار الشعب الايراني عليه ، وعلى هذا صور الشاعر محمد عليشاه في ظلمه بالضحاك ، والثورة ضد الضحاك وضد محمد عليشاه واحدة لانها ثورة الشعب ضد جلاديه .

٢ ـ لعلنا نعرف أن منطقة القوقاز كانت ايرانية في الماضي القريب ، ثم استولى عليها الروس عنوة من ايران ، ولهذا كان الناس هناك تربطهم صلات ودية وأسرية أحيانا مع سكان اذربايجان الايرانية ، كما أن سكان القوقاز كانوا وما زالوا حتى اليوم يدينون بالاسلام ، ولعل هذا هو السبب الاكبر فـــي تعاطف مسلمي القوقاز مع مسلمي آذربايجان ضد القوات الروسية القيصرية الغازية التي لا تدين بالاسلام !

— وكان في الوغى مثال الشجاعة والشهامة
بينما كان عين الدولة عنوان النذالة والخسة
— أكرمكم الله يا أهل تبريز ! فقد حافظتم على العهد
وأصبحت موضع ثناء وتكريم من الصديق والعدو
— حماك الله أيها القائد العظيم ، وحفظك
وسيفاخر بك رسول الإسلام في جنة الخلد
— فما تقدمه من تضحيات ، إنما هي خدمة للإسلام والإنسانية معاً
فمرحباً بهمة ستارخان العظيم ! !



فتح طهران واقصاء محمد عليشاه عن العرش :

نتيجة لخيانة محمد عليشاه واستنجاده بالقوات الروسية ضد أحرار بلاده ، زاد أوار الثورات الشعبية في كل مكان ، فثارت الجموع الحاشدة في أصفهان ، كما هاجم الثوار في جيلان مقر الحكومة وقتلوا حاكم المدينة من قبل الشاه والحكومة المركزية ، كما شنت الحركة في طهران العاصمة ، ولجأ بعض نواب المجلس الموقوف عن ممارسة نشاطه ، إلى مسجد الشاه عبد العظيم ، كما لجأ بعضهم إلى السفارة العثمانية. أضف إلى ذلك الدور الذي لعبه أحرار إيران الموجودون خارج الأرض الإيرانية ، ونشرهم المقالات والقصائد التي تندد بالشاه وظلمه ، وبقوات الاحتلال الروسية مما زاد في إحساس الإيرانيين بوطنيتهم ، وأنه لا سبيل لإنهاء الأزمة بين المجلس والشاه إلا بطرد الشاه ، أو قتله ؛ ولهذا أصبح هدف الإيرانيين يتمثل في الهجوم على طهران نفسها ، ولهذه الغاية بدأت

جموع الثوار تتدفق في اتجاه طهران ، وأخيراً تجمع الثائرون على مقربة من العاصمة استعداداً للضربة الأخيرة .

أمام هذا الخطر الكبير الذي أصبح على وشك الإطاحة بألعوبة الروس محمد عليشاه ، سارعت القوات الروسية بالتوجه من « انزلي » إلى مدينة قزوين الإيرانية وتمركزت خلف الثوار وهددتهم بالضرب من الخلف ، ولكن الثوار لم يأبهوا بالتهديدات ، وتقدموا صوب طهران فسارع محمد عليشاه بالاحتماء بالسفارة الروسية ، واجتمع المجلس النيابي ، وقرر عزل محمد عليشاه ، وتنصيب ابنه الصغير أحمد شاه مع تعيين عليرضاخان عضد الدولة وصياً عليه . وأمام هذا المد الثوري لم تستطع روسيا أن تفرضه على الشعب ، بل عملت على نقله إلى روسيا منفياً ، لعلها تجد الفرصة لإعادته إلى العرش مرة أخرى ، وهذا ما حاولته روسيا بعد ذلك ، ولكن المحاولة باءت بالفشل ولم يعد إلى ايران مرة أخرى .

وهكذا تم انتصار الإرادة الشعبية الإيرانية وعودة الحياة النيابية ، وعزل محمد عليشاه ، وكان ذلك في السابع والعشرين من جمادى الآخرة عام ١٣٢٧ ، بعد أن حكم عامين ونصف تقريباً . وقد تحدث الشعراء عن هذه الثورات الجماعية ، كما هلل البعض لهذا النصر الشعبي الكبير على صرح من صروح الطغيان والظلم .

وقد صور لنا ملك الشعراء بهار الحالة قبل فتح طهران في قصيدة عنوانها «كار ايران با خداست» أي: « أمر إيران بيد الله » ؛ قال فيها:

کار ایران با خداست

– با شه ایران ز آزادی سخن گفتن خطاست
کار ایران با خداست
مذهب شاهنشه ایران ز مذهبها جداست
کار ایران با خداست
– شاه مست وشیخ مست وشحنه مست ومیر مست
مملکت رفته ز دست
هر دم از دستان مستان فتنه وغوغا بپاست
کار ایران با خداست
– هر دم از دریای استبداد آید بر فراز
موجهای جانگداز
زین تلاطم کشتی ملت بگرداب بلاست
کار ایران با خداست
– پادشه خود را مسلمان خواند وسازد تباه
خون جمعی بیگناه
ای مسلمانان در اسلام این ستمها کی رواست
کار ایران با خداست
٥ – شاه ایران گر عدالت را نخواهد باك نیست
زانکه طینت پاك نیست
دیدهٔ خفاش از خورشید در رنج وعناست
کار ایران با خداست
. . . .
– باش تا خود سوی ری تازد ز آذربایجان
حضرت ستارخان

آنكه توپش قلعه كوب وخنجرش كشور گشاست
كار ايران باخداست [1]

وترجمتها :

أمر إيران بيد الله !

– الحديث عن الحرية مع شاه إيران خطأ وأي خطأ!
إن أمر إيران بيد الله
مذهب شاه إيران جد منفصل عن كل المذاهب
إن أمر إيران بيد الله
– الشاه ثمل والشيخ ثمل والشرطي ثمل والقائد ثمل
لذا ضاعت المملكة
وفي كل لحظة تثار مئات الفتن من هؤلاء السكارى
إن أمر إيران بيد الله
– في كل لحظة ترتفع من بحر الاستبداد والبطش
أمواج عاتية مهلكة
فتندفع سفينة الأمة من هذه الأمواج صوب دوامة البلاء
إن أمر إيران بيد الله
– يدعو الشاه نفسه مسلماً ، ويرتكب الآثام
ويسفك دم الشعب بلا جريرة
فمتى جاز هذا الظلم - أيها المسلمون - في الإسلام
إن أمر إيران بيد الله

---

١ – ديوان بهار ، جـ ١ ، ص : ١٤٦ ، ١٤٧ .

٥ — إذا كان شاه إيران لا يرغب العدل ، فلا تبال

فهو من طينة نجسة

وهكذا تُصاب عين الخفاش بالأذى أمام نور الشمس

إن امر إيران بيد الله

. . . .

— فليبق حتى يتقدم من آذربيجان صوب الري

القائـــد ستارخـــان

فتدك مدافعة القلاع ، ويفتح خنجرة البلاد

إن أمر إيران بيد الله !

★ ★ ★

ومن الشعراء الذين هللوا بسقوط محمد عليشاه عارف القزويني ، الذي نظم تصنيفاً بإسم « رسالة الحرية » أقتطف منه هذه الأبيات :

— پيام دوشم از پير ميفروش آمد

بنوش باده كه يك ملّى به هوش آمد

— هزار پرده ز ايران دريد استبداد

هزار شكر كه مشروطه پرده پوش آمد

— ز خاك پاك شهيدان راه آزادى

ببين كه خون سياوش چه سان به جوش آمد

وترجمتها :

— جاءتني البارحة رسالة من بائع خمر مُسن

قائلا : احتسِ خمراً ، فقد عادت الأمة إلى صوابها

— لقد تمزقت عن إيران آلاف من أردية الاستبداد

وارتدت أردية الحكم الدستوري فألف مبروك وألف مرحباً

– إن طريق الحرية يكسوه تراب أجساد الشهداء الأطهار .

وانظر كيف تملكت الثورة دماء سياوش !

★ ★ ★

وهكذا عادت الحياة النيابية إلى إيران مرة أخرى ، وانتصر الشعب على الشاه ، وربما تعرضت هذه الحياة النيابية لبعض النكسات فيما بعد ولكنها تجاوزتها بسرعة ، وترسخت الأصول البرلمانية في إيران وأنشئ فيما بعد مجلس للشيوخ إلى جانب مجلس النواب ، كما شاركت المرأة أيضاً في التصويت والعضوية بعد ذلك . ولكن بثبات الحياة النيابية ونجاح الثورة الدستورية وانتصار الشعب الإيراني على جلاده محمد عليشاه ، نكون قد أعطينا فكرة موجزة عن الثورة الدستورية في إيران ، وكيف جاهد الإيرانيون للحصول عليها ، ثم جاهدوا أكبر وأكبر للحفاظ على كلمة الشعب ومشاركته في الحكم .

الفصل الثالث

الدعوة إلى حكم جمهوري ووثوب رضا شاه إلى كرسي الحكم

الفصل الثالث

الدعوة إلى حكم جمهوري ، ووثوب رضا شاه إلى كرسي الحكم

بين دعاة الجمهورية ومعارضيهم :

على أثر نجاح كمال أتاتورك في الإطاحة بالرجل المريض – وأعني بذلك الخلافة العثمانية – أقدم على تغيير نظام الحكم ، حيث أعلن النظام الجمهوري في تركيا ، ثم أقدم على اتخاذ العديد من التغييرات الجذرية التي رأى فيها خطوة لعودة العافية إلى ذلك الرجل المريض ، أملاً منه في أن تعود تركيا إلى ما كانت عليه من قوة وازدهار ، بعد أن مُنيت بالهزائم في الحرب العالمية الأولى ، وأصبحت مطعماً للدول الأوربية ، وقد أعلن الجمهورية لاعتقاده أن نظام الحكم الفردي أيام خلفاء الدولة العثمانية هو المسؤول عما تردت فيه تركيا من ضعف وشيخوخة ومرض وتخلف.

كانت إيران في ذلك الوقت تمر بمرحلة مشابهة بتلك التي مرت بها تركيا قبل انقلاب كمال أتاتورك، حيث دبت الشيخوخة في جسد الدولة القاجارية ، وأصبحت إيران نهباً للقوات الدولية الاستعمارية، ومرتعاً لمؤامرات الدول الكبرى ، ولهذا قام بعض أعضاء المجلس النيابي ، وبعض الكتاب والصحفيين بالدعوة إلى اقتفاء أثر تركيا في هذا المضمار وإلغاء

الملكية وإعلان الجمهورية ، وقد ساعد على هذا الإتجاه، ما كانت إيران تمر به من اضطرابات وتطاول على الحاكم القاجاري الضعيف الشخصية وهو أحمد شاه القاجاري، فأفاد من هذه الموجة قائد الجيش رضاخان الذي كان يتمتع بالنفوذ الذي لا يبارى في البلاد، ويسانده الجيش في ذلك ، لذا نراه يقدم — بعد أن تولى رئاسة الوزارة إلى جانب وزارة الدفاع وقيادة الجيش — على إخلاء المسرح من الملك الشرعي أحمدشاه القاجاري ، وذلك بإرساله — شبه منفي — إلى أوربا ، لكي يخلو الجو لقائد الجيش ، ولا يوجد من ينازعه السلطة ويشاركه النفوذ، وبالتالي ينسى الإيرانيون وجود أحمد شاه المنفي، ولا يوجد أمامهم إلا رضاخان، فإذا ما أراد اعتلاء كرسي الحكم، تم له ما يريد دون منافسة أو اضطراب، ولهذا أرسل رضا خان أحمد شاه في عام ١٩٢٣ إلى أوربا لكي يعيش متنقلاً بين أقطارها . على ألا يعود إلا إذا سمح له قائد الجيش بالعودة ولا شك أن مغادرة أحمد شاه لإيران كانت مدعاة لتهكم بعض الشعراء عليه ، وسخريتهم منه، وبخاصة الشاعر « ايرج ميرزا » القاجاري، الذي أغضبه مسلك هذا الشاه ، واعتبره مسئولاً عن ضياع حكم أسرته القاجارية ، فقال متهكماً :

احمـــد لا ينصـــرف

فكر شاه فطنى بايد كرد
شاه گنده وگول وخرف است

---

١ — لمعرفة المزيد عن هذه الحقبة التاريخية يرجع الى : سعيد نفيسي: تاريخ شهرياري شاهنشاه رضا شاه بهلوي ، محمد تقي بهار : انقـراض قاجارية ، يحيى ارين بور : از صبا تانيما ، الول ساتن : رضا شاه كبير يا ايران نو ، ترجمة عبد العظيم صبوري ، ...... وغيرها .

تخت وتاج وهمه را ول كرده
در هتل‌هاى اروپ معتكف است
نشود منصرف سير فرنگك
اين همان احمد لا ينصرف است[1]

وترجمتها :

أحمد ممنوع من الصرف

– يجب أن يكون الشاه فطناً في فكره ، أما الشاه أحمد فهو فاسق عديم الإحساس خرف

– لقد ودع العرش والتاج وكل شيء،وهو معتكف الآن في فنادق أوربا

– ولن ينصرف عن مواصلة حياة الفرنجة،وذلك لأن أحمد ممنوع من الصرف

سافر أحمد شاه منفياً إلى أوربا ، وكان ذلك عام ١٩٢٣ ه ، فبدأ رضا شاه يحرض أعوانه في المجلس على إطلاق الدعــوة إلى التغيير ، أياً كانت صورة هذا التغيير ، المهم أن يمهد الأذهان إلى ضرورة إنهاء الحكم القاجاري ، وأن الشخص الذي يصلح لقيادة البلاد هو قائد الجيش رضا خان ، حتى يأخذ بيد البلاد مثلما فعل كمال أتاتورك في تركيـــا،فإذا بأصحاب ومؤيدو رضا في المجلس والصحافة ينادون بإلغاء النظام الملكي ، وإعلان الجمهورية ؛ على أن يكون رضا خان هو أول رئيس للجمهورية في إيران .

---

١ – ديوان ايرج ميرزا ، ص : ١٦٨ ٠

فطن معارضو قائد الجيش إلى هذه الخدعة ، ووقفوا بالمرصاد لدعاة النظام الجمهوري ، لا كرهاً في النظام الجمهوري نفسه ، ومعاداة لمزايا النظام الجمهوري بالنسبة للنظام الملكي ، ولكن خوفاً من تسلط الطبقة العسكرية على مقاليد الأمور في إيران ، وما يتبع هذا التسلط العسكري من ضياع للحياة النيابية التي جاهد الإيرانيون طويلا من أجلها ، وجاهدوا أكبر وأكبر للحفاظ عليها وتدعيمها ، وكانوا يرون أن الإصلاح الحقيقي في إيران ينبع من إصلاح نظام الحكم ، وزيادة فعاليات النظام النيابي ، وأن يظل الشاه القاجاري مجرد رمز دستوري على رأس الدولة ، أي أنه يملك ولا يحكم ، كما هو الحال بالنسبة لنظام الحكم البريطاني . وأن يكون الحكم في إيران موكلا فقط للمؤسسات الدستورية الثلاث : السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية ، والسلطة القضائية ،وقد تكونت جبهة معارضة في البرلمان الإيراني تزعمها « سيد حسن مدرس » وانضم إليه من الأدباء والشعراء «محمد تقي بهار » و «عارف » القزويني و « فرخي اليزدي » و « ميرزاده عشقي » ، وانبرى كل منهم يتصدى لدعاة الجمهورية وذلك عن طريق المقالات التي كانوا ينشرونها في صحفهم اليومية أو الأسبوعية ، أو في قصائدهم التي كانوا ينظمونها و يروجونها بين المفكرين وذوي الرأي ، حتى يوجدوا تأييداً شعبياً لمعارضتهم في تغيير نظام الحكم ، وإقصاء الدولة القاجارية عن مكان الصدارة .

عشقي والدعوة الى الجمهورية (١) :

لا شك أن الشاعر ميرزاده عشقي ، كان أكثر معارضي

---

١ ـ السيد محمد رضا ميرزاده عشقى ابن السيد ابي القاسم ←

الحكم الجمهوري تشبثاً برأيه ، ودفاعاً عنه، على الرغم من التهديدات التي تعرض لها من أنصار رضا خان قائد الجيش والمطالبين بالنظام الجمهوري ، ومن أهم ما نظمه في هذا المضمار قصةشعرية عنوانها « جمهوري سوار» أي « الراكبون موجة الجمهورية» ، وقد استخدم فيها الكناية والرمز كثيراً وقد ربط بين دعاة الجمهورية والوجود البريطاني في إيران .

الكردستاني ، ولد في مدينة همدان في ١٢ من جمادي الآخرة عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م) · تعلم اللغة الفارسية وكذلك اللغة الفرنسية · وقد حصل علومه الاولى في همدان ثم واصل تعليمه في العاصمة طهران ، ولكنه لم يكمل تعليمه ، ففي السابعة عشرة هجر الدرس والدراسة ، وانخرط في الحياة العامة ، ولكنه كان قد حصل قدرا لابأس به من اللغتين الفارسية والفرنسية ، لدرجة انه عمل مترجما للغة الفرنسية فترة من الزمن ، وفي عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) اصدر جريدة باسم عشقي وذلك بمدينة همدان ، ثم هاجر كالعديد من أحرار ايران الى اسطانبول مع اندلاع نار الحرب العالمية الاولى ، وشغل هناك بالدعوة الى الثورة في ايران ضد الدولة القاجارية وحكامها المستبدين · ثم عاد الى همدان ما بين عامي ١٣٣٦ ـ ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) ، ثم حدث أن وقعت اتفاقية عام ١٩١٩ م بين انجلترا وايران ، فتصدى عشقي لوثوق الدولة وهاجمه هجوما عنيفا لانه باع ايران لانجلترا· ظل عشقي معارضا لكل افساد وفساد في البلاد الى أن رفع البعض أصواتهم بالدعوة الى النظام الجمهوري ، فوقف من الدعوة ودعاتها موقفا صلبا واتهمهم بالتعامل مع القوى الأجنبية ، مما دفعهم الى التآمر على قتله ، وقد نجحوا في ذلك ، واغتاله شخصان من اتباع المطالبين بالجمهورية · فسارع خصوم الدعوة الى الجمهورية برثائه ، ومحاولة تأليب الرأي العام ضد مرتكبي الحادث · وهكذا قتل الشهيد عشقي عام ١٩٢٣ فداء لمواقفه الوطنية وله من العمر احدى وثلاثون سنة فقط · مات ولم ينجح خصومه في فرض النظام الجمهوري في ذلك الوقت ، وان نجح رضا خان في القفز الى كرسي العرش ملكا ، لا رئيسا للجمهورية ! « لمعرفة المزيد عن الشاعر يرجع الى : ديوان عشقي : نشر على اكبر سليمي ، از صبا تانيما ج ٢ ، ادبيات معاصر (رشيد باسمي) ، ديوان ملك الشعراء بهار في ذكره لحادثة اغتياله ، ورثائه ········ »

والقصة الشعرية صورت أحد اللصوص الحاذقين ويدعى « ياسي » وكان يعيش في إحدى القرى الكردية ، وفي غياب المزارعين دلف إلى داره ، وسرق بعض ما فيها ، ولكن المزارع توصل عن طريق تعقب أثر أقدام اللص إلى أن ياسي هو الذي إرتكب السرقة. وبعد فترة أراد اللص أن يكرر فعلته، وحتى لا ينكشف أمره ذهب إلى دار المزارع ممتطياً حماره ، وسرق كل ماأراده ثم عاد أدراجه . وعندما عـــاد المزارع وجد آثار أقدام الحمار خارج الدار بينما آثار أقدام « ياسي » بالداخل ، فتملكته الحيرة والعجب ؛ وفي النهاية قال عشقي معقباً على هذه القصة :

گر بخواهد آدمي پی گم کند
پایهای خویشتن را سم کند
هر که اندر خانه دارد مایه‌ای
همچو «یاسی» دارد او همسایه‌ای
« یاسی » ما هست ای .بار عزیز
حضرت جمبول یعني انگلیز
انکه دایم کار «یاسی» می کند
وز طریق دیپلماسی می کند

٥- با وثوق الدولة بست اول قرار
دید از ان حاصلی نامد به کار
چونکه او مأیوس‌گردید از وثوق
کودتایی کرد وایران شد شلوق
همچنین زیر جلی سید ضیا
زد به فکرپست آنها پشت پا

کودتا هم کام او شیرین نکرد
این حِنّا هم دست او رنگین نکرد
دید هرچه مستقیما من کند
ملت آن را زود بر هم من‌زند
گفت : « آن بِهْ تا برآرم کام من
از رهی کآنجا نباشد نام من »
اندر این ره مدتی اندیشه کرد
تا که آخر کار «یاسی» پیشه کرد
گفت جمهوری بیارم در میان
هم از آن بر دست خود گیرم عنان
خلق جمهوریطلب را خر کنم
زآنکه کردم بعد از این بدتر کنم
. . . .

ناگهان ایرانیان هوشیار
هم ز خر بد بین وهم از خرسوار
های وهو کردند کاین جمهوری است
در قواره گرچه او یعفوری است
پای جمهوری ودست انگلیس
دزد آمد ، دزد آمد ، ای پلیس
این چه بیرقهای سرخ وآبی است ؟
مردم ،این «جمهوري قلابی» است[1]

---

١ ـ نقلا عن از صبا تانیما ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤ . ولم اجدها بنسخة الديوان المنشور عام ١٩٣١ والموجود نسخة منه بمكتبة جامعة القاهرة، ولعل المؤلف اعتمد على نسخة اخرى من الديوان !

وترجمتها :

ـ إذا رغب أي آدمي ألا يُقتفى أثره ، فليغير قدميه بحوافر حمار.

ـ كما أن كل من يملك قناعاً في داره، يجاوره شخص على قرينة ياسي.

ـ و «ياسي» أمتنا أيها العزيز، ليس إلا «جون بول» أي، الإنجليز!

ـ فهو يفعل فعلة «ياسي» على الدوام لكنه يفعلها متخفياً في أردية الديبلوماسية .

٥ـ لقد وقع أول إتفاق مع وثوق الدولة[1] ، ثم رأى أنه لم يحقق كل ما كان يرجو ويأمل

ـ وعندما فقد الأمل في وثوق ، افتعل انقلاباً ، وأصاب إيران بالبلبلة و الإضطراب .

ـ ثم توارى خلف السيد ضياء[2] ،وسرعان ما ضرب به عرض الحائط و تخلى عنه .

ـ فقد جاء هذا الانقلاب هو الآخر على غير هواه ، ولم تخضب هذه الحنّاء كفيه باللون الذي ابتغاه !

ـ فرأى أن يعمل بطريقة مباشرة، وأنه يضرب الأمة بعضها ببعض.

١٠ ـ وقال : من الأفضل لكي أحقق بُغيتي ، أن أسلك طريقاً لا يذكر فيه اسمي .

---

١ ـ انه الوزير الايراني الذي وقع معاهدة ١٩١٩ م واعطى حقوقا عديدة للانجليز في ايران .

٢ ـ السيد ضياء الدين طباطبائي الذي تولى الوزارة بعد دخول رضا خان طهران واسقاطه الوزارة القائمة ، ومشاركته كوزير للحربية في وزارة السيد ضياء الدين وذلك عام ١٩٢١ م ثم عزله رضا عن رئاسة الوزارة عام ١٩٢٣ وتولى المنصب بنفسه ، كما سبق أن وضحنا .

ــ وظل يفكر فترة من الزمن ، وأخيراً اتخذ من مسلك « ياسي » طريقاً له .

ــ ثم قال : لأجعلنّهم يتطاحنون حول فكرة الجمهورية ، وبهذه الطريقة أمسك بيدي العنان .

ــ واتخذ من الداعين إلى الجمهورية حماري الذي أمتطيه ، ثم أفعل بعد ذلك أسوأ مما فعلتُه من قبل !

. . . .

ــ ولكن فجأة أدرك الإيرانيون ما يؤديه من دورٍ كلٌّ من الحمار الغافل والحمّار .

١٥ــ فهاجوا وماجوا قائلين : أي نظام جمهوري هذا ؟ إنه ليس إلا فوضى واضطراب ! ! .

ــ إنها أقدام الجمهورية ، ولكنها أيدي الإنجليز . جاء اللص ، جاء اللص ، النجدة أيها الشرطي !

ــ وأي أعلام هذه التي صبغت بالأحمر والأزرق ، إنها ، أيها الخلق ، أعلام الجمهورية المغرضة المخادعة !

لم يكتف عشقي بهذه القصة ، بل جعل معظم أبواب صحيفته «قرن بيستم» ــ أي القرن العشرين ــ هجوماً على دعاة الجمهورية ، ورسمهم في أشكال كاريكاتورية ساخرة إذ صورهم في صورة رجل مسلح تبدو عليها سمات الغضب . وقد أمسك في يده اليمنى بندقية ، وفي يده اليسرى كيس نقود ، وبعد ذلك جعله يستظــل بظل الأجنبي . وفي صورة كاريكاتورية أخرى ، صوّر الصحف التي كانت تدافع عن النظام الجمهوري وتدعو له في شكل حيوانات

مؤذية ومنفرة : فصور « ناهيد » في صورة أفعى ، وصور «مجرد» في شكل بومة، ورسم «كوشش» على هيئة فأر، «وستاره» على نمط كلب و « گلشن » في صورة بغل ، و« جارچى » في هيئة قط ! .[1]

وأمام هذا الهجوم الشديد والصريح ،أقدم دعاة النظام الجمهوري على إغتياله والخلاص منه ، لعلهم ينجحون في دعواهم ، وتحويل إيران من ملكية إلى جمهورية يرأسها قائد الجيش في ذلك الوقت وهو رضا خان ؛ لذا امتدت أصابع الاتهام مشيرة إلى تواطؤ قائد الجيش في هذه الجريمة !

* * *

ملك الشعراء بهار والدعوة الى الجمهورية :

كان مقتل عشقي سبباً في شدة اشتعال هذا الخلاف بين أنصار الجمهورية وخصومهم ، وأدرك الخصوم أن رضا وأعوانه قد يلجئون إلى أي وسيلة لتصفية المعارضين، ولكنهم مع هذا واصلوا طريق الكفاح والنضال في المجلس النيابي وعلى صفحات المجلات والصحف ، ومن الذين واصلوا الدعوة بعد عشقي الشاعر محمد تقي بهار ؛ ومما قاله في هذا الصدد :

جمهوري ... مايهٔ ننگٔ است
اين صحبت اصلاح وطن نيست كه جنگست
از كار قشون حال خوش از ما چه توقع
كاين فرقه برين گله شبان نيست پلنگست

---

١ ـ المرجع السابق ، ص : ٣٦٤ .

بی علمی وآوازه . جمهوری ایران
این حرف درین مملکت امروز جفنگست
اموال تو برده‌است بیغما وتو خوابی
آنکس که پی حفظ تو دستش بتفنگست

٥ـ آزادی. ومشروطیت افتاده بزحمت .
این گوهر پر شعشعه در کام نهنگست
در پردهٔ جمهوری کوبد در ......
ما بیخبر ودشمن طماع زرنگ است
افسانهٔ جمهوری ما ملت کودك
عیناً مثل ملعبهٔ شهر فرنگ است

در کیسهٔ ناهید بود لعل وزر وسیم
زینرو کلماتش همگی رنگ برنگ است(١)

وترجمتها :

ـ الجمهورية ...أساس المعرة والفضيحة ، والحديث عنها ليس لصالح الوطن ، بل إنه يثير الخصام والعراك .

ـ أي فأل يمكن أن تتوقعه من الجيش ، ما دامت هذه الفرقة ليست راعية لهذا القطيع ، بل نموراً مفترسة ؟

ـ الحديث عن الجمهورية في هذه البلاد دون تخطيط وعلم، ليس إلا هراءً أجوف في هذه الأيام .

---

١ ـ ديوان بهار ، ج ١ ، ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

ـ فأولئك الذين أمسكوا ببنادقهم على أمل حراستك ، قد سلبوك أموالك ، وأنت في سباتك !

٥ـ لقد ألم الوهن والضعف بالحرية والحياة النيابية ، وأصبح هذا الجوهر البراق في فم التماسيح .

ـ يدق باب خيمة الجمهورية في ... ، ونحن في غفلة ، بينما العدو متسم بالطمع والمراوغة .

ـ إن خرافة الجمهورية بالنسبة لأمتنا الصغيرة ، ستجعلها ميداناً تلعب فيه دول الفرنجة ! .

ـ لقد كانت خزائن ناهيد[1] مملوءة بالياقوت والذهب والفضة ولهذا كانت كلماتها ذات ألوان متعددة .

عقدت جلسات في المجلس النيابي لمناقشة موضوع الجمهورية وكانت الأكثرية تطالب بهذا النظام الجديد ، ولكن الأقلية وتساندها في ذلك جموع كثيرة من الشعب الإيراني ترفض الدعوة إلى الجمهورية . وفي إحدى الجلسات وقف ملك الشعراء محمد تقي بهار ، وألقى كلمة المعارضة مفنداً آراء الداعين لإحلال الجمهورية محل الملكية . وبعد أن فرغ من إلقاء خطابه ، أبلغ معارضوه أنصارهم في الخارج بمضمون الخطاب ، وبضرورة الإجهاز على بهار بمجرد خروجه من المجلس ، كما أعد « دركاهي » مدير الشرطة في طهران العدة للتنكيل بمن يقفون حجر عثرة في سبيل تغيير نظام الحكم في إيران ، كذلك معاقبة المتحدث باسم الأقلية (أي ملك

---

١ ـ نجم الزهرة ، واسم جريدة كانت تدعو للنظام الجمهوري ، واتهمها بهار بالعمالة وأخذ الرشوة من أجل الترويج لهذه الدعوة المغرضة في رأيه .

الشعراء بهار) . ولهذا وقف أعضاء الشرطة والمخبرون السريون ، وأعوانهم في حالة ترقب ، انتظاراً لخروج بهار ، والفتك بـه .

وفي نفس اللحظة المتوقعة لخروج بهار ، خرج شخص آخـر اسمه « واعظ القزويني » وكان في طول بهار وشكله العـام ، ويرتدي عمامة مثل بهار ، وكان هذا الشخص يتولى تحرير جريدة الرعد بمدينة قزوين، وكما كان مؤيداً لموقف الحكومة وقد جاء خصيصاً لحضور جلسة المجلس . عند خروجه ظـن رجال الشرطة والموكلون باغتيال بهار أن الضحية المطلوبة قـد وصلت ، فسارعوا بالإطاحة به وأطلقوا عليه أعيرتهم النـارية ، وصاحوا قائلين : هكذا تحطم قلم بهار !

ولكن هكذا أنقذ الله ملك الشعراء بهار من بطشهم ، فما كان منه إلا أن صور هذه الليلة في قصيدة أطلق عليها «يك شب شوم» أي « ليلةٌ شؤمٌ » [1] ، جاء فيها :

خصم در كثرت وقانون‌طلبان در قلت
بقياس كه تنى پنج به پنجاه زدند
چارده تن بفضاى فلك آزادى
نيمشب همچو مه چارده خرگاه زدند
خواستند اهرمنان تا ز كمينگاه مرا
خون بريزند از اينرو ره وبيراه زدند
ناگهان واعظ قزوين بكمينگاه رسيد
بر سرش ريخته وزندگيش تاه زدند

١ ــ لمعرفة تفاصيل هذه الليلة ، يرجع الى تقديم القصيدة في الجزء الاول من ديوان بهار ، ص ٣٩٨ .

٥ـ خبر آمد بمهادیو که شد کشته بهار
زین خبر دیوچگان خنده بقهقاه زدند
بار دیگر خبر افتاد که زنده است بهار
ز ان تغابن نفس سرد باکراه زدند
رهزنان راه زنند از پی نان پاره وزر
لیکن این راهزنان راه پی جاه زدند

★ ★ ★

بر تو ای واعظ مسکین دل من سوخت از آنك
خونیان بر تو چنان ضربت جانکاه زدند
کشتهٔ وجه شبه گشتی واین بی بصران
بدل من رهت از جملهٔ اشباه زدند

١٠ـ آن سگان بودند آماده آزردن ماه
عف عفی کرده وپنهان همه شب آه زدند(١)

وترجمتها :

ـ كان الخصوم أكثيرة ، أما المطالبون بتطبيق القانون فكانوا أقلية ، وإذا قارنا بين الفريقين فإن النسبة تكون خمسة إلى خمسين .

ـ كنا أربعة عشر فرداً نحلق في فلك الحرية ، فأضأنا الليل وكأننا أربعة عشر بدراً !

---

١ ـ المرجع السابق ، ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

– ولكن الشياطين قد نصبوا لي كميناً ، رغبة في سفك دمي ، ولذا انتشروا في كل مكان ! .

– وفجأة وصــل واعظ القزويني إلى حيث الكمين ، فحطموا رأسه ، وقضوا على حياته .

٥– زفت البشرى إلى كبير الشياطين بأن بهار قد قتل ؛ فهلل صغار الشياطين ، وتملكهم السرور.

– ولكن أُخبِّروا مرة أخرى بأن بهار ما زال على قيد الحيــاة ، فأصابهم الإحباط وتملكهم الضيق والغُمة .

– إن اللصوص يقطعون الطريق من أجل كسرة خبز أو من أجــل الذهب ،ولكن هؤلاء اللصوص يقطعونه من أجل الجاه والمنصب .

* * *

– كم تألم قلبي بسببك يا واعظ المسكين ، وذلك لأن القتلة قد ضربوك ضربة قاتلة .

– لقد قتلك ما بيننا من وجه شبه، ولهذا قطع أولئك الذين عدموا الإبصار والبصيرة الطريق عليك بدلا مني !

١٠– لقد أعد هؤلاء الكلاب العدة لإيذاء البدر ،ولكنه عفّ عنهم ، واحتجب في تلك الليلة !

* * *

ولم يكن عشقي وبهــار هما الشاعران اللذان هاجما الدعوة إلى الجمهورية وحدهما ، فقــد شاركهما في ذلك شعراء آخرون منهم فرخي اليزدي حيث سخر من الأحكام العرفية التي كان رضا خان قد أعلنها كوسيلة للسيطرة والسطوة ، والقضاء على مناوئيه ومعارضيه،فقال:

با مشت ولكد معنى آمنيت چيست
با نفى بلد ناجى امنيت كيست
با زور مرا مگو كه امنيت هست
باناله زمن مشنوكه امنيت نيست

وترجمتها :

– أي قيمة للأمن مع اللكم والركل ؟
ومن ذا يجد الأمن والأمان مع وجود النفي ؟
– لاتحاول إقناعي زوراً وبهتاناً بأن الأمن موجود ،
بل اسمع مني ضارعاً بأنه لا وجود لأي أمن !

خلع احمد شاه ، وتنصيب رضا شاه :

ظل الخلاف محتدماً بين دعاة الجمهورية ، وهم الأكثرية في مجلس النواب ، وبين معارضيهم داخل المجلس وخارجه ، وذلك طوال عامين تقريباً . وأخيراً يتدخل رضاخان ، ويطلب من مؤيديه وأنصاره الكف عن الدعوة إلى النظام الجمهوري ، وذلك بعد أن نجح في طرح فكرة التغيير ، وأنه لم يعد من اللائق أن يظل أحمد شاه القاجاري المنفي منذ عامين إلى أوربا على رأس الدولة ، بل من الضروري إسناد منصب الرئاسة إلى شخصية قوية تستطيع أن تسوس البلاد ، وتقودها إلى الأفضل بعد أن تردت جميع مظاهر الحياة في ظل حكم القاجاريين .

---

١ – ديوان فرخي اليزدي ، ص : ١١٧ .

وبطبيعة الحال كانت هذه الشخصية القوية متمثلة في رضا خان قائد الجيش ،وعلى هذا فلا سبيل لإصلاح أحوال البلاد إلا إذا تم إقصاء أحمد شاه عن الحكم، وتولية رضا خان، ليكوّن أسرة ملكية جديدة ، هي الأسرة البهلوية . وفعلا اجتمع المجلس النيابي في الخامس والعشرين من جمادي الأولى عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥) م وأقر إنهاء حكم الأسرة القاجارية ، وتنصيب رضا شاه، الذي تم تتويجه بعد ذلك خلال العام التالي (١٩٢٦م) ، وقد صحب هذا التتويج إقامة احتفالات رسمية تليت فيها الخطب والتهاني ، ونظمت فيها القصائد التي تشيد بالشاه الجديد ، وبشجاعته وحكمته ، وتفاؤل البعض بما سيحققه هذا التغيير من تقدم ورفاهية بعد طول كفاح ضد ظلم حكام الدولة القاجارية .

ولا شك أن بعض هذه القصائد التي تليت ، والخطب التي قرئت كان عمادها الرهبة والخوف من بطش الشاه الجديد وبطانته العسكرية ،ومن بين الشعراء الذين نظموا مهنئين على الرغم من مواقفهم السابقة واللاحقة ضد رضا ملك الشعراء محمد تقي بهار وغيره من الشعراء المعاصرين ، ولكننا سنضرب صفحاً عن ذكر هذه التهاني التي قيلت في معظمها كما قلت تجنباً للبطش ومراعاة للنظام الجديد، ولننظر في الجانب الآخر ، وأعني به جانب المعارضين لهذا التغيير ، والذي عبروا عنه في معارضاتهم ، سواء أكانت معارضة صريحة أو معارضة ضمنيــة .

من الشعراء الذين عارضوا تنصيب رضا شاه ، وإنهاء حكم الدولة القاجارية الشاعر ايرج ميرزا القاجاري ، فقدأغضبه أن يُنهى حكم أسرته ، ويتولى الأمرَ رضا شاه ، وقد جاء تعليقه ساخراً كعادته ، وإن تجنب الهجوم المباشر خوفاً من بطش رضا ورجاله :

« درباره ٔ خلع أحمد شاه وجانشینی پهلوی »

خوب داند حساب خویش جهان
این محاسب بسی ذکی باشـد
احمد از تخت چون فرود آیـد
پهلوی جاش متکی باشـد
به حساب جمل هم از شمـری
«احمد» و«پلهوی» یکی باشد(۱)

وترجمتها :

« بخصوص خلع أحمد شاه وتنصيب البهلوى مكانه »

ـ إن الدنيا تعرف حساباتها معرفة جيدة ، فهي محاسب غايـة في الحصافة والذكاء .

ـ عندما سقط أحمد من على كرسي الحكم ، اتكأ مكانه البهلوي .

ـ وإن تتبع طريقة حساب الجمل ، فستجد أن « أحمد » و «پهلوى» قيمتهما واحدة .(۲)

لعله يريد القول ، يامن تتطلعون إلى تحقيق الآمال العريقة بتولي رضا شاه وعزل أحمد شاه ، لا داعي لهذا التفاؤل ، فكلاهما واحد ، ولا فرق بين هذا وذاك ، ولا أمل يرجى من كليهما !

۱ ـ ديوان ايرج ميرزا ، ص : ۱۷٥ .

۲ ـ حساب كل من (احمد) و (بهلوي) بحساب الجمل هو : ٥۳ .

وقد وافق ايرج ميرزا في موقفه هذا، الأديبُ المشهور « صادق هدايت » حيث قال في مقدمة روايته الشهيرة « البومة العمياء » ؛ ما ترجمته :

« وفي إيران أسفرت سنين الكفاح الطويلة (١٨٩٦ - ١٩٢١ م) والمعاناة والألم عن لا شيء ، وذهبت هدراً دماء الأبطال الذين سقطوا مبقوري البطون ، مقطوعي الرؤوس ، وعلقوا على أعواد المشانق في تبريز وطهران ، وفي كل مدينة ثارت من أجل الحكم الديمقراطي ، وضد الحكم الديكتاتوري القاجاري من ناحية ، والتدخل الروسي القيصري والبريطاني من ناحية أخرى. لقد ولّد المخاض الطويل النبيل هباءً ، وانزوى الأبطال، وأهيل عليهم رماد النسيان في المنفى والسجون ...[1]

ومن الشعراء الذين تعرضوا بالنقد لتنصيب رضا شاه الشاعر الصحفي فرخي اليزدي ، الذي لم يستطع مواصلة الحياة في إيران تحت حكم رضا شاه ، فآثر اللجوء إلى ألمانيا ، لكي يستطيع أن يعبر

---

١ صادق هدايت : البومة العمياء (الترجمة العربية للدكتور ابراهيم شتا) ص : ٩ ، ١٠ ، وهدايت كاتب ايراني مشهور ، وقد كان على معرفة باللغة البهلوية القديمة كما كان يجيد اللغة الفرنسية ، وقد توفي في حوالي عام ١٩٥١ م ، وقد كتب قصصا قصيرة ، ومسرحيات وروايات من اهمها : بوف كور (البومة العمياء) ، حاجي آقا ، زنده بكور (حي بالقبر) ، سه قطره خون (ثلاث قطرات من الدم) ، علوية خانم ، بروين دختر ساسان (بروين ابنة ساسان) ، ومن الملاحظ انه كان يترك ابطال رواياته يتحدثون بلغاتهم الخاصة ، حسب اماكن وجودهم ، وطبقا لوضعهم الاجتماعي .

- انظر : لغت نامه ، فرهنك إدبيات فارسي دري ، از صبا تا نيما ، مقدمة البومة العمياء (الترجمة العربية) ، وغيرها من الكتب .

عن آرائه بحرية ودون ضغط أو إرهاب . وقد ورد خبر طريف في مقدمة ديوانه الذي نشره حسين مكي ، ملخصه :

بمجرد وصول فرخي اليزدي إلى برلين ، لم يكف لحظة عن مواقفه النضالية ضد رضا شاه ، فكتب عدة مقالات في مجلة « پيكار » هاجم حكومة إيران والشاه رضا . فإذا بسفير إيران لدى ألمانيا يسعى لدى المسئولين هناك لتقديم رئيس تحرير مجلة پيكار وكذلك محرريها إلى المحاكمة بحجة أن المجلة بمقالاتها العدائية إنما تتدخل في الأمور الداخلية للإمبراطورية الإيرانية ، وتعتدي على شخص الشاه وتسب ذاته الملكية .

استُدعِيَ فرخي اليزدي إلى هذه المحاكمة ، وإذ به يقدم من الوثائق ، ويدلي من البيانات ما يدمغ الشاه وحكومته ، وتستمر المحاكمة ، وتقدم الجريدة ما يثبت صحة ما تقوله عن الحكومة ، وأخيراً يصدر الحكم من المحكمة الألمانية بإدانة الشاه رضا بهلوي ، وبراءة مدير مجلة « پيكار »[1] .

واستمر فرخي في تهجمه على رضا شاه ، إلى أن اتصل به بعض رجال البلاط الإيراني ، وطلبوا منه العودة إلى إيران ووعدوه بأن الشاه لن يتعرض له بالاعتقال ، وخدع فرخي في وعودهم ، وعاد ، ولكنه اعتقل فور عودته وأودع السجن حتى مات فيه ، وقد صور حاله في سجنه ، فقال :

---

١ ــ مقدمة ديوان فرخي بقلم حسين مكي ، ص : ٤٣ ، ورسالة الماجستير للزميل الدكتور أحمد الخولي ، مكتبة كلية الآداب ــ جامعة عين شمس .

شب غم روز من ، وماه محن سال منست
روزگار بستگه از دست تو اینحال منست
بسکه دلتنگ ازین زندگی تلخ شدم
مردن اکنون بخدا غایت آمال منست
دوست با هر که شدم دشمن جانم گردید
چکنم ،اینهمه از شومی اقبال منست
درمیان همه مرغان چمن فصل بهار
آنکه بشکسته شد از سنگ ستم بال منست[1]

وترجمتها :

ـ ليل الأحزان يومي ، وشهر المحن عامي ، وأصبح زماني زمن الاعتقال على يديك .

ـ كم أصابني الضيق والضجر من حياتي المُرة الصعبة ، لذا فإنني أقسم بالله أن الموت أصبح غاية آمالي .

ـ لقد وثقت في من عاداني[2] ، فماذا أفعل ؟ إن هذا من سوء حظي وتعثّر إقبالي !

ـ إنني الطائر الوحيد بين طيور الخميلة في فصل الربيع ، الذي تحطم جناحاه بفعل أحجار الظلم والجبروت !



---

١ ـ ديوان فرخي ، ص : ٧٥ .
٢ ـ أي وثق فيمن خدعوه ، وطلبوا منه العودة،فكان جزاؤه الاعتقال!

ومن الشعراء الذين عارضوا رضا شاه بعد تنصيبه كذلك ، محمد تقي بهار ملك الشعراء ، لذا اعتقل أكثر من مرة في عهده ، كما نُفي خارج العاصمة أيضاً ، وفي إحدى المرات التي اعتقل فيها نظم منظومة أطلق عليها اسم «كارنامه زندان» أي «سجل السجن» صور فيها كيف ألقي القبض عليه ، وكيف دفع به إلى السجن على الرغم من مرضه ، ثم وصف لنا السجن ورفاقه فيه ... إلى غير ذلك من الأحداث التي تعرض لها حتى أفرج عنه ونفي إلى مدينة أصفهان ، ولم يسمح له بالعودة إلى بيته في العاصمة طهران إلا بعد فترة طويلة (١) .

ومن الطريف أن بهار أورد في هذه المنظومة قصة إقصاء أحمد شاه وما فعله رضا خان حتى اعتلى العرش، واستخدم في هذه القصة رموز الشطرنج ، حيث شبه إيران برقعة الشطرنج ، وعلى الرقعة استطاع أحد العساكر (رضا) أن يقول : مات الملك (أي أحمد شاه) ، وذلك بعد أن تمكن من قتل وزارئه وعساكره وبقية حراسه من فيلة وغيرها . ولعلها تكون نهاية طريفة لهذا الفصل !

اينچنين بود احمد قاجــار
شاه مشروطى بود وكم آزار
دادمش من بنوبهار بســى
پند چون دُر شاهوار بسى
گفتم آنشه كه تنگ چشم بود
دل مردم ازو بخشم بــود
چون دل خلق شد بخشم ازشاه
زودش ازگاه افكنند بچاه

١ ـ سنعرض لهذه المنظومة بشيء من التفصيل في الفصل الاول من الباب الثالث .

چون رعیت زشه شود رنجه
گرددش سست زور سرپنجه

یارعایا شوند بر وی چـــیر
یاسپاهی بر او شوند دلیر

نشنید وملول گشت از من
دید بر من بدیدهٔ دشمن

خلق از اویك بیك نفورشدند
دوربودند ، باز دور شدند

روز میجست خصم فرزانه
تاکند بازیئی درین خانـــه

دید چون خلقرا ز شاه بـــری
بازیئی کرد بهرشاه بری

رخ نهان کرد واسب تازی کرد
باشه آغاز پیل بازی کرد

زد وزیران شاه را بزمین
ساخت از خود پیادهٔ فرزین

مات شد شاه ما در اول دست
وآن پیاده بجای شاه نشست

دل شه بود خوش بسیم وزرش
وز رعیت نداشت دل خبرش

گفت در غرب اگر کلم کارم
بیهٔ که درشرق تاج بگذارم

لا جرم رفت خاسر ومغلوب
اخترش هم بغرب كرد غروب[1]

★ ★ ★

وترجمتها :

ــ هكذا كان أحمد شاه ، ملكاً دستورياً ، ولكنه كان عديم الحيلة!

ــ كم وجهتُ له النصح في « نوبهار[2] » وكانت نصائح كالدر الشهواري .

ــ فقلت له : إن الملك الضيق الأفق عديم البصيرة ، سرعان ما يضيق الناس به ويتبرمون .

ــ وإذا ضاق الناس ذرعاً بأحد الملوك ، سرعان ما يسقطونه عن عرشه ، ويلقون به إلى الهاوية .

٥ــ وإذا ما تبرمت الرعية من السلطان ، فإن الضعف يحيق بها والهوان .

ــ فإما أن تثور الرعية ضده ، وإما أن ينقلب الجيش عليه .

ــ ولكنه لم يمتثل للنصح ، بل اعتراه الضيق مني ، وبدأ ينظر لي نظرة العدو .

ــ وإذا بالخلق ينفرون منه واحداً واحداً، وينفضون عنه، ويتركونه وحيداً .

---

١ ــ كارنامه زندان ، ديوان ملك الشعر بهار ، جـ ٢ ، ص : ٩٢ ، ٩٣ .
٢ ــ جريدة كان يصدرها ملك الشعراء بهار .

ـ وفجأة ظهر خصم حصيف ذكي ، ظهر حتى يلاعبه وهو في هذه « الخانـــة » .

١٠ـعندما رأى الخلق ينفرون منه ويبرءون ، بدأ اللعب لـــكي يجهز على الملك .

ـ أخفى « الطابية » وأسرع «بالحصان» ، ثم عاجل الملك «بالفيل».

ـ فطرح وزراء الملك أرضاً ، ورقى نفسه من « عسكري » إلى « وزير » .

ـ وفي أول خطوة أعلن « مات الملك » وهكذا جلس « العسكري مكان الملك » .

ـ كان قلب ملكنا (أحمد شاه) متعلقاً بالفضة والذهب ، ولم يكن يعرف شيئاً عن الرعية .

١٥ـ فقال: إن أبع الحضر في الغرب، يكن هذا أفضل من أن أتولى الملك في الشرق .

ـ ولا جرم أن رحل خاسراً مهزوماً، وأفل نجمه بتوجهه إلى الغرب!

★ ★ ★

هكذا ندرك أن رضا خان كان يقف وراء الدعوة إلى قيـــام حكم جمهوري في إيران خلال السنوات (١٩٢٣ـ١٩٢٥م) ، وعندما أدرك أن الدعوة قد أثمرت ، وأن الإيرانيين قد تقبلوا فكرة تغيير الهيئة الحاكمة ، عدل عن الدعوة إلى النظام الجمهوري؛ واكتفى بأن يكون التغيير قاصراً على تغيير الأسرة الحاكمة ، ولتكن أسرته البهلوية هي الأسرة الحاكمة الجديدة !

الباب الثاني

من القضايا الاجتماعية

الفصل الأول

الانتصاف للطبقات الكادحة

الفصل الاول

الانتصاف للطبقات الكادحة

التعسف الاجتماعي :

لقد أدركنا أثناء دراسة الباب الأول مقدار الاضطراب السياسي الذي كانت تعيشه إيران خلال النصف الأول من القرن الحالي ، وقد واكب هذا الاضطراب السياسي ظلم اجتماعي ، سواء في ظل الدولة القاجارية ، أو تحت حكم رضا شاه البهلوي ، وأمام هذه الحياة الاجتماعية المجحفة في كثير من مظاهرها ، انطلقت ألسنة الشعراء لكي تصب جام غضبها وانتقادها على الطبقات المرفهة وعلى رأسها الملك ورجال البلاط والمتصلون بالقوى الاستعمارية التي تعبث في إيران فساداً ، فيزداد حال الأغنياء غنى ، ويتضاعف فقر الفقراء والكادحين ، كل هذا يحدث على الرغم من تطلع البعض إلى الثورة الدستورية على أنها ستحقق الرفاهية والمساواة لجميع الإيرانيين ، وقد أشار إلى ذلك فرخي اليزدي ؛ حيث قال :

شد دورهٔ تساوی در این دیار شوم
فرق است دور میانه شاه وگدا هنوز

طوفان انقلاب رسد اى خدا وليك
ما در محيط كشمكش ناخدا هنوز[1]

وترجمتها :

– حل عهد المساواة ، وما يزال في هذه الديار التعيسة فرق شاسع بين الشاه والشحاذ

– يا إلهي ! لقد جاء طوفان الثورة ، ولكننا ما زلنا غرقى في محيط الصراع على الربان !

ولعل الشاعر فرخي قد أنشد هذين البيتين أيام احتدام النقاش بين رضا خان وأنصاره من جانب وبين خصومهم من جانب آخر على كيفية نظام الحكم المرتقب ، ومن الذي يسوس البلاد ، وهل يظل البيت القاجاري ، أم يتولى رضا زمام الأمور ، وكأن الشاعر يقول : دعونا من هذا ومن ذالك واهتموا بمصالح الطبقات الكادحة ، وارفعوا عنهم ما يقاسونه من ظلم وتفرقة اجتماعية واضحة ، فهؤلاء الكادحون هم الذين ساندوا الثورة الدستورية ، فأين المصلح الذي يحقق لهم العدالة الاجتماعية التي ثاروا من أجلها ؟

ومن الذين وجهوا سهام نقدهم إلى الطبقات المرفهة الشاعر ايرج ميرزا ، وقد صورهم جميعاً كاللصوص الذين يسرقون ؛ لا لكي يعيشوا كما يضطر إلى ذلك بعض اللصوص من الطبقات الفقيرة ، وإنما يسرق هؤلاء الأغنياء والوزراء ورجال البلاط من أجل المزيد من

---

١ ـ ديوان فرخي اليزدي ، ص : ١١٥ .

الثروات والضياع ، ورغبة في منصب أو جاه ؛ ثم عرج في حديثه إلى الطبقات المعدمة وما تعانيه من شدائد وكوارث من أجل كسرة خبز ..... . ومما قاله :

بزرگان وطن از حماقه
نباشد بر وطن يك جو علاقة
يكى از انگلستان پند گيرد
يكي با روس‌ها پيوند گيرد
به مغز جمله اين فكر خسيس است
كه ايران مال روس وانگليس است
بزرگان در ميان ما چنينند
از آنها كمتران كمتر ازينند

٥ — بزرگانند دزد اختيارى
ولى اين دسته دزد اضطرارى
بغير از نوكرى راهى ندارند
والا در بساط آهي ندارند
تهى دستان گرفتار معاشند
براى شام شب اندر تلاشند
از آن گويند گاهى لفظ قانون
كه حرف آخر قانون بود « نون »
اگر داخل شوند اندر سياست
براى شغل وكارست ورياست

١٠ — رعايا جملگى بيچارگانند
كه از فقر وفنا آوارگانند

ز ظلم مالك بي دين هلاكند

به زير باى صاحب ملك خاكند [1]

وترجمتها :

– إن عظماء الوطن بما هم فيه من حماقة ، لا تربطهم بالوطن أي علاقة

– فبعضهم يستمد النصح من الإنجليز ، وبعضهم الآخر حريص على صلته بالروس !

– إذ يسيطر على أذهانهم فكر وضيع ، مؤداه أن إيران ملك للروس والإنجليز .

– وهكذا أصبح عظماؤنا فيما بيننا ، أحط شأناً وأقل مكانة من صغارنا !

٥ – إن هؤلاء العظماء ليسوا إلا لصوصاً بمحض اختيارهم ، بينما احترف الآخرون اللصوصية مضطرين !

– إنهم لا يعرفون طريقاً غير الخدمة والعبودية ، وإلا تملكتهم الآهات والحسرات على الأعتاب والبلاط .

– أما الفقراء فهم أسرى المعاش ، لذا فهم في سعي وكد من أجل طعام العشاء

– إنهم يتلفظون في بعض الأوقات بكلمة قانون ، وذلك لأن آخر حرف في كلمة قانون هو « نون » [2]

---

١ ـ ديوان ايرج ميرزا ، ص : ١١٥ ·

٢ ـ نون : بالفارسية الدارجة تعنى «الخبز» ، حيث ان الكلمة الصحيحة هي « نان » ولكن الفرس ينطقون الالف التي تكتب قبل النون او الميم واوا مضموما ما قبلها ·

ـ وإن انخرطوا في عالم السياسة ، فمن أجل العمل والتطلع إلى الرئاسة

١٠ ـ إن الشعب كله بؤساء ومساكين ، فقد شردهم الفقر والفناء وأصبحوا مقهورين

ـ لقد ألم بهم الهلاك من ظلم الإقطاعي المارق ، كما أصبحوا ثرى تطؤه نعال الرأسمالي !

★ ★ ★

وقد شارك أشرف الجيلاني ايرج ميرزا في اتهامه الوزراء بالسرقة واللصوصية في حين عدم الفقراء ما يستر أجسادهم ، ويسد رمقهم :

بعض وزرا مسلكشان راهزنی شد
سری علنی شد
گشته عُلما غرقه در این لای وبلجن وای
ای وای وطن وای
سوزد جگر از ماتم خلخال خدایا
محشر شده آیا ؟
یك جامه ندارند رعیت به بدن وای
ای وای وطن وای[1]

١ ـ اشرف : نسيم الشمال ، نقلا عن از صبا تانيما ، جـ ٢ ، ص : ٧٣

وترجمتها :

— إن بعض الوزراء يسلكون مسلك اللصوصية ، سواء أكان ذلك في السر أو العلانية .

— كما غرق العلماء في هذا المعترك ، وذلك الخضم ، فواحسرتاه على الوطن ! واحسرتاه !

— أما المكلومون المساكين ، فهم غرقى الأحزان والمأتم ، إلهي ! هل جاء يوم الحشر ؟

— لا يملك أحد من الرعية أي ثياب ، فواحسرتاه على الوطن ! واحسرتاه !

وإذا كان ايرج ميرزا قد صور الشعب الإيراني أغنياءه وفقراءه بصورة لم يفاضل فيها كثيراً بين طبقة وأخرى ، فإن الشاعرة الإيرانية « پروين اعتصامي » قد نظمت قطعة شعرية ضمنتها حواراً طريفاً بين قطرتي دم ، سقطت إحداهما من يد السلطان ، بينما سقطت الثانية من قدم حطاب ، فتوجهت قطرة دم سلطان بدعوة إلى قطرة دم الحطاب للاتحاد معاً ، ولكن قطرة دم الحطاب ترفض العرض بإباء وعزة نفس قائلة لها : من الأفضل لي أن أتحد مع دمعة يتيم ، أو مع قطرة دم لعليل ، لأن الفرق بيني وبينك جد عظيم ، فأنت قطرة دم سلطان تكونت من أشهى طعام وأغلاه ، أما أنا فلست إلا قطرة من دم حطاب مسكين يتعب ويكد من أجل كسرة خبز ، فكيف يمكننا أن نلتقي ؟ ثم دعت الشاعرة المكدودين للحفاظ على حقوقهم والقضاء على جلاديهم.

ومما جاء في هذا الحوار الشيق هذه الأبيات :

مناظرة

شنیده اید میان دو قطرهٔ خون چه گذشت
گه مناظره، یک روز بر سر گذری
یکی بگفت به آن دیگری، تو خون که ای
من اوفتاده‌ام اینجا، ز دست تاجوری
بگفت، من بچکیدم ز پای خارکنی
ز رنج خار، که رفتش بپا چو نیشتری
جواب داد ز یک چشمه‌ایم هر دو، چه غم
چکیده ایم اگر هر یک از تن دگری

ز ما دو قطرهٔ کوچک چه کار خواهد خاست
بیا شویم یکی قطرهٔ بزرگتری
براه سعی وعمل، با هم اتفاق کنیم
که ایمنند چنین رهروان ز هر خطری
بخنده گفت، میان من وتو فرق بسی است
توئی ز دست شهی، من ز پای کارگری
برای همرهی واتحـاد باچو منی
خوش است اشک یتیمی وخون رنجبری
تو از فراغ دل وعشرت آمدی بوجود
من از خمیدن پشتی وزحمت کمری

تُرا به مطبخ شه، پخته شد همیشه طعام
مرا به آتش آهی وآب چشم تری
تو از فروغ میِ ناب، سرخ رنگ شدی
من از نکوهش خاری وسوزش جگری

* * *

ز قید بندگی ، این بستگان شوند آزاد
اگر بشوق رهائی ، زنند بال وپری

یتیم وپیره زن ، اینقدر خون دل نخورند
اگر بخانهٔ غارتگری فتد شرری

بحکم ناحق هر سفله، خلق را نکشند
اگر ز قتل پدر،پرسشی کند پسری

۱۵ ـ درخت جور وستم،هیچ برگ وبار نداشت
اگر که دست مجازات،میزدش تبری

اگرکه بد منش را کشند بر سر دار
بجای او ننشیند بزور ازو بتری[1]

---

۱ ـ ديوان بروين اعتصامي ، جـــاب بنجم ۱۹٦۲ م ، ص : ۲٤٤ ، وبروين ابنة الاديب المشهور اعتصام الملك ، وقد ولدت عام ۱۲۸٥ هـ ٠ ش (۱۹۰۷ م) ، وتلقت تعليمها المدرسي بالمدرسة الامريكية بطهران ثم عملت بالتدريس فيها بعد تخرجها ، أما عن ثقافتها الفارسية والعربية ، فقد تولاها أبوها وبعض المعلمين الذين وفرهم لها في البيت ، كما كان والدها يشجعها على النظم ، حيث يقدم لها بعض الترجمات عن حكايات لافونتين ويطلب منها أن تنظمها شعرا ٠ وقد كان والدها مـــن أوائل الايرانيين الذين نادوا بتعليم المرأة الايرانية وتحريرها من كل القيود التي تباعـــد بينها وبين الحياة الاجتماعية ، ومن المعروف أن يوسف اعتصامي ترجم كتاب « تحرير المرأة » لقاسم أمين ، وأراد أن يعبر عن ايمانه بهذه الدعوة ، فعلم ابنته وسمح لها بالعمل ٠ ماتت بروين في ريعان شبابها وذلك عام ۱۹٤۱ أي ولها من العمر أربعة وثلاثون عاما فقط ٠ وقد خلفت لنا ديوانا شعريا نشر خمس مرات حتى الآن ٠ (لمعرفة المزيد عن الشاعرة يرجع الى ديوانها،والى الكتاب الذي كتبه مؤلف هذا الكتاب باللغة العربية وعنوانه : شاعـــرة ايران : بروين اعتصامي : صوت المرأة الشرقية في العصر الحديث ٠ دار حراء بالقاهرة ۱۹۷۷) ٠

وترجمتها :

مناظـــرة

– أسمعتم ماذا حدث بين قطرتي دم ، عندما كانا يتناظران ذات يوم على قارعة الطريق ؟

– إذ قالت إحداهما للأخرى : دم من أنت ؟ لقد سقطت أنا من يد سلطان !

– قالت (الأخرى) : لقد نزفت من قدم حطاب ، حيث انغمدت في قدمه الأشواك وكأنها خنجر !

– فأجابت : كلانا من نبع واحد ، فلم الهم والحزن إذا كانت إحدانا من جسد وأخرانا من جسد ثان :

٥ – ولكن أي عمل يمكن أن يتأتى من قطرتين صغيرتين متفرقتين ، تعالي نتحد ونكون قطرة عظيمة !

– تعالي نتفق معاً في طريق السعي والعمل ، وبهذا نستطيع مواصلة الحياة دون التعرض لأي خطر !

– فضحكت قائلة : كم من فروق بيني وبينك ، أنت من يـد سلطان ، وأنا من قدم عامل

– من الأفضل لي أن أتحد مع دمعة يتم ، أو أن أزامل قطرة دم عليل

– لقد أقبلتِ إلى الوجود من فراغ القلب والرفاهية ، أما أنا فمن انحناءة الظهر وتحمل المشقة .

١٠ – دواماً أعدوا لك الطعام بمطبخ السلطان ، أما أنا فعلى نار الآهة ، ودمعة العين .

– لقد اكتسبتِ لونك من إشراقة الخدر الصافية ، أما أنا فمن وخز الشوك وحرقة الكبد .



– سيتحرر هؤلاء المكبلون بقيود العبودية ، إن يحركوا أجنحتهم شوقاً إلى الخلاص !

– ولن يتحمل اليتيم والعجوز هذا القدر من الألم ، إن يضرموا النار في منزل المغير .

– ولن يقتل الخلق بأمر السفلة الجائرين ، إن يسأل الابن عن قاتل أبيه .

١٥ – وما أثمرت ولا أورقت شجرة الظلم والجور مطلقاً ، إن تضربها يد المجازاة بالفأس .

– إن يصلب سيء الطوية على المقصلة ، فلن يخلفه من يفوقه قسوة وجبروتا !!



وإذا كانت بروين قد انتصفت للحطاب على الملك ، ودعت الكادحين للحفاظ على حقوقهم بالتصدي لكل طاغية ، فقد دعا الشاعر إيرج ميرزا إلى التعاون بين صاحب العمل والعمال ، فصاحب العمل لن يستطيع أن يواصل العمل بدون مجهود العامل ، كما أن العامل يحتاج إلى صاحب العمل لكي يحصل عن طريق العمل لديه على قوته وقوة أولاده ، وهكذا تكون العلاقة بينهما علاقة تكامل وتعاون لصالح الطرفين ، وعلى هذا يجب أن يحسن صاحب العمل معاملة العمال ،

وألا ينظر إليهم نظرة إقلال ، وألا يتعالى على الكادحين ، فبدونهم لن يستطيع أن يجمع ما يكنزه من ذهب وأموال :

كارگر و كارفرما

شنيدم كار فرمايى نظر كرد
ز روى كبر ونخوت كارگر را

روان كارگر ازوى بيازرد
كه بس كوتاه دانست آن نظر را

بگفت اى گنجور، اين نخوت ازچيست
چو مزد رنج بخشى رنجبر را

من از آن رنج برگشتم كه ديگر
نبينم روي كبر گنجور را

٥ — تو از من زور خواهى، ومن ز تو زر
چه منت داشت بايد يكدگر را

تو بر من مى دهى گر بدرهٔ زر
مَنت تاب روان ، نور بصر را

نخواهم چون شراب كس بخوارى
خورم با كان دل خون جگر را

ز من زور وز تو زر، اين بآن در
كجا باقيست جا عُجب وبَطَر را

فشانم از جبين گوهر درين خاك
ستانم از تو پاداش هنر را

١٠ ـ بكس چون رايگان چيزى نبخشند
چه كبرست اين خداوندان زر را
چرا بر يكدگر منت گذارند
چو محتاجند مردم يكدگر را [١]

وترجمتها :

العامل وصاحب العمل

ـ سمعت أن أحد أصحاب العمل ، قد نظر إلى أحد العمال نظرة ملؤها الكبر والتعالي

ـ فتألمت روح العامل ، حيث أدرك ما تحمله هذه النظرة من امتهان له وازدراء .

ـ ثم قال : يا صاحب الكنوز ! لمَ هذا التعالي ؟ أبهذه الطريقة تكافئُ العامل على تحمله المشاق ؛ ؟

ـ إنني أتحمل كل هذه الهموم والآلام ، حتى لا أرى مرة أخرى تكبر أي ثري وصاحب كنوز !

٥ ـ أنت تأخذ مني العافية ، وأنا آخذ منك المال ، فأي فضل لأحدنا على الآخر بعد ذلك ؟

ـ فإن كنت تدفع لي بعض مالك ، فإنني أقدم لك معاناة الروح ونور العين .

---

١ ـ ديوان ايرج ميرزا ، ص : ١٦٤ ، ١٦٥ .

— إنني لا أرغب في أن أطعم شيئاً بذلة ، وإنما أحصل على مسا أبتغيه ممزوجاً بدماء كبدي

— وهكذا أبذل العافية من جانبي ، وتبذل المال من جانبك ، أيّ واحدة بواحدة ؛ فماذا يوجب العجب والتكبر ؟

— كم يتساقط الدر من جبيني على هذا التراب ، ولهذا آخذ منك أجر ما أفعل .

١٠ — إن أرباب الكنوز والأموال لا يدفعون شيئاً بلا مقابل ؛ فلم هذا الكبر والتعالي ؟

— وإذا كان كل إنسان في احتياج للآخرين ، فلمَ يمنّ إنسان على آخر ؟



الثورة ضد الظلم والظالمين :

اندلعت نار الثورة الروسية (١٩١٧ م) والمعركة محتدمة بين الطبقات الكادحة الإيرانية وبين جلاديهم من الطبقة الحاكمة وأعوانهم وقد وجد بعض الشعراء في مبادىء الثورة الروسية من انتصاف للعمال والفلاحين ما يتفق ودعوتهم لتحرر المكدودين لذا رحب بعض الشعراء بهذه الثورة الروسية ، واقتبسوا بعض رموزها في حديثهم عن الطبقات الكادحة وما تعانيه ، ونادوا بمواجهة أصحاب رؤوس الأموال والإقطاعيين ، ومن الذين تحدثوا عن هذه الثورة في دواوينهم الشاعر محمد تقي بهار ، حيث قال بعد موت نيكولا الثاني القيصر الروسي المعزول :

مبین تو زار وزبون مردمان غوغا را
که رزمجوئی غوغا بکشت زار ، تزار
نقاط مسکو وپطر ، از تزار برگشتند
دو نقطه چونکه یکی گشت شد تزار نزار
بباد ، اصل وتبار وقتیل ، نسل ونتاج
نه تاج ماند ونه تخت ونه صفه ماند ونه بار
دو مار بودند آری تزار وفرزندش
زمانه بین که بر آورد از این دومار دمار [1]

وترجمتها :

— لا تنظر بعين الاستهانة والاستقلال إلى العامة ، فقد تمكنت ثورة العامة من قتل ضعفهم وكذا القيصر .

— لقد استردوا كلا من موسكو وبطرسبرج من القيصر ، وما أن توحدت هاتان المدينتان حتى انهار القيصر .

— وذهب أدراج الرياح كل القياصرة وذووهم ، وفقدوا التاج والعرش ، ولم تبق لهم أي صنفة أو قيمة .

— لقد كان القيصر وابنه مجرد ثعبانين ، ولم ينتج عن هذين الثعبانين إلا الخراب والدمار

ولعل حديث بهار وغيره من الشعراء عن الثورة الروسية ، كان الهدف منه التحريض على الثورة ضد البيت القاجاري والقضاء على المفاسد والآثام التي يرتكبها أفراده ضد الطبقات الكادحة ، لذا نرى الشاعر

---

١ ـ ديوان بهار ، جـ ١ ، ص ٣١٢ .

فرخي اليزدي يدعو الشعب الإيراني للإطاحة بهؤلاء الطغاة ، مستخدماً المنجل والمطرقة (وهما رمزا الثورة الروسية) :

از ره داد ز بیدادگران باید کُشت
اهل بیدادگر اینست وگر آن ، باید کُشت
آنکه خوش پوشد وخوش نوشد وبیکار بود
چون خورد حاصل رنج دگران بایدکشت
مسکنت را ز دم داس درو باید کرد
فقر را با چکش کارگران باید کُشت
بی خبر تا کی بود از دل دهقان مالك
خبر اینست کز آن بی خبران باید کُشت
هر چه گفتیم ونوشتیم چه آدم نشدند
زین سپس اول از این گاو وخران بایدکشت[1]

وترجمتها :

ــ كم يقتضي العدل أن يُقتل الظالمون ، وسواء أكان الظالمون من هؤلاء أو هؤلاء ، فمن الواجب أن يُقتلوا !

ــ أولئك الذين يلبسون أفخر الثياب ، ويطعمون أشهى طعام ، كيف ينهبون حصاد كد الآخرين دون عمل يبذلونه ، من الواجب أن يقتلوا !

ــ يجب أن تجتث المسكنة بحد المنجل ، كما يجب أن يسفك دم الفقر بمطرقة العامل .

---

١ ــ ديوان فرخي اليزدي ، ص : ٧٨ .

– إلام يظل الإقطاعي غافلا عن آلام الفلاح؟ وخلاصة القول أن يقتل هؤلاء الغافلون !

كم قلنا ، وكم كتبنا دون أن يصيروا آدميين
لذا يجب سفك دماء هؤلاء الثيران وأولئك الحمير !

★ ★ ★

وإذا كان بهار وفرخي قد أشارا في شعرهما إلى الثورة الروسية ، وما أحدثته من تغيير في النظام الاجتماعي ، والقضاء على الطبقات المرفهة اللاهية العابثة ، ورد الحقوق إلى أصحابها من العمال والفلاحين ، فهناك من الشعراء مَن لم يكن لهم أدنى صلة بالثورة الروسية أو بالاتحاد السوفيتي ، ونادوا بالإصلاح الاجتماعي ، وضرورة الإطاحة بكل مراكز الطغيان من رأسمالية مجحفة ، وإقطاع مستبد . ويكفينا في هذا المجال أن نستشهد بما جاء في شعر بروين اعتصامي ، حيث وجهت الحديث في إحدى مقطوعاتها الشعرية إلى أحد الكادحين تطالبه بالثورة والقضاء على كل من بغوا عليه وسلبوه حقوقه ؛ ومما جاء في هذه القطعة :

ای رنجبر

تا بكي جان كندن اندر آفتاب ای رنجبر
ريختن از بهر نان از چهرهٔ آب ای رنجبر
زينهمه خواری كه بينی ز افتاب وخاك وباد
چيست مزدت جز نكوهش يا عتاب ای رنجبر
از حقوق پايمال خويشتن كن پرسشی
چند ميترسی ز هر خان وجناب ای رنجبر

جملهٔ آنان را که‌چون زالو مکندت خون بریز
وندران خون دست وپائی کن خضاب ای‌رنجبر

دیو آز وخود پرستی را بگیر وحبس کن
تا شود چهر حقیقت بی حجاب ای رنجبر
گر که اطفال تو بی شامند شبها ، باك نیست
خواجه تیهو میکند هر شب کباب ای رنجبر
گر چراغت را نبخشیده‌است گردون روشنی
غم مخور میتابد امشب ماهتاب ای رنجبر
در خورِ دانش امیرانند وفرزندانشان
تو چه خواهی فهم کردن از کتاب ای رنجبر
مردم آنانند کز حکم وسیاست آگهند
کارگر کارش غم است واضطراب ای رنجبر

هر که پوشد جامهٔ نیکو بزرگ‌ولایق اوست
رُو تو صدها وصله داری بر ثیاب ای‌رنجبر
هر چه بنویسند حکام اندرین محضر رواست
کس نخواهد خواستن زیشان حساب ای رنجبر[1]

وترجمتها :

ايهـا الكـادح

– إلى متى تضحي بروحك تحت وهج الشمس أيها الكادح؟
وإلى متى تريق ماء وجهك أملا في كسرة خبز أيها الكادح ؟

---

١ – ديوان بروين اعتصامي ، ص : ٨٢ ، ٨٣ .

— مع كل هذه الذلة وتلك المهانة التي تراها من الشمس والتراب والرياح ، لا جزاء لك إلا التوبيخ والعقاب ؛ أيها الكادح !

— سل عن حقوقك المغتصبة ، فإلى متى يعتريك الخوف من كل سلطان وصاحب منزلة ؛ أيها الكادح ؟

— واسفك كزال[1] دم كل من امتصوا دماءك ، ثم خضب بهذا الدم يديك وقدميك ؛ أيها الكادح !

٥ — وألق القبض على كل شيطان للطمع ، وعلى كل متكبر ، ثم وألق بهم رهن السجون ، حتى يظهر وجه الحقيقة بلا قناع ؛ أيها الكادح ؟

— إذا قضى أولادك العديد من الليالي بلا عشاء ، فأي أهمية لذلك ما دام السيد قد أتخم في كل ليلة بالشواء ؟ أيها الكادح !

— وإذا كان قنديلك قد عدم الضوء والضياء دهراً مديداً ، فلا تحزن ، إذ الليلة يسطع ضوء القمر ؛ أيها الكادح !

— في رواق العلم يتواجد الأمراء وأولادهم ، فماذا تريـــد أن تفهمه أنت من الكتاب ؛ أيها الكادح !

— أولئك الذين يحترفون الحكم والسياسة ، قد جعلوا حياة العامل غماً واضطراباً ، أيها الكادح !

١٠ — لا يلبس فاخر الثياب إلا العظماء والأثرياء ، أما أنت فقد علت ثيابك مئات الرقاع ؛ أيها الكادح !

---

١ — زال : والد رستم بطل ابطال ايران خلال العصور الاسطورية ، وكان بطلا هو الآخر ، حيث حارب هو وابنه لنصرة الشعب الايراني ضد أعداء شعبهما من الطورانيين .

– كل ما يسطره الحكام في هذا الدفتر نافذ ، ما دام أحد لا يحاسبهم ، أيها الكادح !

وهكذا تجرأت الشاعرة بروين اعتصامي وطالبت بضرورة محاسبة الحكام ، حتى يدركوا أن الشعوب لهم بالمرصاد ، تجازيهم خيراً إن فعلوا الخير ، وشراً إن ارتكبوا الشر ، وزادوا من حماقاتهم مع شعوبهم ، وهؤلاء الحمقى لا تجدي معهم إلا الثورة عليهم والإطاحة بهم ، ولا شك أن جرأة بروين تعد - كما يرى المستشرق بيرتلس - أمراً يستحق الاهتمام والتسجيل ، فقد جاء الكلام متسماً بالشجاعة ، وما سمع قط مثله من امرأة قبل ذلك الوقت[1]

التكافل الاجتماعي :

إذا كانت النماذج السابقة قد ارتبطت بالظلم الاجتماعي الذي ساد النظام الطبقي الإيراني خلال النصف الأول من القرن العشرين ، وما تبع هذا الظلم من دعوة إلى الثورة ضد الظالمين ، فهناك أشعار تغنى بها ناظموها لكي يحثوا أهل الغنى والعز على الإحساس بمشاعر الفقراء والمساكين ، حتى يقدموا لهم العون ، ويمدوا لهم يد المساعدة من منطلق الشعور الإنساني المحض ، دون قوانين تفرض عليهم تقديم المساعدة ، ودون ثورة تقضي على أموالهم وممتلكاتهم وتؤممها لصالح هؤلاء المعوزين .

---

١ – Bertels. Otcherk Ostari Persidoskoy Literaturi, Leningerad, 1928, p. 163 .

ولا شك أن دواوين جميع الشعراء خلال النصف الأول من هذا القرن قد حفلت بالقصائد والقطع التي قيلت في هذا الصدد ، حتى لا يكاد يخلو ديوان أي شاعر من الدعوة إلى التكافل الاجتماعي بصوره المختلفة لذا سنذكر نموذجين فقط أحدهما لملك الشعراء محمد تقي بهار، والآخر للشاعرة پروين اعتصامى ، لنوضّح بهما اهتمام الشعر بالدعوة إلى التكافل الاجتماعي .

أما عن النموذج الأول ، فقد نظمه ملك الشعراء بهار عام ١٣٠٥هـ. (١٩٢٦ م) وذلك بمناسبة اشتداد الصقيع والبرد في شتاء هذا العام فوجه حديثه للقادرين لكي يتذكروا الأيتام والعجائز والمساكين الذين حرموا المسكن والملبس ، وعدموا القدرة على مواجهة تلك العاصفة الثلجية ، وقد بدأ بهار مسمطه بالحديث عن العاصفة وما أحدثته من جو كئيب في العاصمة طهران ، ووسط هذا الجو المكفهر المظلم يبدو على المسرح جدار متهدم وينام بجواره طفل يتيم وكلب مسن هزيل، ناما وقد تعانقا وكأنهما حبيبان التقيــا بعد طول غياب ، ولكنهما التقيا في الحقيقة بعد طول بحث عن كسرة خبز أو عظمة غطتها الثلوج. ثم قال :

« شب زمستان »

هر دو محروم از سعادت ، هر دو محكوم فنا
پيش طوفان طبيعت ، پر كاهى بى بها
هر دو را نقص قوانين خرد كرده زير پا
سگ فقير وبينوا ، كودك فقير وبينوا
هر دو يكسانند با يك امتياز
اينكه سگ را پوستينى هست باز
گشته خالى كوچه وبازار از آيند وروند
بر گدا كرده نگاه استارگان با زهر خند

باد هر دم داده دشنامش به آواز بلند
جای خاکش برف افشانده بفرق مستمند

لیك زنگ نیمشب با صد خروش
بر توانگر گفته هر دم نوش نوش

ای توانگر در غم بیچارگان بودن خوشست
در جهان بر بینوایان مهربان بودن خوشست
در پی جلب قلوب این وآن بودن خوشست
چند بیرحمی ، بفکر مردمان بودن خوشست

چند روزي ترك عادت بهتر است
این عمل از هر عبادت بهتر است

. . . .

ای غنی از جنبش وجوش گدایان ، الحذر
ای نواداران ز یأس بینوایان ، الحذر
ای زبر دستان ز خشم خرده پایان ، الحذر
ای توانگر زینهمه ظلم نمایان ، الحذر

لطف کن تا خلق ساکت بگذرند
بر تو با خشم وحسادت ننگرند

وترجمتها :

« ليلة الشتاء »

كلاهما محروم من السعادة ، كلاهما محكوم عليه بالفناء
كلاهما عديم القيمة أمام طوفان الطبيعة
كلاهما وطئته القوانين المجحفة بالنعال

الكلب فقير بائس ، الصغير فقير بائس
إنهما على قدم المساواة ، وإن تميز أحدهما على الآخر
إذ تميز الكلب بالفرو الذي يغطي جسده !

لقد خلت الشوارع والأسواق من الراحين والغادين
وإذا بالنجوم تنظر إلى المسكين نظرة كلها سموم وازدراء
وأخذت الرياح تسبه في كل لحظة ، وتلعنه بصوت جهـــوري دون حياء
ثم ألقت على مفرقه البرد والثلوج بدلا من الغبار والتراب
ولكن عندما دقت الساعة معلنة منتصف الليل
فإذا بها تقول للغني : إشرب بالهناء

أيها الغني ، ما أجمل التفكير في هموم الفقراء !
وما أجمل العطف في الدنيا على التعساء
وما أجمل استمالة قلب هذا ، وقلب ذاك !
وما أجمل أن يفكر الخلق فيمن عدم الأهل والأقرباء !
من الأفضل أن يتخلى الإنسان عن طباعه بضعة أيام
فهذا العمل يفضل كل عبادة !

أيها الغني ، احذر ثورة المساكين !
أيها السعداء ، احذروا يأس البائسين !
أيها العظماء ، احذروا غضبة المكدودين !
أيها الثري ، احذر كل هؤلاء المظلومين !
وتلطف ، حتى يمر باك الخلق صامتين
دون أن يرمقوك حاقدين حاسدين !

★ ★ ★

إذا كان بهار قد صور في منظومته حالة طفل يتيم فقد العائل والمأوى، فقد أكثرت بروين الحديث في ديوانها عن كل من يحتاجون إلى التكافل الاجتماعي سواء أكانوا أيتاماً أم عجائز أم شيوخاً أم أرامل ، وبطلة القصة التي نعرض لها عجوز قضت سنوات شبابها تعمل بالغزل والنسيج، وعندما تقدمت بها السنون تطلعت إلى الراحة والسكينة ، ولكنـــهـــا عدمت المعين والعائل ، فاضطرت إلى مواصلة العمل على الرغم من ضعفها وتعثرها . وقد قالت تصور حالها :

« اندوه فقر »

با دوك خويش ، پير زنى گفت وقت كار
كاوخ ! ز پنبه ريشتنم موى شد سفيد
از بس كه بر تو خم شدم وچشم دوختم
كم نور گشت ديده‌ام وقامتم خميد
ابر آمد وگرفت سر كلبهٔ مرا
بر من گريست زار كه فصل شتا رسيد
جز من كه دستم از همه چيز جهان تهيست
هر كس كه بود ، برگِ زمستان خود خريد
نور از كجا به روزن بيچارگان فتد
چون گشت آفتاب جهانتاب ناپديد
از رنج پاره دوختن وزحمت رفو
خونابهٔ دلم ز سر انگشتها چكيد
يك جاى وصله در همهٔ جامه‌ام نماند
زين روى وصله كردم، از آن رو ز هم دريد
ديروز خواستم چو بسوزن كنم نخى
لرزيد بند دستم وچشمم دگر نديد

من بس گرسنه خفتم وشبها مشام من
بوی طعام خانهٔ همسایگان شنید

۱۰ ـ در باغِ دهر بهر تماشای غنچه ای
بر پای من بهر قدمی خارها خلید
سیلابهـای حـادثه بسیار دیده‌ام
سیلِ سرشك زان سبب از دیده ام دوید
دولت چه شد که چهره ز درماندگان بتافت
اقبال از چه راه ز بیچارگان رمید
پروین ، توانگران غمِ مسکین نمیخورند
بیهوده‌اش مکوب که سرد ست این حدید(۱)

وترجمتها :

« هموم الفقر »

ـ قالت عجوز لمغزلها وقت العمل : لقد جللت الدنيا مفرقـي بالبياض لكثرة ماغزلت من قطن .

ـ ما أكثر ما أحنيت عليك ظهري ، ، وأجهدت عيني ، حتى خبا نور بصري ، وانحنت قامتي !

ـ جاءت السحب ، وأجهش سقف كوخي بالبكاء ، فقد حل فصل الشتاء !

ـ لا تخلو يد غير يدي من كل متاع الحياة ، فقد اشترى كل شخص في الوجود لنفسه أردية الشتاء .

---

۱ ـ ديوان پروين اعتصامي ، ص : ۸۱ ، ۸۲

٥ – من أين يسقط ضياء على نافذة المساكين ، بعد أن تتوارى الشمس المشرقة ؟

– كم سالت دماء قلبي من الأنامل ، وذلك لكثرة ما رفوت ورقعت !

– لم يبق في أرديتي كلها مكان يستحق أن يوصل ، لأن ما وصلته قد تمزق مرات ومرات .

– أمس أردت أن أضع الخيط في الإبرة ، فارتعدت يدي وكف بصري .

– كثيراً ما نمت جائعة ، ومشامي في كل ليلة تشم رائحة الطعام بمنزل الجيران .

١٠ – إذا مررت بحديقة الدهر كي أشاهد البراعم والأزهار ، وخزت الأشواك قدمي في كل خطوة .

– كم تنهمر الدموع من عيني سيلا ؛ لكثرة ما رأتا من أحداث وخطوب !

– لمَ أصبح الحظ يشيح بوجهه بعيداً عن المساكين ؟ ولمَ يسارع الإقبال بالفرار بعيداً عن البائسين ؟

– بروين ! إن الأغنياء لن يشاطروا المسكين همومه ، فلا تدقي هذا الحديد البارد عبثاً !

لقد وفقت بروين في تصوير المحن والآلام التي تعيشها هذه العجوز المسكينة . ولعلها تخاطب الأغنياء والقادرين لكي يتولوا الشيوخ والعجائز بالرعاية ، ويوفروا لهم الدور التي ترعاهم صحياً واجتماعياً ، وأن يتذكرهم الوطن في مرحلة ضعفهم بعد أن أفنوا

شبابهم وعافيتهم في خدمة الوطن والمواطنين ، كما أحسنت بروين اختيار المهنة التي تحترفها هذه العجوز ، وهي صناعة النسيج ، ومن المعروف أن النسيج كان ذا شهرة كبيرة في إيران منذ القدم ، ولكن سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ، جعل هذه الصناعة في تخلف مما جعل النساج والغزالون ينعون حظهم كما سبق أن أشرنا في التمهيد [1] .

* * *

١ ــ انظر ص : ٢٣ من هذا الكتاب .

الفصل الثاني

الاهتمام بالعلم والعمل

الفصل الثاني

الاهتمـــام بالعـــلم والعمـــل

أشرنا في التمهيـــد إلى أن الجهل والبطالة والتواكل ، كانت من الأمراض الاجتماعية التي أوصلت إيران إلى ما كانت تعانيه من تخلف وضعف ، وأمام ما عانته إيران على أيدي القوات الروسية والبريطانية وما حل بالمواطنين من ظلم الحكام وذويهم ، ظهر العديد من المصلحين الاجتماعيين الذين حاولوا تنبيه الأذهان إلى هذه الأمراض الاجتماعية أملاً في النهوض بإيران ، واستعادة ما فقدته من عافية وتقدم واعتقد هؤلاء المصلحون أنه لا سبيل لتقدم إيران إلا عبر طريقين ، الأول العلم والثاني العمل .

أولا : الاهتمام بالعلم والتعليم :

حاول البعض ممن تصدوا بالنقد لما يعانيه الإيرانيون من مفاســـد اجتماعية عقد صلة بين ما هم من تخلف وبين ما يعانيه المواطنون من تفشي الجهل فقال فرخي اليزدي :

نادانى وجهل تا كه مارا كيش است
بد بخت ما هميشه بيش از پيش اســت

هر چند ادارات خرابند همه
بى شبهه خرابى معارف بيش است [1]

وترجمتها :

– طالما كان الجهل والجهالة مذهبنا ، فإننا سنزداد مع الأيام سوءاً وتخلفا !

– لقد خربت جميع الإدارات ، ولكن خراب العلوم والمعارف كان أكثر وأكثر !

وقد شاركت الشاعرة بروين اعتصامي ، الشاعر فرخي في أن ما أصاب إيران مرجعه إلى جهل الإيرانيين ، واسترخائهم في هذا الجهل عمراً مديداً ، وعلى هذا فلا خلاص لإيران مما تعانيه إلا بيقظة أبنائها وطرحهم أحمال الجهل عن أكتافهم :

ز اتش جهل ، سوخت خرمن ما
گنهِ برق وآفتاب نبود
سال ومه رفت وما همى خفتيم
خواب ما مرگ بود ، خواب نبود [2]

وترجمتها :

– احترق بيدرنا بنار الجهل ، ولا ذنب للبرق أو الشمس .

---

١ – ديوان فرخي ، ص : ١٧٠ .

٢ – ديوان بروين اعتصامي ، ص : ٢٠٩ .

ـ لقد انقضت السنون والشهور ونحن في سبات عميق ، وكأن نومنا ليس إلا موتاً واندثاراً !

وإذا كان الجهل وراء هذا التخلف فلابد وأن ترتفع الأصوات داعية الشعب الإيراني للتعلم ونبذ الجهل ، وقد قال ملك الشعراء بهار :

در جهل مباش ودانش انديش
كز جهل نرفت كارى از بيش
زنهار بفكر كار خود باش
بيگانه چنين مباش از خويش
با داروى فكر تا توانى
ميكوش بمرهم دل ريش [1]

وترجمتها :

ـ لا تتردّ في الجهل ، وفكر في العلم ، فعن طريق الجهل لن ينجز أي عمل .

ـ تدبر أمورك مسترشداً بالفكر والعلم ، ولا تكن هكذا غريباً عن نفسك

ـ واجتهد ما أمكنك في مداواة قلبك الجريح بـ « مرهم » الفكر ، ودواء العلم .

---

١ ـ ديوان ملك الشعراء بهار ، جـ ١ ، ص : ١٦٣ .

وإذا تسلح الإنسان بالعلم استطاع أن يحلق في أجواء الفضاء الرحبة ، فالعلم للإنسان بمثابة الجناحين للطائر ، فإذا كان الطائر لا يستطيع أن يرتفع إلا بتحريك جناحيه ، فإن الإنسان لن يتمكن من الرفعة والرقي إلا إذا ارتقى سلم العلم والمعرفة :

مايهٔ هر سعادتي علم است
بخداى عليم بي انباز
كى ترقى كند كسى بى علم
مرغ بي بال كى كند پرواز
علم تحصيل كن كه سلم علم
از نشيبت برد بسوى فراز (١)

وترجمتها :

ـ أقسم بالله العلام الأوحد ، أن العلم أساس كل سعادة !
ـ ومتى ترقى إنسان بلا علم ؟ ومتى ارتفع طائر بلا جناح ؟
ـ اجتهد في تحصيل العلم والمعرفة ، حتى يرفعك سلم العلم من أسفل إلى أعلى !

وإذا كان العلم هو الوسيلة للرفعة والرقي ، فعلى الإنسان ألا يركن إلى جاه ، أو مكانة أسرة ، بل عليه أن يتدرع بسلاح العلم وبمجنة المعرفة ، ومما قاله إيرج ميرزا في هذا المجال :

---

١ ـ اديب الممالك فرهاني (أميري) نقلا عن أدبيات معاصر : رشيد ياسمي ، ص ٢٢ .

تکیه بر حس مکن ، در طلب علم برآی
این درختیست که هر فصل دهر بر تو ثمر
کوش از علم به خود تکیه گهی ساز کنی
چون ببندد حسن از خدمت تو ساز سفـــر
درس را باید زان پیش که ریش آید خواند
نشنیدی که بود درس صغر نقش حجر ؟
دانش وحسن به هم نور بـــود
وه از آن صاحب حسنی که بود دانشـــور
٥ ــ علم اگر خواهی با مردم عالم بـــنـــشین
گِل چو گُل کرد خوش بو چو به گُل شد همبر
هنری مرد به بد بختی وسختی نـــزیـــد
ور زید یك دو سه روزی نبود افزونـــتر [١]

وترجمتها :

ــ لا تركن إلى حسنك وجمالك ، وأقبـــل على طلب العلم ، فهو شجرة تجني ثمارها في كل الفصول

ــ واجتهد في أن يكون متكؤك العلم ، وإذا ما تخلف حسنك وجاهك عن خدمتك ، فاهجرهما وارحل

ــ عليك بتحصيل العلوم قبل أن تنبت ذقنك ، ألم تسمع بأن الدرس في الصغر كالنقش على الحجر ؟

ــ إذا اجتمع الجاه والعلم ، فهما نور على نور ، وأجمل بصاحب جاه إذا ما أصبح عالماً !

---

١ ــ ديوان ايرج ميرزا ، ص : ٢٢ .

— إن ترغب في العلم ، جالس العلماء ، فإن خالط الطين الورود صار طيب الرائحة كجلسائه

— إن الرجل الفاضل لا يعيش في ضنك وتعاسة مطلقاً ، وإن يعش ، فلن يتجاوز ذلك يومين أو ثلاثة !

وقد وجه الشاعر محمد تقي بهار رسالة على لسان إيران إلى جميع أبنائها. ومن بين ما قاله الشاعر ، ضرورة الإقبال على التعليم، فهـو الوسيلة الأولى لرقي الأوطان ، وعودة إيران إلى سابق مجدها ،ولكن الشاعر طالب أبناء الوطن بـأن يكونوا شرقيين في اتجاهاتهم ، وألا ينخرطوا في تيار التفرنج، الذي بدأت إيران تعاني من آثاره الضارة على الشخصية الإيرانية ، لا مانع من الإفادة من علوم الغرب والأخذ منها بقدر ما يفيد الشرق دون أن يفقد الشرق أصالته ؛ وكم عانت إيران من الغرب !!

بهوش باش كه ايران تو را پيام دهد
ترا پيام بصد عز واحترام دهـد
ترا چگويد ، گويد كه خير بيني اگر
بكار بندى پندى كه باب ومام دهد
ز درس حكمت وآداب رفتگان مگسل
كه اين گسستگيت خوارى مدام دهد
بعلم خويش بكن تكيه وبعزم درست
كه علم وعزم ترا عزت ومقام دهد

— ز درس پارسى وتازى احتراز مكـن
كه اين دو قوت ملى على الدوام دهد

مباش غره بتقليد غربيان كه بشرق
اگر دهد هنر شرقى احترام دهـــد
تو شرقيى وبشرق اندرون كمالاتى است
ولى چه سود كه غربت فريب تام دهـــد
ز غرب علم فراگير وده بمعدهٔ شرق
كه فعل هاضمة اش باتن انضمام دهد [1]

وترجمتها :

– انتبه ، فإيران تبعث إليك برسالة ، إنها ترسلها لك بكل إعـــزاز واحترام .

– ماذا تقول لك ؟ إنها تقول : كم سيتحقق لك الخير إن تلتـــزم بنصح والديك .

– لا تنقطع عن دراسة آداب السالفين وعلومهم ، لأن هذا الانقطاع يلحق بك الذلة والمهانة .

– اعتمد على علمك ، وكن صادق العزم ، فالعلم والعزم يحققان لك المكانة والعزة .

٥ – لا تتخل عن دراسة الفارسية والعربية ، فهما الأساس الـــراسخ للوطنية على الدوام .

– لا تنخدع بتقليد أهل الغرب ، ذكم يكون الشرقي مبجلاً إذا تسلح بفضائل الشرق .

---

١ – ديوان بهار جـ ١ ، ص ٥٦٦ – ٥٧٠ .

ـ أنت شرقي ، وبسمات الشرق تصل إلى الكمال ، وأي فائـــدة تجنيها إذا خدعت بالاتجاه إلى الغرب ؟

ـ خذ علوم الغرب ، ولكن اهضمها بمعدة الشرقي ، وبعد هضمها تصبح جزءاً من كيانك .

* * *

ومن المعروف أن ظاهرة التفرنج وإعطاء الظهر للشرق ، قـــد بدأت تظهر بوضوح لدى بعض الإيرانيين في العصر الحديث وبخاصة بعد نجاح ثورة كمال أتاتورك في تركيا. وساعد على ذلك سفر البعض إلى أوربا للدراسة أو السياحة ، فعادوا مبهورين بحضارة الغرب وتقدمه ، وبدأوا يتطاولون على الثقافة الإسلامية ـ الإيرانية والعربية ـ ، وأراد هؤلاء المتفرنجون تغيير بعض مقومات الحضارة الإيرانية واستبدالها بحضارة الغرب بكل أنماطها المادية والمعنوية ، ولكن هذه الدعوة لم تلـــق خلال النصف الأول من القرن العشرين استجابة تذكر ، وتصدى لها كبار العلماء والأدباء ، ولم يتقبل العامة معظم أفكار هؤلاء المتفرنجين مما حدا بهم إلى اتهام العامة بالجهل وعدم الإدراك وانعدام البصيرة . فأوجد هذا جفوة بين بعض المتعلمين وبين العامة ، حيث اتهمهم العامة بالعجب والتكبر والغرور ، واتهم هؤلاء المتفرنجون العامة ومن وقفوا معهم من ذوي الفكر والبصيرة ، وأهل العلم والأدب ، بالتخلف عن ركب المدنية ، وعدم مواكبة التقدم الحضاري الحديث [1] .

وفي وسط هذا العراك تبرز بروين اعتصامي الشاعرة والمصلحـــة الاجتماعية إلى السطح كي تدعو هؤلاء المتكبرين للنزول إلى العامـــة والأخذ بأيديهم ، وألا يعيشوا في أبراجهم العاجية بعيداً عن مشاكل

---

١ ـ ستكون هذه الدعوة محور الحديث في الفصل الثاني من الباب الثالث .

الجماهير وعواطفهم وأحاسيسهم ، وألا يركنوا إلى التكبر والغرور. وقد أوردت حواراً بين عالم متكبر وجاهل، بدأه العالم بالتعالي والتسامي على الجاهل ، مما حدا بالجاهل إلى أن يصارح العالم بأن العلم يكسب صاحبه الفضيلة ، وإذا كانت فضيلة العلم العجب والغرور ، فهو يحمد الله على حرمانه من هذه الفضيلة ؛ ومما جاء في هذا الحوار :

« باد بروت »

عالمی طعنه زد به نادانی
که بهر موی من دو صد هنر است
چون توئی را به نیم جو نخرند
مرد نادان ز چاربا بتر است
نه تن این ، بر دل تو بار بلاست
نه سر این ، بر تن تو دردسر است
بر شاخ هنر چگونه خوری
تو که کارت همیشه خواب وخور است
٥ — نسزد زندگی وبی خبری
مرده است آنکه چون تو بیخبر است
گر تو هفتاد قرن عمر کنی
هستیت هیچ وفرصتت هدر است
نه شما را ز دهر منظوری است
نه کسی را سوی شما نظر است
همهٔ خلق ، دوستان منند
مگسانند هر کجا شکر است
همچو مرغ هوا سبك بپرم
که مرا علم ، همچو بال وپر است

وقت تدبیر ، دانشم یار است
روز میدان ، فضیلتم سپر اســـت
هم ز جهل تو سوخت حاصل تو
عمر چون پنبه،جهل چون شرر است
تو ز گفتار من بسی بتّری
آنچه گفتم هنوز مختصر اســـت

* * *

گفت ما را سر مناقشه نیست
این چه پر گوئی وچه شور وشر است
بی سبب گرد جنگ وکینه مگرد
که نه هر جنگجوی را ظفر است

هیچگه شمع بی فتیله نسوخت
تا عمل نیست ، علم بی اثر است
خویش را خیره بی نظیر مدان
ما در دهـــر را بسی پسر است
خویشتن خواه را چه معرفتست
شاخهٔ عجب را چه برگ وبر است
در تو برقی ز نور دانش نیست
همه باد بروت بی ثمـــر اســـت
اگر این است فضل اهل هنر
خنکا آن کسی که بی هنر است (۱)

---

۱ ــ دیوان پروین اعتصامی ، ص : ۸٦ ، ۸۷ .

وترجمتها :

« رياح الغرور »

ـ طعن أحد العلماء جاهلا ، إذ قال له : إن في كل شعرة مني مائتي نوع من الفضل !

ـ أما أنت فلا يشترى من على شاكلتك بنصف دانق ، إذ أن الرجل الجاهل أسوأ من الحيوان .

ـ ليس هذا جسداً ، بل تحمل على قلبك أحمالا من الهموم ، وليست هذه رأساً ، بل إن ما تحمله على جسدك ليس إلا صداعاً وألماً

ـ كيف تليق بالفضل والعزة ، وليس لك من عمل إلا النوم والأكل على الدوام !

٥ ـ لا تتفق الحياة والجهل ، فكل جاهلٍ مثلك في عداد الموتى .

ـ حتى ولو عمرت سبعين قرناً من الزمان ، فستظل عديم القيمة ، هادراً لكل فرصة .

ـ إنك لا تحظى بنظرة من الدهر ، كما لا تستحق الاهتمام من أي شخص !

ـ أما أنا فالخلق جميعهم يلتفون حولي ، إنهم كالذباب ، يتجمعون حولي أنا الشبيه بالسكر .

ـ إنني أحلق في أجواء الفضاء كالطائر ، إذ العلم بالنسبة لي كالجناحين للطائر .

١٠ ـ إذا حل وقت التدبير ، كان العلم رفيقي ، وإذا ما اندلع أوار الحرب كان الفضل مجني .

ـ بالجهل تشعل النار في بيدرك ، إذ العمر كقطعة من القطن ، أما الجهل فنار متقدة .

ـ أنت أسوأ من كل ما قلته ، إذ لم أقل حتى الآن إلا القليـــل .

* * *

ـ قال إننا لسنا في حوار أو مناظرة ، فلمَ كل هذه الثرثرة ، وهذا الانفعال ؟

ـ لا تثر بلا داع غبار الحرب والحقد ، فالظفر ليس من نصيب كل محارب .

١٥ ـ ما اشتعلت شمعة بدون فتيل مطلقاً ، وإن لم يقترن العلم بالعمل فلا جدوى منه !

ـ لا تعتبر نفسك عبثاً بلا نظير ، فلأم الدهر أبناء عديدون

ـ أي علم لدى المغرور ؟ وأي ثمار لغصن العجب ؟

ـ لا بريق لنور العلم لديك ، بل كل ما لديك غرور غير مثمر !

ـ إذا كان هذا فضل أهل العلم ، فهنيئاً لمن لم يحظ بهذا الفضل !

* * *

الاشادة بالمعلم :

إذا كانت إيران ـ ومعها جميع أقطار الشرق كله ـ في حاجة ماسة للعلم والتعليم ، وأنه الطريق الأساسي لبناء الأوطان واستعادة أمجاد الشرق القديمة على أسس علمية حديثة ، فقد برز دور المعلـــم وضرورة الاهتمام به . والإشادة بما يبذله فداءً لوطنه ومواطنيـــه ،

وقد تحدث جميع شعراء هذه الفترة عن المعلم وأشادوا به ، ونادوا بتكريمه ، ومنهم الشاعر « يغمائي » حيث قال :

بدين كشور كسى خد متگزار است
که دهقان است یا آموز گار است

اگر دهقان ، توان از نان ببخشد
معلم ، روح بخشد جان ببخشد !

تن نادان بود با مرده یکسان
معلم، در چنین تن می دمد جان !

ز سعی اوستاد این جسم خاکی
فزون ز اختر شود در تابناکی !

* * *

٥ ـ بود آموزگاری، سخت کاری !
تو میدانی که خود آموزگاری !

بباید طشت خون لخت جگر کرد
که طفلی را الفبائی زبر کرد !

رسد جان بر لب بیچاره استاد
که تا حرفی بشاگردئ دهد یاد؟[1]

---

١ ـ نقلا عن تذكرة شعراي معاصر ايران ، جـ ١ ، ص ٤٥١ ـ ٤٥٢ ، وكان حبيب يغمائي شاعرا وكاتبا ومحققا ، وقصاصا ، ولد عام ١٢٨٠ ش (١٩٠١ م) وبعد أن انهى تعليمه عمل بالحكومة ثم أسندت اليه مهمة التدريس في المعاهد العالية ودار الفنون ، كما تولى رئاسة تحرير المجلة الرسمية للدولة وهي (اموزش وبرورش) « أي التعليم والتربية » ، ثم أصدر المجلة الادبية « يغما » وهي من المجلات ذات الدراسات الادبية الجادة والابحاث اللغوية المتخصصة ، وما زالت المجلة تصدر حتى اليوم .

وترجمتها :

– إذا كان هناك إنسان يتفانى في عمله في هذا الوطن ، فسيكون إما الفلاح أو المعلم !

– إذا كان الفلاح يهبنا الخبز ، فالمعلم يهبنا الروح ويمنحنا الحياة .

– الجسد الجاهل يتساوى مع الميت ، ولكن المعلم سرعان ما ينفث الروح في هذا الجسد .

– وبفضل مجهود المعلم وسعيه ، يصبح الجسد الترابي أكثر إشراقاً من الكواكب والنجوم



٥ – إن مهنة التعليم أمر بالغ الصعوبة، ولكن أتعرف ماذا تعني مهنة التعليم ؟

– إنها التضحية بالمزيد من دماء الكبد ، حتى يحفظ طفل واحد « ألف باء »

– كما أن روح الأستاذ المسكين تكاد تودع شفتيه ، حتى يعلّم أحد التلاميذ لفظاً واحداً !

وأمام اعتراف إيران – ومثلها في ذلك سائر بلاد العالم – بمكانة المعلم ، وما يقوم به من دور عظيم في رقي الأمة . وتعليم أبنائها سائر العلوم والمعارف الإنسانية ، فقد استحدثت إيران عيداً تحتفل فيه بالمعلم وتكرمه ، وأصبح هذا العيد مناسبة قومية تتكرر في كل عام ، حيث يُكرم المعلمون الممتازون ، وتلقى القصائد في الإشادة

بالمعلم ودوره المستمد من رسالة الأنبياء عليهم السلام . ومن الذين شاركوا في هذه المناسبة الشاعر والأديب « سرمد » ومما قاله :

(روز معلم)

گر بر تو فاش قدر معلم نیست
پوشیده بر من متعلم نیست
قدر معلم از متعلم پرس
کاینسان بحق چو من متکلم نیست
بشنو ز من که قائمهٔ عالم
بی علم وبی معلم قائم نیست
عرش خدای کرسی تعلیم است
یعنی کس برتبهٔ عالم نیست
زان شد نبی نبی که معلم شد
هرگز نبی نشد که معلم نیست
« روز معلم » أعظم ایام است
کان خود بروزگار اعاظم نیست
« روز معلم » اول ایجاد است
این نکته گرچه بر تو ملایم نیست
تعلیم اگر نباشد در عالم
عالم بجز محیط مظالم نیست
آنجا که علم نبود ظالم هست
آنجا که علم باشد ظالم نیست
وآنجا که جهل هست ستم هم هست
جز جاهل وستمگر حاکم نیست

چون علم مجتمع بكمال آيـد
کس اهل ظلم و کس متظلم نیست
عیش معلم است نعیم عـلـم
در قسمتش معیشت ناعم نیست [1]

وترجمتها :

(يـوم المعـلم)

– إن كنت لا تعرف قدر المعلم ، فقدره ليس خافياً عليّ أنا المتعلم .

– سل المتعلم عن قدر المعلم ، ولكنه لن يوفيه حقه ، مثلما أوفيه !

– لتسمع عني ! إن أساس هذا العالم لا يستقيم إذا انعدم العلم والمعلم .

– كرسي التعليم هو العرش الإلهي ، أي لا وجود لمن يحظى بمرتبة « عالم » في هذه الدنيا .

٥ – كان نبي القرآن معلماً ، إذ لا وجود م يكن معلما !

– « يوم المعلم » أعظم الأيام ، وليس بين الأيام ما يدانيه في العظمة .

---

١ – نقلا عن تذكرة شعراي معاصر ايران ، جـ ١ ، ص ٢٤٠ – ٢٤٢ وصادق سرمد من الشعراء المبرزين في هذه الفترة التاريخية التي نتعرض لدراستها ، من منظوماته الشعرية « خورشيد ائينه فلك ، بائيز كبود ، مهتاب وشهاب ، وبدر طالع » وقد ولد عام ١٢٨٦ ش (١٩٠٧ م) بمدينة طهران ، وانهى دراسته الادبية ثم الحقوقية ثم التحق بوزارة العدل ، بعد ذلك انخرط في سلك السياسة حيث أصدر جريدة أطلق عليها اسم « صداى ايران » . والى جانب أعماله هذه ذكر أنه كان حاضر البديهة سريعا في نظم القصائد الطوال . وتعتبر قصائده التي تحدث فيها عن المعلم ومكانته (ثـلاث قصائـد) مـن القصائد التي لا نظير لها في اللغة الفارسية كلها . لمعرفة المزيد ، ارجع الى تذكرة شعراي معاصر ايران تأليف سيد عبد الحميد خلخالي ج ١ ص ٢٢٤ وما بعدها .

ـ « يوم المعلم » أول يوم في الوجود إنهـا حقيقة حتّى ولو كنت غير متقبل لها !

ـ إذا انعدم التعليم من العالم ، أصبح العالم محيطاً من المظالم .

ـ فحيثما انعدم العلم ، وجد الظالم ، ولكن لا وجود لظالم مـع انتشار العلم .

١٠ ـ وحيثما وجد الجهل ، تفشى الظلم ، ولن يكون الحاكم إلا جاهلاً ظالماً .

ـ وإذا بلغ العلم في أي مجتمع حد الكمال ، فلا وجود فيه لظالم أو متظلم .

ـ حياة المعلم نعيم العلم ، وإن كان نصيبه من الحياة شظف العيش ! !

★ ★ ★

لقد صدق الشاعر حيث يعيش أهل العلم في بلاد الشرق عيشة لا تتفق وما يبذلونه من عطاء ، ولن تتقدم أي أمة إلا إذا كرمت المعلم ، وبذلت المزيد من أجل رفع مستوى التعليم !



ثانيا : الاهتمام بالعمل

واكبت الدعوة إلى العلم والتعليم ، دعوة أخرى بضرورة بذل الجهد والعرق حتّى تستطيع إيران أن تسترد سابق مجدها ، ولا يمكن أن يتم ذلك دون المشاركة من جميع الإيرانيين ، وذلك بطرح أثمال التراخي والتكاسل ، وارتداء أردية العمل المتواصل ، ومهما كان نوع العمل الذي يمارس ، فهو يبني لبنة في صرح التقدم والرفاهية التي

ينشدها الجميع . وقد تحدث معظم الشعراء عن الاهتمام بالعمل وبالعمال ، وبضرورة تحمل الشدائد في هذا المضمار حتى ترتفع هامات الإيرانيين ، وألا يكونوا عالة على الأجانب ولا طريق لمجابهتهم إلا بالعمل الشاق والمتواصل . ومن الذين تحدثوا في هذا المجال الشاعر سرمد حيث قال :

مرد دانا كار گيتي را نگيرد سرسرى
سر فرازى بايدت ميبايد از سر بگذرى
سخت‌جانى بايد اندر زير بار حادثات
با حوادث برنيايد سستى وتن پرورى
در قبال زور منذان زورمندى لازم است
ورنه طعمه اقويا گردى بجرم لاغرى
سرورى تانگيرد خواجه‌ات دربندگى
برترى جو تا نجويد برتو ناكس برترى

٥ — ليس للإنسان إلا ما سعى گفتند از آن
تاتو نان در سايه سعى وثبات‌خود خورى
من ندانم از كجائى وكجا خواهى شدن
اينقدر دانم كه ميبايست راهي بسپرى
اختران همچون زمين سرگشته اند اندرهوا
توچه ميخواهى جرم مشترى نيك اخترى
آدميرا از بهائم فرق عقل ودانش است
ورنه تودر خواب وخور همرتبهٔ گاو وخرى[1]

---

١ — رشيد ياسمي : ادبيات معاصر ، ص : ٥٦ .

وترجمتها :

- لا يأخذ العاقل أمور الدنيا هراء وعبثاً ، وأنت يلزمك حسن التفكير إن كنت تنشد الرفعة .

- يجب التضحية والفداء أمام أحداث الزمان ، لا أن تضعف أمام الأحداث وتروم السلام .

- لا مجابهة مع الأقوياء إلا باستخدام القوة ، وإلا أصبحت بجريرة ضعفك لقمة سائغة للأقوياء !

- لتنشد الرفعة حتى لا تصبح عبداً لأي سيد ، وابحث عن العزة حتى لا يتطلع أحد إلى أن يكون لك سيداً .

٥- لقد قالوا : ليس للإنسان إلا ما سعى ، لذا وجب عليك السعي بكل ما تستطيع بقوة وثبات !

- إنني لا أعرف من أين أتيت ، وإلى أين ستمضي ، وكل ما أعرفه هو ضرورة عبورك طريق الحياة !

- الأفلاك مثلها مثل الأرض سابحة في الفضاء ، فلماذا تسأل المشتري حسن الطالع ؟

- ما يميز الإنسان عن البهائم العقلُ والعلمُ ، ولكن إن تستسلم للنوم والأكل ، فأنت في مرتبة الثور والحمار .

★ ★ ★

لقد حرص الشاعر على حث مواطنيه على السعي المتواصل. فعلى قدر سعي الإنسان يكون الجزاء في الدنيا والآخرة، وإذا كانت إيران مرتعاً للقوتين العُظميين في ذلك الوقت وهما إنجلترا وروسيا ، فإنها

لن تستطيع أن تجابه قوتهما إلا بقوة ذاتية نابعة من عمل أبنائها وتفانيهم في أعمالهم لإعادة بناء الوطن بناء قوياً متماسكاً ، كما حرص الشاعر على نبذ فكرة التفاؤل والتشاؤم استناداً لما تقوله النجوم ، ومن المعروف أن عادة التنجيم كانت منتشرة في كل بلدان الشرق ومنها إيران ، لذا يدعو الشاعر مواطنيه أن يكونوا واقعيين ، وأن يركنوا إلى أعمالهم لا إلى الطالع والنجم والحظ وما شابه ذلك من الأمور التي تدعو إلى التواكل والتكاسل ، وما يجرانه على الشرق من تخلف وانحطاط ، أما إذا كان اعتماد الإنسان على عمله وعلمه ، فإنه يستطيع أن يحقق كل ما يصبو إليه من تقدم وسمو لنفسه ولوطنه . ويكفي الإنسان أن يتفرس حكمة الله في خلق الإنسان على الهيئة التي أوجده عليها ، فكل عضو من أعضاء الجسد البشري مكلفاً بعمل ، فإذا ما أحسن العبد استخدام هذه الأعضاء استخداماً أمثل ، كان الخير عميماً والنفع عظيماً ، وقد أشارت بروين إلى هذه الحكمة الإلهية والنعمة الربانية ، عندما جلس فقير معدم على قارعة الطريق يستجدي الناس ، ويسألهم العطف عليه لما يعيش فيه من فقر ومسغبة وحرمان . فإذا بهاتف يعنفه على مسلكه هذا ويقول له :

گفتش اندر گوش دل ، رب ودود
گر نبودی کاردان ، جرم تو بود
مـــا ترا بی توشه نفرستاده ایم
آنچـــه می بایست دادن ، داده ایم
دست دادیمت که تاکاری کنی
درِهَمی گر هست ، دیناری کنی
پای دادیمت کـــه باش پابجـــای
وا رهانی خویش را از تنگنـــای

۵ – چشم دادم تادلت ایمن کنـــد
بر تو راه زندگی، روشن کنـــد
ما کس را ناشتا نگذاشتیم
این بنا از بهر خلق افراشتیم
این توانائی که در بازوی تست
شاهد بخت است ودرپهلوی تست
گنجها بخشیدمت ، این ناسپاس
که نگنجد هیچکس را در قیاس
عقل ورای وعزم وهمت، گنج تست
بهترین گنجور ، سعی ورنج تست

۱۰ – عارفان ، چون دولت از ما خواستند
دست وبازوی توانا خواستـــنـــد

وترجمتها :

– حدثه الله الودود في أذن قلبه، قائلا : إن لم تكن موفقاً ، فالجرم جرمك !

– نحن لم نرسلك مجرداً من كل زاد ، فقد منحناك كل ما يجب منحه .

– منحناك يداً حتى تعمل ، فإن وجد درهم ، أصبح في مقدورك أن تجعله ديناراً .

– ومنحناك قدماً كي تتنقل من مكان إلى مكان ، ولتخلص نفسك من كل شدة أو ضيق .

---

١ – ديوان پروين اعتصامي ، ص : ١٢٤ – ١٢٥ .

٥ ــ ومنحناك العين حتى يشعر قلبك بالأمان ، وحتى يبدو طريــق الحياة واضحاً أمامك .

ــ إننا لم نترك إنساناً جائعاً ، وقد رفعنا هذا البناء من أجل الخلق .

ــ هذه القوة الكامنة في ساعدك ، وكذلك مـــا في كتفك ، شاهد حظك .

ــ أيها الجاحد ، لقد منحتك من الكنوز والنعم ما لم يستطع شخص قط إحصاءها .

ــ فليكن كنزك ما في حوزتك من عقل ورأي وعزم وهمة ، وأفضل كنز لديك سعيك وكدك .

١٠ ــ حين طلب العارفون الإقبال والتوفيق والحظ منا ، طلبوا يداً قوية وساعداً فتياً !

هذه القدرات الكامنة في الجسد البشري ، لم يمنحها الله لعباده كي يجعلوها حبيسة ، بل طالبهم بأن يحرروها ، ويوظفوها في أعمال وأفعال تعود بالنفع على الإنسان والبشرية ، وتفيد منها أوطانهم ، ولا شك أن دعوة بروين تتفق وجوهر الدين الإسلامي الذي يعتبر العمل عبادة ، ولم يكن الإسلام داعياً للتواكل كما يتهمه أعداؤه ، بل دين عمل وسعي وكد ونشاط !

وإذا ما صاحب العمل طموح إلى حياة أفضل ، فإن العـــامــل الطموح يستطيع أن يبلغ أقصى درجات الرقي والتقدم، فالطموح يرفع صاحبه إلى مصاف العظماء ، كما فعل مع الإسكندر الأكبر :

اهتمام وشوق اگر یاور شود	مرد خامل ذکر نام آور شود
کودکی نقاش بشناسم که داشت	آرزو تا قائد کشور شــود
چونکه قائد گشت لشکر گرد کرد	تابگیتی بر سران سرور شود
پس عجب نی گر ز گشت روزگار	مردك نقاش اسکندر شـود
علم باید تاجهان گیرد نظام	کار باید تاجهان چون زر شود[1]

وترجمتها :

ـ إذا تضافر السعي والطموح معاً ، فإنهما يجعلان الإنسان المغمــور ذائع الصيت مشهوراً .

ـ إنني أعرف طفلاً صغيراً كان يعمل رساماً ؛ ولكنه كان يتطلــع دائماً إلى أن يكون قائداً لوطنه

ـ وعندما أصبح قائداً ، جمع الجند حوله حتى يكون إمبراطــوراً على كل ملوك الأرض !

ـ ولكن لا تعجب من دورة الزمن ، حيث جعلت من هــذا الرسام الصغير الإسكندر .

ـ العلم ضروري للحياة حتى يستتب النظام ، والعمل ضرورة كي يحيل الدنيا منجماً للذهب !

ما أحوج الشرقي إلى هذا الطموح المواكب للعمل والسعي بجد ونشاط ، حتى يتخلص من التخلف الذي يرزح تحت نيره قدرنا ، ولكن ليس المقصود من الذهب في البيت الأخير ذلك المعدن المعروف

١ ـ ديوان ملك الشعراء محمد تقي بهار ، ج ٢ ، ص ٤٥٥ .

بهذا الإسم ، وإنما يعني الشاعر توفير الخير كل الخير للعاملين ، وهذا المعنى وضحه « بهار » في قطعة طريفة تصور شيخاً قد أشرف على الموت ، فجمع أولاده وأوصاهم بالحفاظ على ما سيرثونه من أرض، حيث يوجد بها كنز لم يتمكن من العثور عليه. فعليهم البحث عنه. فانهمكوا في عمل متواصل بحثاً عن الكنز ، ولكنهم لم يجدوا هذا الكنز ، وإنما أنتجت الأرض من الثمار أضعافاً مضاعفة نتيجة لما بذلوه من رعاية وعناية بأرضهم :

رنج و گنج

برو کار میکن ، مگو چیست کار
که سر مایهٔ جاودانی است کار
نگر تا که دهقان دانا چه گفت
بفرزندگان، چون همی‌خواست خفت
که میراث خود را بدارید دوست
که گنجی ز پیشینیان اندر اوست
من آنرا ندانستم اندر کجاست
پژوهیدن ویافتن با شماست

٥ – چوشد مهر مه کشتگه بر کنید
همه جای آن زیر وبالا کنید
نمانید ناکنده جائی زباغ
بگیرید از آن گنج هرجا سراغ
پدر مُرد وپوران بامید گنج
بکاویدن دشت بردند رنج

بگاو آهن وپیل کنـــدن زود
هم اینجا ، هم آنجا وهرجا که بود
قضارا در آن سال از آن خوب شخم
زهـــر تخم برخاست هفتاد تخـــم
— نشد گنج پیدا ولی رنجشان
چنان چون پدر گفت شد گنجشان

وترجمتها :

« الكد والكنز »

— امض منكباً على العمل دون أن تسأل عن نوع العمل ، فالعمل - أياً كان - هو رأس مال الخلود .

— وانظر ماذا قال فلاح حصين لأبنائه ، عندما كان في النزع الأخير :

— حافظوا على ما ترثونه من أرض ، ففيها كنز أخفاه السالفون .

— إنني لم أعرف مكانه ، فواصلوا البحث والعمل أنتم حتى تجدوه

— انقضت الأيام والليالي وهم يبحثون ، وقلبواالأرض عاليهـــا ومنخفضها .

— لم يتركوا مكاناً بالبستان دون أن يحفروه، وما تركوا بقعة دون بحث عن الكنز .

— مات الوالد، والأمل يحدو أولاده ، لذا شقوا الصحراء متحملين كل مشقة وتعب .

---

١ ــ ديوان ملك الشعراء بهار ، ج ٢ ، ص : ٣٣٠ .

— حرثوا الأرض ورووها بكل الآلات والمعدات ،وواصلوا عملهم هنا وهناك .

— فكافأهم القضاء في ذلك العام جزاء سعيهم المتواصل، بأن أنتجت كل بذرة سبعين ثمرة .

١٠ — لم يجدوا كنزاً ، ولكن كدّهم
كان — كما قال الوالد — كنزهم

لا شك أن الأشعار التي قيلت عن العمل والترغيب فيه كثيره سواء في النصف الأول من القرن العشرين ، وهو موضوع كتابنا هذا ، وسواء في أي عصر من العصور السابقة أو الحديثة ، فما دام للبشرية وجود ، فالعمل واجب وشرف يجب أن يحرص عليه الإنسان ؛ ولهذا أُنهي هذا الفصل بذكر عدة أبيات من نظم الشاعر « سميعي » تحدث فيها عن استغلال الطاقات الكامنة في الجسد الإنساني فيما يعود بالنفع من الأعمال، وأن الإنسان مطالب بالعمل خدمة لنفسه ولوطنه وللبشرية كلها ، وأن الخير كل الخير فيما يقوم به الإنسان من عمل لا فيما يثرثر ويرغي ويزبد ... إلى آخر ما تضمنته الأبيات التالية من معان وأفكار .

از دوش خلق اگر نتوانی گرفت بار
باری بدوش خلق مده بار خود قرار

خود کار کن زخرمن کس خوشه برمچین
خود رنج بر ، زنعمت کس توشه برمدار

این پنجه دلاور وبازوی زورمند
درپیکر تو ساخته اند از برای کار

باید که پنجه ات نشود رنجه از عمــل
باید که بازویت نشود خستــه ازفشار

۵ ــ مردم برای خدمت یکدیگرند وهست
آسایش وبقای جهان را بر آن مــدار

در سایهٔ وظیفه وسعی وعمل بــود
مرد را وسیله‌ای طلبد بهر افستنـخار

از کاهلی بوقت عمل اجتناب کــن
عمر عزیز را مده از دست زیـنهـار

تنها سخنوری نکنـــد کار را تمـــام
از حد لفظ چنـــد .قدم بیشتر گــزار

دعوی مکن حقیقتی ار یافتی بگــوی
صورت بهل وگر بودت معنیٔ بیــار

۱۰ ــ مردم اگر بدند توخود خوب شو که گل
گل باشد ار چه جای کند در میان خار

---

١ ــ نقلا عن تذكره شعراي معاصر : خلخالي جـ ١ ، ص ٢٥٨ ، وكان اديب السلطنة سميعي المتخلص في شعره باسم « عطا » من كبار الكتاب والشعراء في العصر الحديث ، من اثاره النثرية : جان كلام ــ ائين نكارش ــ دوازده منشي بيشا هنكي ، ومن آثاره الشعرية (ارزوي بشر) وقد نظمها بالفارسية والعربية معا ، وله أيضا جامعة الحيوانات الى جانب العديد من المقالات التي تناول فيها بالبحث والتمحيص قواعد اللغة الفارسية وسائر العلوم الادبية واللغوية ٠ كانت ولادته في عام ١٨٧٣ م ، أما وفاته فكانت في عام ١٩٥٣ م ٠ (انظر تذكرة شعراي معاصر ايران جـ ١ ص ١٥٦ وما بعدها) ٠

وترجمتها :

ـ إذا لم تستطع أن تخفف من أعباء الخلق ، فلا تلق بأعبائك على ظهورهم .

ـ أنجز عملك بنفسك ولا تقطف ثمرة من حصاد غيرك ، وتحمل الألم والمشقة ولا تطمع فيما ينعم به الآخرون .

ـ لقد وهبك الله هذه القبضة الكاسرة وذلك الساعد القوي من أجل العمل .

ـ لا يجب أن تكِلَّ قبضتك من أي عمل ، كما لا يضعف ساعدك أمام أي مجهود .

٥ ـ أوجد الله البشر ليكون كل منهم في خدمة الآخرين . لا من أجل الرفاهية والخلود في الدنيا .

ـ إذا كان للرجل أن يفتخر ، فليكن بما لديه من سعي وعمل ومجهود!

ـ تجنب الكسل والتراخي وقت العمل ، ولا تفقد عمرك الغالي هباءً وهدراً !

ـ بالكلام وحده لا ينجز أي عمل ، لذا يجب أن تتخطى الأقوال إلى الأفعال .

ـ لا تكن مدعياً ، بل انطق بالحقيقة أنّى تجدها ، وتخل عن الصورة واحرص على المعنى متى تحقق لك .

١٠ ـ إذا كان الجميع على سوء ، فلتكن أنت خيراً ، فالوردة تظل وردة مهما جاورت أشواكا !



ولا شك أن الحديث عن العمل، وثيق الصلة بالحديث عن العمال والفلاحين والاهتمام بمشاكلهم والعمل على رفع شأنهم ، والدفاع عن مصالحهم تجاه الرأسماليين والإقطاعيين ، ولكننا نكتفي بما ذكرناه في هذا الخصوص أثنـــاء الحديث عن الانتصاف للطبقات الكادحة في الفصل الأول من هذا الباب .

الفصل الثالث

تحرير المرأة

الفصل الثالث

تحرير المرأة

تمهيد :

كانت المرأة الإيرانية في أوائل القرن العشرين – مثلها في ذلك مثل المرأة في جميع أمصار الشرق – تعيش وراء الحجب والأستار محرومة من حقها في التعليم والمشاركة في بناء مجتمعها ، وقد صور صاحب كتاب « انقلاب مشروطيت » حالهن بقوله : «.. لما كانت نساء إيران هن الضعيفات في المجتمع ، فهن أكثر من حاق بهن الظلم ، حتى أن ما أصابهن من عنت ليفوق كل تصور ، ودواماً كان ينظر إلى المرأة بعين التحقير ، كما أنها لم تشارك على الإطلاق في الحياة الاجتماعية ، وقد حرمت من الحقوق العامة ، وعدمت الرعاية والمساواة ، كما أغفلت في مجال التربية والتعليم ... » (١)

ولكن النظرة إليهن بدأت تتغير تدريجيا ووجد من طالبوا بانصاف المرأة ومساواتها بالرجل ، وذلك نتيجة لانفتاح إيران على الغرب وسفر العديد من البعثات التعليمية إلى أوربا ، واطلاع أعضاء هذه البعثات على مشاركة المرأة

---

١ ـ مهدي ملكزاده : تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ج ١ ، ص : ١٠٢

الأوربية في الحياة العامة ، وكذلك اطلاع بعض مثقفي إيران على دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة والتي نادى بها في مصر ، ثم انتقلت منها إلى سائر أقطار الشرق ، فما أن كتب قاسم أمين كتابه « تحرير المرأة » ونشره في القاهرة عام ١٨٩٩ م ، حتى سارع أديب كبير في في ايران يُدعى يوسف اعتصامي بترجمة هذا الكتاب الى الفارسية ونشره في العام التالي - أي في عام ١٩٠٠ م - بمدينة تبريز الإيرانية وذلك تحت عنوان « تربيت نسوان » . (١)

ومما لا جدال فيه أن كتاب تربيت نسوان - إلى جانب العديد من المقالات التي نشرت في الصحف الإيرانية في ذلك الوقت - أوجد قضية شغلت الرأي العام في ذلك الوقت ، وقد اصطلح على تسميتها باسم « قضية تحرير المرأة » . وقد شارك في هذه القضية عدد من الشعراء الذين دافعوا عن المرأة الإيرانية بخاصة ،والمرأةالشرقية علىوجه العموم، ودعوا إلى إطلاق سراحها لكي تؤم مكاتب الدراسة ثم تكون شريكة بعد ذلك للرجل في بناء الوطن ، والعمل سويا على تقدمه .

الشعراء وتحرير المرأة :

من الشعراء الذين عنوا بالدعوة لتحرير المرأة الشاعر إيرج ميرزا ، وقد أتيحت له الفرصة لزيارة أوربا ، وقارن بين الدور الذي تلعبه المرأة الأوربية في مجتمعها ، وبين ما تعيش فيه المرأة الإيرانية من تخلف وجهل ؛ ومن بين ما قاله الشاعر إيرج ميرزا هذه الأبيات :

خدايا تا كى اين مردان بخوابند
زنان تا كى گرفتار حجابند

---

١ - لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع ، يرجع الى دراسات في الادب المقارن للمؤلف ، نشر دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٨ و ١٩٨٠ .

چرا در پرده باشد طلعت یــار
خدایا زین معما پرده بــردار
مگر زن در میان ما بشر نیست ؟
مگر زن در تمیز خیر و شر نیست ؟
چو زن خواهد که گیرد با تو پیوند
نه چادر مانعش گردد ونه روبند
زنان را عصمت وعفت ضرورست
نه چادر لازم ونه چاقچور است

. . . .

اگر زن را بیاموزند نامــوس
زند بی پرده بر بام فلك كوس
چو زن تعلیم دید ودانش آموخت
روان جان به نور بینش افروخت
به هیچ افسون ز عصمت برنگردد
به دریا گر بیفتد تــر نگردد
زن رفته كُلِژ دیده فاکولتــه
اگر آید به پیش تو دکولتــه
چو در وی عفت وآزرم بینی
تو هم در وی به چشم شرم بینی
تمنای غلط از وی محال اســت
خیال بد در او کردن خیال است

. . . .

در اقطار دگر زن یار مرد ست
در این محنت سراسر بار مرد ست

به هر جا زن بود هم پيشه با مرد
درين جا مرد بايد جان كند فرد [1]

وترجمتها :

– إلهي ! إلام يظل هؤلاء الرجال في نوم وغفلة ؟ وإلام تظل النساء أسيرات الحجاب ؟

– ولماذا يظل وجه الحبيب خلف الأستار والحجب ؟ فاكشف يا إلهي سر هذا اللغز !

– أليست المرأة بشراً بيننا ؟ أليست المرأة قادرة على التمييز بين الخير والشر ؟

– إن ترغب المرأة في الاتصال بك ، فلن تمنعها العباءة أو الحجاب !

٥ – كم يلزم المرأة العصمة والعفة ، ولا تلزمها العباءة أو السروال !

. . . .

– إن يعلموا المرأة الرسوم والآداب ، تمكنت من طرق أبواب الفلك بلا عباءة .

– عندما رأت المرأة التعليم ، ونهلت منه ، أضاءت روحها المشرقة بنور المعرفة .

– ولن تحيد عن العصمة تحت أي خرافة ، حتى ولو تسقط في أي بحر ، فلن تبتل أطرفها !

---

١ – ديوان ايرج ميرزا ، منظومة « عارف نامه » ، ص ٧٩ وما بعدها .

ــ إن كانت المرأة قد أمت الجامعة وذهبت إلى الكلية ، فماذا يحدث لو جاءت أمامك بثياب عصرية ؟

١٠ ــ فإن تر فيها العفة والحياء ، فإنك ستنظر إليها بعين الخجل والاحتشام .

ــ وسيكون توقع الخطأ منها ضرباً من المحال ، كما سيكون انتظار الخطيئة منها محض خيال !

. . . .

ــ إن المرأة شريكة للرجل في الأقطار الأخرى ، أما هنا فالرجل وحده أسير الهموم والمحن .

ــ كما أن المرأة تعمل بجوار الرجل في كل مكان ، ولكن على الرجل هنا أن يضحي وحده بالروح .



إذا كان إيرج قد طالب بطرح الحجاب جانباً ، فقد دعا إلى حجاب آخر لحمته العصمة وسداه العفة ، وهذا الحجاب أقوى وأمتن من الغلالة السوداء التي عرفت باسم الحجاب ، كما كان حريصاً على الدعوة لأن تتسلح المرأة الشرقية بسلاح التعليم الذي يساعدها على معرفة طريقها ، والتمييز بين الخير والشر ، فإذا ما وفرنا هذا السلاح للمرأة الشرقية ، فلا خوف بعد ذلك من خروجها إلى الحياة العامة كي تشارك الرجل في القيام بالمهام والأعمال التي تعود على الوطن بالنفع والتقدم .

هذه الدعوة ، إذا كانت قد وجدت من يناصرها ، فقد كان هناك الكثيرون ممن لا يوافقون عليها ويتهمون دعاتها بالخروج عن جادة الدين والخضوع لتقاليد الغرب ... ومن الذين وقفوا موقف المعارضة صاحب كتاب « حقوق المرأة في الإسلام والعالم » ويدعى يحيى نوري ، ومن بين ما قاله :

إذا كان هدف النساء من الدعوة للتحرير هو الحصول على الاستقلال الاقتصادي وحق العمل والتجارة ، فقد كفل الإسلام لهن هذه الحقوق .

وإذا كان غرضهن مساواة الرجل والمرأة أمام القانون ، فإن الإسلام قد ساوى بين البشر جميعاً ، كما ساوى بين الأسود الحبشي والأبيض القرشي .

وإذا كان غرضهن توفير حق التربية والتعليم للمرأة ، فإن الإسلام قد جعل هذا الحق فريضة على كل مسلم ومسلمة ...

إلى غير ذلك من الحجج التي ساقها المؤلف ، ثم الرد على كل حجة مفنداً لها ومثبتاً عدم صحتها ، وفي النهاية يقرر أن هذه الدعوة ليست نابعة من وجدان المجتمع الإسلامي ، وإنما مردها إلى رغبة النساء الشرقيات في التقليد الأعمى لنساء الغرب . (١)

ووجد من بين الشعراء من ساندوا هذا الموقف ، ووجهوا الدعوة للفتيات بأن يحافظن على الحجاب وما يمثله من حفاظ على الخلق

---

١ ـ يحيى نوري : حقوق زن در اسلام وجهان ، جاب سوم ، ايران ١٣٤٧ ش ، ص ١٥٨ ـ ١٦٣ .

القويم ، وأن المرأة مكانها البيت في النهاية ، وإذا كانت تتعلم ، فإنها تتعلم كي تكون أماً موفقة في تربية أبنائها ، وزوجة مخلصة تعمل في خدمة زوجها ، ولا داعي لخروجها إلى معترك الحياة المليء بالاضطراب والشرور ، ومن الذين تحدثوا عن هذه المعاني شعراً ، الأديب الكبير سعيد نفيسي وقد عبر عن رأيه هذا في قطعة شعرية بعنوان : « فتيات اليوم أمهات الغد » ؛ ولعله قالها في بداية حياته الأدبية لأنه كما يقول معظم مؤرخي الأدب لم يكتب شعراً بعد عام ١٩٣٥ م ، وحتى وفاته في عام ١٩٦٦ م .

دختران امروز مادران فردا

ای دخترکان ماه رخسار — وقت است اگر بهوش باشید
پند من بیدل دل افگار — بر دل بنهید وگوش باشید
غافل نشوید موقع کار — گر نیش خورید نوش باشید
ای پردگیان نغز دلدار — کوشید که پرده پوش باشید

آنکه شوید محرم راز

غره مشوید بر رخ خوب — کان نیز چو گل بس نپاید
جز خُلق نکوی وخوی مطلوب — خوبان زمانه را نشاید
بینید زمانه را پرآشوب — وین ظلم وستم که رخ نماید
جز سعی شما وصبر أیوب — از عهده هیچکس نیاید

کارام کند زمانه را بار

ای دخترکان رافت اموز — در دانش ومردمی بکوشید
در کینه چو برق خانمان سوز — با دشمن خود دمي بجوشيد

بر قامت دلبر دل افـروز جز جامهٔ تربيت نپوشيـد
تاكى چو عجوزكان بهر دوز از جور زمانه ميخـروشيـد
كايـن رنـج نبودتـان زآغـاز [1]

وترجمتها :

(فتيات اليوم امهات الغد)

ــ أيتها الفتيات الشبيهات بالبدور ، آن الأوان لكي تركنّ إلى العقل والتفكير !

ــ إصغين جيداً إلى نصيحتي الغالية ، واحفظنها من صميم قلوبكن .

ــ لا تغفلن عن رسالتكن الحقيقية ، ومهما تحملتن في سبيلها من مشاق ، فتحلين بالرقة والذوق .

ــ أيتها المحجبات الرقيقات ، اجتهدن في الحفاظ على الحجاب
حتى تكنَّ محرماً للأسرار

ــ لا تتخذن من الجمال باعثاً على الغرور والخيلاء ، فهذا الجمال كالوردة لا يدوم طويلاً .

---

١ ــ نقلا عن ادبيات معاصر : رشيد ياسمي ، ص ٥٧ ــ ٥٨ ، والاديب الكبير سعيد نفيسي من كبار رجال الادب الفارسي خلال القرن الحالي « ولد عام ١٨٩٦ م ٠ وبعد أن أنهى تعليمه المتوسط سافر الى أوربا لاستكمال دراسته الجامعية الطبية ، وقد قضى هناك تسع سنوات دون ان يكمل تعليمه الطبي لتعلقه بالادب اكثر من تعلقه بالطب،فعاد الى ايران، واهتم بالتحقيقات الصحفية ، ونشر كتب التراث بعد تحقيقها ، كما كتب عدة قصص الى جانب ما نظم من شعر في بداية حياته الادبية ، فقد ذكر انه لم ينظم شعرا بعد عام ١٩٣٥، وذلك لانه شغل بالتدريس في كليتي الحقوق والآداب،وبكتابة المقالات الصحفية وتاليف الكتب ، حتى وصل عدد ما الف وترجم ونشر الى اكثر من ومائة وخمسين كتابا وقصة ٠ وقد توفي نفيسي عام ١٩٦٦ ٠

– لا يجوز للفتيات أن يتجملن في هذه الأيام إلا بالخلق الطيب والطبع الحسن

– احذرن هذا الزمان المليء بالشرور ، وتجنبن هذه المظالم المتفشية .

– لن يستطيع أي شخص أن يحقق لكن الراحة في هذا الزمان .

إلا سعيكن وتذرعكن بصبر كصبر أيوب !

– أيتها الفتيات ، تحلين بالرقة ، واجتهدن في تحصيل العلم والأخلاق الحسنة .

– اجعلن هذه الشروز التي تقوض دعائم الأسرة ناراً تحرق عدوكن.

– احرصن على أن تكون أرديتكن أيتها الحسان ، متفقة مع الخلق والأدب .

– وذلك حتى لا تتعرضن للمشاق والمتاعب منذ البداية ، ثم تلهجن بالشكوى ؛

وذلك عندما تتقدم بكن السنون !

★ ★ ★

وعلى الرغم من أصوات المعارضين فقد واصلت القضية مسيرتها وواصل المدافعون عن المرأة إقناع أولي الأمر بتحرير المرأة وإتاحة الفرصة أمامها لكي تنهل من بحار العلم والمعرفة إلى أن صدر قانون برفع الحجاب وذلك في عام ١٩٣٥ م ، وأقيم احتفال كبير بهذه المناسبة حضره كبار رجال الدولة ، وشارك الشعراء في هذه المناسبة القومية ، وكان من بينهم ملك الشعراء محمد تقي بهار الذي ألقى قصيدة ، أقتطف منها هذه الأبيات :

ای زن

جوان بخت وجهان آرائی ایزن
جمال وزینت دنیائی ایــزن
صدف خانه است وصاحبخانه غواص
تو در وی گوهر یکتائی ایزن
تو یکتا گوهری در درج خانه
وزان بهتر که گوهر زائی ایزن
تو در عین لطافت زورمنــدی
تو هم گوهر تو هم دریائی ایزن

چو مغز اندر سر وچون هوش در مغــز
بجا ولایق وشایائی ایــزن
تعالی الله که در باغ نکوئــی
چو گل پاکیزه وزیبائی ایزن
خطا گفتم ز گل نیکوتری تو
که هم زیبا وهم دانائی ایزن
ترا حاجت بآرایش نبــاشــد
که خود پا تا بسر آرائی ایزن
نبودی زندگی گر زن نبودی
وجود خلق را مبدائــی ایزن

بنــای نیکبختی را بگیــتی
تو هم معمار وهم بنائی ایزن
بهشت واقعی جائی است گر مهر
تو با فرزندگان آنجائی ایــزن

تواضع را چو خیزی پیش شوهر
همایون شاخهٔ طوبائی ایـــزن
دریغا گر تو با این هوش وادراك
بجهل از این فزونتر پائی ایـزن
دریغا کز حساب خود وطن را
به نیمه تن فلج فرمائی ایـــزن

. . . .

١٥ ـ سوی علم وهنر پشتاب وكن شکر
كه در این دورهٔ والائی ایزن
حجاب شرم وعفت بیشتر کن
کنون کازاد ، ره پیمائی ایزن

بكار علم وعفت كوش امروز
كه مام مردم فردائی ایزن (١)

وترجمتها :

أيتها المرأة

ـ أنت الحظ المواتي وررونق الوجود ، أيتها المرأة ، أنت الجمال وزينة الدنيا ، أيتها المرأة !

ـ الدار كالصدف ، ورب البيت كالغواص ، أما أنت فالدر اليتيم أيتها المرأة !

---

١ ـ ديوان ملك الشعر محمد تقي بهار ، ج ١ ، ص : ٦٤٤ ـ ٦٤٧ .

ـ أنت وحدك الدر المصون بالدار ، بل أفضل من الدر ، إذ منـــك يتولد الدر ، أيتها المرأة

ـ أنت مع لطفك ورقتك غاية في القوة ، إذ أنت الجوهر ، كما أنك البحر كذلك ، أيتها المرأة !

٥ ـ أنت كالعقل في الرأس ، وكالذكاء في العقل ، لذا فأنت جديرة بالوجود في أي مكان أيتها المرأة !

ـ تعالى الله ! كم أنت الوردة الطاهرة في حديقة الحسن والجمال أيتها المرأة !

ـ لقد أخطأت ! إنك أجمل من الوردة ، فقد جمعت بين الجمال ورجاحة العقل ، أيتها المرأة !

ـ لست في حاجة للزينة والأصباغ ، لأنك مثال للجمال من الرأس إلى القدم ، أيتها المرأة !

ـ إذا لم يكن للمرأة وجود ، فما كان للحياة أي وجود ، فأنـــت الأساس في وجود الخلق ، أيتها المرأة !

١٠ ـ أنت المعمر والمشيد لصرح السعادة في الدنيا ، أيتها المرأة !

ـ مقرك الجنة [1] ، وقد حزت هذه المكانة بما تحيطين به أبناءك مـن حب وحدب ، أيتها المرأة . !

---

١ ـ اشارة الى الحديث النبوي الشريف « الجنة تحت اقدام الامهات».

- كلما زدت تواضعاً أمام زوجك ، كلما زاد غصنك توفيقاً في الجنة ، أيتها المرأة !

- ومـن الأسف ان تظلي مـع رجاحة عقلك وحسن إدراكك ، تترددين في غياهب الجهل ، أيتها المرأة !

- ومن الأسف كذلك، أن يظل نصف الوطن مشلولا معطلا أيتها المرأة!

. . . . . .

١٥ - سارعي الخطى نحو العلم والفضل ، والهجي بالشكر إذ بلغت العلا والرفعة في هذه المرحلة ، أيتها المرأة !

- لقد تمتعت بحريتك ، فامضي في طريقك متشحة أكثر من ذي قبل بحجاب من الحياء والعفة ؛ أيتها المرأة !

اليوم ، اجتهدى في مضمار العلم والعفة
ففي الغد ، تصبحين أماً للجميع ؛ أيتها المرأة !



لاحظنا أن أول من نادوا بتحرير المرأة كانوا من الرجال ، فهل وقفت المرأة مكتوفة اليدين أمام هذه القضية التي تهمها بالدرجة الأولى ؟

مشاركة المرأة الايرانية في هذا المجال :

إذا تركنا الدور الكبير الذي بذله المصلحون من الرجال ، وسألنا عن الدور الذي لعبته المرأة الإيرانية في ترسيخ دعائم هذه الدعوة ، فسنجد العديدات من الرائدات اللاتي شاركن في هذه الدعوة بعـد

أن أتيحت لهن فرصة التعليم بالداخل أو الخارج ، فوجدن في دعوة الرجال تشجيعاً لهن للتعبير عن آرائهن في مسألة هامة بالنسبة لهن ، وهنا انطلقت مَلَكات الشاعرات منهن للمشاركة في هذه الدعوة .

من الأصوات التي ارتفعت في ذلك الوقت صوت السيدة « بدري تندري » التي كانت تتخلص باسم « فاني » ، فقد قالت في قطعة عنوانها « آزادی زنان » أی « حرية النساء » :

(آزادی زنان)

در این کشور چرا ناقص بودی آزادی نسوان
اروپا گوی آزادی زنان بردند از میدان

شود از نور خورشید تمدن بهره‌ور گیتی
چرا در ظلمت قرن توحش باقی است ایران

بود عضو فلج زن تابکی از راه نادانی
بکار خویشتن تا چند ماند این چنین حیران

اگر علم وادب آموختن بر مرد وزن فرض است
نگردد از چه در ایران حقوق مرد وزن یکسان

٥ — بنی آدم بمعنی گر بود اعضای یك پیکر
چرا مردان بخود بالند از تحقیر زن اینسان

اساس ضعف این کشور ز جهل مادران باشد
کجا طفل هنرور پروراند مادر نادان

سزد گر عمر باقیمانده را از جان ودل (فانی)
دهی از دست یکسر در ره آزادی نسوان [1]

* * *

وترجمتها :

(حريــة النساء)

– لمَ اتسمت حرية النساء بالنقص في هذا الوطن ، وقد رفعــت أوربا كرة حرية النساء من الميدان ؟

– لقد أضيئت الدنيا بنور شمس المدنية ، ولكن لمَ بقيت إيــران وسط ظلمة قرون الهمجية ؟

– المرأة عضو فعال ، فإلام تظل بسبب الجهل في حيرة من أمرها ؟

– إذا كان تعلم العلم والأدب فريضة على الرجل والمرأة ، فلمَ لم تتساو حقوق المرأة والرجل في إيران ؟

٥ – وإذا كان بنو آدم أعضاء جنس واحد ، فلمَ يتفاخر الرجــال بتحقيرهم للنساء ؟

– أساس ضعف هذا الوطن مرجعه جهل الأمهات ، إذ كيف تربي الأم الجاهلة طفلا فاضلا ؟

– فلتبذلي البقية الباقية من العمر بكل حماس يا « فاني » ، في سبيل الدعوة إلى حرية النساء .

* * *

ومن الأصوات النسائية التي ارتفعت في هذه الفترة ، وطالبــت بتحرير المرأة كذلك ، الشاعرة « توران بهرامى » في مثنوي عنوانه « أيتـها المرأة » :

---

١ – زنان سخنور ، ج ٢ ، ص ٢٦ (الطبعة الثانية) تاليف علي اكبر مشير سليمي ، وقد ولدت بانو بدري المتخلصة باسم فاني عام ١٩٠٦ م في طهران وتعلمت الفارسية والعربية والفرنسية، كما كانت تجيد العزف والرسم، وقد نظمت ما يزيد عن الفي بيت من الشعر ، ونشرت بعضه في الصحف والمجلات · والفت كتابا بعنوان : « مكانة المرأة في الدنيا » وقد زارت كلا من سورية والعراق وتركية واليونان ومصر وايطاليا وسويسرا وفرنسا والمانيا ···

« ای زن »

تو ای زن قدرت بسیار داری
پس از ایزد تو هم پرودگاری
ولی ای آنکه مردان پروریدی
از این پرورده جز خاری چه دیدی
تو پروردی واو دیوانه ات کرد
اسیر وپای بند خانه‌ات کرد
ترا با حیله اندر دام کردند
ضعیف وناتوانت نام کردند

۵ ــ فرو ریز این حصار جاودانرا
زپا بگسل دگر بند گرانرا
اسیر دست مردان تا کی وچند؟
خدا را جنبشی تا چند در بند ؟
بنای اذری را بشکن ای زن
بپای هر بتّی خود را میفکن
چو ابراهیم ایزن بت شکن باش
پی احراز حق خویشتن باش
شب تارت بزودی روز گردد
حقیقت عاقبت پیروز گردد (۱)

---

۱ ــ المرجع السابق ج ۳ ص : ۹۷ .

وترجمتها :

« أيتها المرأة »

ـ أيتها المرأة إنك عظيمة المقدرة ، فأنت المربية بعد الله مباشرة .

ـ ولكنك يا من ربيت الرجال ، لم تجدي ممن ربيت إلا الإذلال .

ـ لقد ربيته وأصبح شيطانك ، وسرعان ما حولك أسيرة دارك .

ـ لقد ألقوك بالمكر والحيلة وسط الشباك ، وأطلقوا عليك اسم الضعيفة والمتخاذلة .

ـ فحطمي هذا الحصار الدائم ، وفكي عن قدميك ذلك القيد الثقيل الآخر .

ـ إلام تظلين أسيرة قبضة الرجال ؟ وبالله ، إلام تظلين مقيدة الحركة ؟

ـ حطمي أيتها المرأة معبد النار ، واطرحي كل أصنامك أرضاً .

ـ حطمي الصنم أيتها المرأة متمثلة بإبراهيم ، واجتهدي في سبيل الحصول على حقوقك .

ـ ليلك المظلم سرعان ما يضيء نهاره ، وفي النهاية تسطع الحقيقة واضحة .

★ ★ ★

ولكن أهم صوت عبر عن مطالب المرأة الإيرانية في النصف الأول من القرن العشرين ، كان صوت الشاعرة الكبيرة القدر « پروين اعتصامي » ، وقد جاء ديوانها في معظمه معبراً عن هذه الأحاسيس التي تعتمل في نفوس نساء إيران ، وتعبر عن تطلعهم نحو حياة أفضل من تلك الحياة التي عاشت فيها المرأة الشرقية عامة في

القرون الماضية . ومما قالته پروين قطعة بعنوان « ملاك الأنس » جاء فيها :

« فرشتهء انس »

در آن سرای که زن نیست ،شفقت نیست
در آن وجود که دل مُرد، مُرده است روان
بهیچ مبحث ودیباجه ای ، قضا ننوشت
برای مَرد کمال ، وبرای زن نقصان
زن از نخست بود رکن خانهٔ هستی
که ساخت خانهٔ بی پای بست وبی بنیان
زن ار براه متاعب نمیگداخت چو شمع
نمیشناخت کس این تیر را پایان
چو مهر ، گر که نمیتافت،زن بکوه وجود
نداشت گوهری عشق ،گوهر اندر کان
فرشته بود زن ، آنساعتی که چهره نمود
فرشته بین،که برو طعنه میزند شیطان
اگر فلاطن وسقراط ، بوده اند بزرگ
بزرگ تر بوده، پرستار خردی ایشان
بگاهواره مادر ، بکودکی بس خفت
سپس بمکتب حکمت ، حکیم شد لقمان
چه پهلوان وچه سالك، چه زاهد وچه فقیه
شدند یکسره ،شاگرد این دبیرستان
حدیث مهر ، کجا خواند طفل بی مادر
نظام وأمن ، کجا یافت ملك بی سلطان

همیشه دختر امروز ، مادر فرداست
ز مادرست میسر ، بزرگی پسران

زن نکوی ، نه بانوی خانه تنها بود
طبیب بود وپرستار وشحنه ودربان

زنی که گوهر تعلیم وتربیت نخرید
فروخت گوهر عمر عزیز را ارزان

چو بگرویم بکرباس خود ، چه غم داریم
که حلهٔ حلب ارزان شدست یا که گران

از آن حریر که بیگانه بود نساجش
هزار بار برازنده تر بود خلقان

چه حله ایست گرانتر ز حلیت دانش
چه دیبه ایست نکوتر زدیبهٔ عرفان

هرآن گروهه که پیچیده شد بدوکِ خرد
بکار خانهٔ همت ، حریر گشت وکتان

نه بانوست که خود را بزرگ میشمرد
بگوشواره وطوق وبیاره مرجان

چو آب ورنگ فضیلت بچهره نیست چه سود
زرنگ جامهٔ زربفت وزیور رخشان

برای گردن ودست زن نکسو ، پروین
سزاست گوهر دانش ، نه گوهر الوان [1]

وترجمتها :

ملاك الإنس

– إن عدم ذلك القصر المرأة ، فقد الأنس والشفقة ، وإذا مات القلب في ذلك الوجود ماتت الروح .

– لم يقرر القضاء بأي مبحث ولا بأية ديباجة ، أن الكمال سمة الرجل ، وأن النقص صفة المرأة .

– المرأة منذ البداية ركن منزل الوجود ، ومن ذا شيد داراً بلا أساس وبلا بنيان .

– إن لم تذب المرأة كالشمع في طريق المتاعب ، لما أدرك شخص قط ما لهذا الطريق المظلم من نهاية .

٥ – إن لم تشرق المرأة بعالم الوجود كالشمس ، لما حاز طاهر العشق جوهراً من ذلك المنجم .

– المرأة ملاك ، فحينما تبدو ، انظر فيها الملاك ، فما أكثر طعنات الشيطان الموجهة إليها .

– إذا كان أفلاطون وسقراط عظيمين ، فأعظم منهما مربية طفولتيهما.

---

١ – ديوان پروين اعتصامي ، ص : ١٨٧ – ١٨٩ .

— كم رقد لقمان في مهد أمه طفلاً ، ثم ذهب إلى مكتب الحكمة ، فأصبح حكيماً .

— الجميع تلاميذ هذه المدرسة سواء في ذلك البطل والسالك ، الزاهد والفقيه .

— أين قرأ اليتيم حديث العطف والمحبة ؟ وأين وجد "ملك" بلا سلطانِ النظامَ والأمن ؟

— فتاة اليوم على الدوام أم الغد ، وعظمة الأبناء مبعثها الأم .

— المرأة العظيمة ليست ربة الدار وحدها ، بل هناك الطبيبة والممرضة والحارسة والجندية .

— المرأة التي لم تشترِ جوهر التعليم والتربية ، باعت جوهرها الغالي رخيصاً .

— إن نقنع بثيابنا الخشنة ، فأي غم يعترينا إن كانت الأردية الحلبية غالية أم رخيصة ؟

— إن الثوب الخلق أفضل ألف مرة من ذلك الحرير الأجنبي صانعه .

— وأي حلة أفضل من خلة العلم ؟ وأي ديباج أحسن من ديباج المعرفة ؟

— وذلك النسيج الذي يُغزل بمغزل العقل في مصنع الهمة ، هل يتساوى فيه الحرير مع الكتان ؟

— ليست فاضلة من تظن أنها تعظم بالقرط ، وبعقد من المرجان .

ـ إن عدم الوجه زينة الفضيلة ، فما جدوى الرداء الحريري المزركش؟
وما فائدة الأصباغ والمساحيق ؟

٢٠ ـ كم يليق بجيد ومعصم المرأة، يا بروين، جوهر العلم، لا جوهر الأصباغ .



نلاحظ أن بروين لم تدع إلى حقوق تفتقدها المرأة فقط ، بل ضمنت دعوتها تبصير بنات جنسها بواجبهن في المجتمع ، إذ أن الحياة الحرة الكريمة حقوق وواجبات والمرأة التي لا تحافظ على حريتها بالحفاظ على كرامتها وعفتها ، لا تستحق أن تحظى بأي حق في الحياة، والمرأة المهتمة بزينتها عليها أن تدرك أن الزينة ليست في أصباغ وجواهر، بل إن الزينة الحقيقية في اكتمال عقل المرأة بالفضل والتعليم .

أشرنا من قبل إلى أن قانون رفع الحجاب صدر في عام ١٩٣٥ م ، وأن الاحتفالات أقيمت بمناسبة صدور هذا القانون ، وشارك الأدباء في هذا الاحتفال بإلقاء الخطب وإنشاد القصائد ، فسارعت بروين اعتصامي للمشاركة في هذه المناسبة التي طالما انتظرتها ودعت إليها ، فأنشدت قطعة تصور فيها ما تحملته المرأة الإيرانية من هوان وعذاب حتى صدر هذا القانون ، فرحبت به ، ولم تنس أمام هذه الفرحة الغامرة أن تذكّر أترابها بضرورة التمسك بالفضيلة والخلق ، وإذا كانت الفتاة الإيرانية سترفع عن وجهها حجاباً من نسيج، فهي مطالبة بأن تضع عوضاً عنه حجاباً من عفة وأدب وخلق قويم :

زن در ایـــران

زن در ایران، پیش از ین گوئی ایرانی نبود
پیشه‌اش ، جز تیره روزی وپریشانی نبـــود

زندگی ومرگش اندر کنج عزلت میگذشت
زن چه بود آنروزها ، گر زانکه زندانی نبود

کس چو زن ، اندر سیاهی قرنها منزل نکرد
کس چو زن، در معبد سالوس ، قربانی نبود

در عدالتخانهٔ انصاف ، زن شاهد نداشـــت
در دبستان فضیـــلت ، زن دبستانی نبـــود

۵ ــ داد خواهی های زن میماند عمری بی جواب
آشکارا بود این بیـــداد ، پنهانـــی نبـــود

بس کسان را جامه وچوب شبانی بود، لیك
در نهاد جمله گرگی بود ، چوبانی نبـــود

از برای زن ، بمیـــدان فـــراخ زندگـــی
سرنوشت وقسمتی ، جز تنگ میدانی نبـــود

نور دانش را ز چشم زن نهان میداشتنـــد
این ندانستن ، ز پستی وگرانجانی نـــبـــود

زن کجا بافنده میشد ، بی نخ ودوك هـــنر
خرمن وحاصل نبود ، آنجا که دهقانی نبـــود

میوه‌های دکهٔ دانش فراوان بود ، لیک
بهر زن هرگز نصیبی زین فراوانی نبود

در قفس می آرمید ودر قفس میداد جان
در گلستان ، نام ازین مرغ گلستانی نبود

. . . .

بهر زن ، تقلید تیه فتنه وچاه بلاست
زیرك آنزن کو رهش این راه ظلمانی نبود

آب ورنگ از علم میبایست، شرط برتری
با زمرد یاره ولعل بدخشانی نبود

جلوهٔ صد پرنیان،چون یك قبای ساده نیست
عزت از شایستگی بود ، از هوسرانی نبود

ارزش پوشنده، کفش وجامه را ارزنده کرد
قدر وپستی ، با گرانی وبه ارزانی نبود

سادگی وپاکی وپرهیز ، یك یك گوهرند
گوهر تابنده ، تنها گوهر کانی نبود

از زر وزیور چه سود آنجا که نادان است زن
زیور وزر ، پرده پوش عیب نادانی نبود

عیبها را جامهٔ پرهیز پوشانده است وبس
جامهٔ عجب وهوی بهتر ز عریانی نبود

زن، سبکساری نبیند تا گرانسنگ است وپاك
پاك را آسیبی از آلوده دامانی نبود

۲۰ــ زن چو گنجور است وعفت گنج وحرص وآز، دزد
وای اگر آگه ز آئین نگهبانی نبود
اهرمن بر سفره تقوی نمیشد میهمان
زانکه میدانست کآنجا جای مهمانی نبود
پا براه راست باید داشت، کاندر راه کج
توشه‌ای ورهنوردی ، جز پشیمانی نبود
چشم ودل را پرده میبایست ، اما ازعفاف
چادر پوسیده ، بنیاد مسلمانی نبود (۱)

★ ★ ★

وترجمتها :

المرأة في ايران

ــ كأن المرأة في إيران قبل هذا لم تكن إيرانية ، إذ لم يكن لها من نصيب سوى سوء الحظ والاضطراب .

ــ لقد كانت حياتها وكذا مماتها تتمان في ركن من العزلة ، فماذا كانت المرأة في تلك الأيام إن لم تكن أسيرة سجينة ؟

ــ لم يقض شخص قط ــ مثلما فعلت المرأة ــ قروناً عديدة في ظلمة ونسيان ، ولم يُقدَّم إنسان مطلقاً ــ كما قُدمت المرأة ــ قرباناً في معبد النفاق !

ــ لم تعط المرأة حق الشهادة في محكمة الإنصاف والعدل ، كما لم تكن المرأة تلميذه في مدرسة الفضيلة .

---

١ ــ ديوان پروين اعتصامي ، الطبعة الخامسة ، ص ١٥٣ ــ ١٥٤ .

٥ ـ ظلت صيحات المرأة بالمساواة دهر مديداً بلا إجابة على الرغم من وضوح هذا الظلم وعدم اختفائه .

ـ ما أكثر من ارتدوا ثياب الحراسة والرعاية ، ولكنهم كانوا جميعاً ذئاباً مفترسة وليسوا حراساً .

ـ لم يكن للمرأة من نصيب بميدان الحياة الرحب الواسع ، غير مكان غاية في الضيق .

ـ لقد أُخفي نور العلم بعيداً عن عيني المرأة ، لذا لم يكن هذا الجهل وليد الخسة أو الرفعة .

ـ أنّى للمرأة أن تنسج رداء الفضل دون أن تعطى المغزل والخيط ، فحيثما انعدم المزارع انعدم الحصاد !

١٠ ـ روضة العلم ثمارها متعددة وفيرة ، ولكن لم يكن للمرأة أي نصيب من هذا التعدد وتلك الكثرة .

ـ لقد كانت تولد في قفس ، كما تودع الحياة في قفس ، ولم يكن لطائر البستان هذا من ذكر داخل البستان مطلقاً !

. . . .

ـ كان التقليد تيه الفتنة وبئر البلاء بالنسبة للمرأة ، وأين المرأة التي لم يكن هذا الطريق المظلم طريقها ؟

ـ يجب أن يكون شرط الرفعة ؛ التزين بالعلم ، لا بعقد الزمرد والياقوت البدخشاني .

ـ إن بريق مائة ثياب حريرية ؛ لا تتساوى مع بساطة ثياب واحدة خشنة . ولكن السمو وليد اللياقة ، لا الجنون والاندفاع .

١٥ ــ قيمة الإنسان تخلع على ما يرتديه القيمة والتقدير ، وليست القيمة أو الخسة وليدتي الغلاء أو الرخص !

ــ البساطة والطهر والعفاف كلها جواهر قيمة ، إذ ليس الجوهر البراق هو المستخرج من المنجم وحده !

ــ ما فائدة الذهب والزينة إن كانت المرأة جاهلة ، فالزينة والذهب لا تخفيان عيب الجاهل .

ــ رداء العفة ساتر لكل العيوب ، أما رداء العجب فليس أفضل من العري .

ــ لن ترى المرأة المهانة والذلة ما دامت طاهرة مبجلة ، فالطاهرة لن يصيبها بالمضرة أي دنس يلم بأطراف ثوبها !

٢٠ ــ المرأة كصاحبة كنز ، وكنزها العفة ، أما لصها فهو الحرص والطمع ، والويل لها إن جهلت قانون الحراسة .

ــ ليس للشيطان أن يكون ضيفاً على مائدة التقوى ، إذ يعرف أن لا مكان لضيافته على هذه المائدة .

ــ لا بد من السير في الطريق السوي ، إذ لا حصاد للسير في الطريق المعوج غير الخجل والندم !

ــ كم يلزمنا حجاب أمام العين والقلب ، ولكن من العفة . وما كان أساس أي مسلمة عباءة بالية !

★ ★ ★

كانت بروين اعتصامي موفقة في التعبير عن فرحتها بصدور هــذا القانون ، لقد عبرت عن ابتهاجها بالقرار ، وأسفها على مــا أصاب المرأة الإيرانية قبل ذلك من إهمال وإجحــاف

وظلم، وحرمان من التعليم ومشاركة للرجل في الحياة بنعيمها وشقائها. ولكن على الرغم من هذه الفرحة الغامرة لم تنس أن تبصر بنات جنسها بالتمسك بالأخلاق والفضيلة ، والتحلي بالعلم والعفة ، وضرورة السير بعيداً عن أي طريق معوج ، وأن يحافظن على طهرهن مهما كانت مغريات الحياة ، وهذا هو الدور الذي يجب أن تؤديه كل مصلحة اجتماعية ، وأن تنظر إلى أن كل دعوة للمساواة يجب أن تتضمن الحديث عن واجبات ، قبل أن تكون للمطالبة بحقوق فقط .



واصلت المرأة الإيرانية بعد قانون « رفع الحجاب » مسيرتها ، إذ لم تمض شهور على إصدار هذا القانون ، حتى قامت وزارة المعارف الإيرانية بإنشاء الجمعية النسائية (كانون بانوان) التي انتشرت فروعها في كل الأقاليم الإيرانية ، وقد تولت هذه الجمعية الدفاع عن مطالب المرأة الإيرانية ، حتى منحت المرأة في إيران حق التصويت في الانتخابات العامة ، ثم عضوية المجامع البلدية ، ثم حق الترشيح لمجلسي النواب والشيوخ بعد ذلك .

وهكذا وجدت الدعوة إلى تحرير المرأة وخروجها إلى الحياة العامة صداها وأثرها في توفير حياة اجتماعية أفضل للمرأة الإيرانية ، ولكل أفراد المجتمع الإيراني الذي لا غنى له عن دور المرأة وجهودها .

البَابُ الثالث

من القضايا الأدبية

الفَصْل الأَول

هل خلا الأدب الحديث من المنظومات الشعرية ؟

الفصل الأول

هل خلا الأدب الحديث من المنظومات الشعرية ؟

تقديم :

عندما يسمع أي مهتم بالآداب العالمية مصطلح « الأدب الفارسي » ؛ فسيتبادر إلى ذهنه على الفور تلك المنظومات الشعرية التي خلدت أصحابها ، وفتحت الطريق أمام الأدب الفارسي كي يحتل مكانه اللائق به بين الآداب العالمية الراقية . ومن المعروف أن الفرس نظموا العديد من هذه المنظومات والتي يعجز أي دارس للأدب الفارسي إحصاء عددها ، لأن معظم الشعراء الإيرانيين - إن لم يكن كلهم - عبر عصور الأدب الفارسي المتعاقبة ، قد خلفوا لنا منظومات شعرية تشهد على قريحة متقدة وفكر ثاقب وخيال واسع رحب ، وقد تنوعت الأغراض التي أنشدت فيها هذه المنظومات ، حيث جاء بعضها في الحماسة كشاهنامه الفردوسي والتي يزيد عدد أبياتها على الستين ألف بيت ، وجاء بعضها الآخر في الغزل ويكفينا في هذا الصدد أن نشير إلى منظومات شاعر الرومانتيكية الأول نظامي الكنجوي ، حيث خلف لنا خمس منظومات بل خمسة كنوز كما يحلو للفرس وللجميع أن يسموها ، ويزيد عدد أبياتها على الخمسة والعشرين ألف بيت ، وأهم هذه الكنوز ، منظومتا ليلى والمجنون ، وخسرو وشيرين . كما نظم بعض الشعراء منظومات صوفية خالدة ، ونذكر على سبيل

الإستشاد منظومات فريد الدين العطار ، والتي يدّعي البعض بأنها تزيد على المائة منظومة وأهمها منطق الطير وإلهي نامه ومصيبت نامه ... إلى غير ذلك من المنظومات الفارسية التي أعطت الأدب الفارسي ما يتمتع به من شهرة وسمو وتقدير .

إذا كان هذا هو الحال خلال عصور الأدب الفارسي السابقة ، فهل حفل الأدب الحديث بمنظومات شعرية كتلك التي بقيت خالدة عن العصور السابقة ؟ وإذا كان الأدب الفارسي الحديث قد حفل بمنظومات شعرية ، فهل جاءت طويلة كما كانت المنظومات السابقة ؟ وأخيراً لمَ لمْ تفزُ هذه المنظومات الحديثة بما فازت به المنظومات السابقة من شهرة واهتمام ؟

للإجابة عن السؤال الأول نقرر أن الأدب الفارسي الحديث ، قد حظي خلال النصف الأول من القرن العشرين بعدد ليس بالكبير من المنظومات الشعرية ، أذكر منها على سبيل المثال :

منظومة « قيصر نامه » نظم الشاعر أديب بيشاوري ، وقد نظمها خلال الحرب العالمية الأولى ، حيث آلمه ما حل بإيران من خراب ودمار على أيدي جنود كل من روسيا وبريطانيا ، فنظم هذه المنظومة كي يعبر عن سخطه على الحرب وويلاتها ، وعلى المعتدين الذين استباحوا الحرمات في إيران .

منظومة « كارنامهٔ زندان » نظم الشاعر محمد تقي بهار ، وقد نظمها عندما اعتقله رجال رضا شاه ، وفيها تحدث عن كيفية اعتقاله ، ثم كيف عومل في المعتقلات التي تقلب بينها ، وما حدث بعد الإفراج عنه ، حتى سمح له أخيراً بالعودة إلى داره مرة أخرى .

منظومات الشاعر إيرج ميرزا ، وأهمها عارف نامه التي هاجم فيها الشاعر عارف القزويني ، لأنه أكثر من التطاول والهجوم على البيت القاجاري الذي ينتسب إليه الشاعر إيرج ، وكذلك منظومة « زهرة ومنوچهر » والتي نظمها على غرار « فينوس وأدونيس » للشاعر الإنجليزي الكبير وليام شكسبير .

أما عن طول منظومات العصر الحديث ، فنقرر أنها جاءت أقصر بكثير عما كانت عليه المنظومات في العصور السابقة فقد تراوحت منظومتا إيرج بين الأربعمائة والخمسمائة بيت فقط ، في حين توقف العدد في منظومة «كارنامه ٔ زندان» للشاعر بهار عند ما يقرب من ألفين وسبعمائة بيت ، ولعل السبب في قصر المنظومات يرجع إلى طبيعة العصر . فلم يعد في مقدور أي شاعر أن يتفرغ تماماً للنظم وقرض الشعر حتى يخرج لنا منظومة في طول شاهنامة الفردوسي التي يزيد عدد أبياتها على الستين ألف بيت ، في حين كان الشاعر في العصور السابقة يتخذ من الشعر حرفة لا يعمل بغيرها ، وعلى قدر ما ينظم ، يكون جزاؤه من الهبات والعطايا ، وكلنا يعرف قصة نظم الشاهنامة ، والوعد الذي قطعه السلطان محمود الغزنوي للفردوسي بأن يهبه ديناراً عن كل بيت ، وبالتالي حرص الفردوسي على الإطالة حتى تزيد عدد الدنانير التي سيحظى بها في النهاية . أما الشاعر في العصر الحديث فهو ينظم ليعبر عن ذاته أولا ، وليمتع نفسه قبل أن يمتع قراءه ومستمعيه ، وعلى هذا وجد من الحكمة ألا يطيل حتى لا يكون مملا ، وحتى إذا أراد أن يسهب ، فلن يجد التفرغ الكامل لنظم هذه الآلاف العديدة من الأبيات !

وسبب آخر يقف وراء طول المنظومات السابقة وقصر المنظومات

الحديثة ، وهذا السبب يتمثل في طريقة النظم ، فقد كان الشعراء في العصور الماضية يخرجون بعيداً عن جوهر المنظومة بأن يكتبوا لها مقدمات طويلة تضم الحمد والثناء ونعت الرسول الكريم ومدح الخلفاء الأربعة ، ثم ذكر الممدوح الذي ستقدم إليه المنظومة ، ومحاولة التقرب منه أملا في عطاء كبير ونوال عظيم ، ثم يسردون بعض الحكايات أثناء سرد القصة الأساسية ، فكان الشاعر ينهي حكاية ليدخل في حكاية ثانية وثالثة ورابعة وهكذا ، بعد ذلك يعود إلى القصة الأصلية وينظم بعض أحداثها ، ثم يعود إلى نظم الحكايات من جديد وهكذا [1] أما أهم المنظومات في العصر الحديث ، فقد أسقطت من حسابها تلك المقدمات المطولة ، كما أسقطت أيضاً تلك الحكايات التي كانت تتخلل الأحداث وتباعد بين القارىء وبين تتبع القصة الأساسية . وعلى هذا النمط الجديد نظم الشاعر إيرج ميرزا منظوماته ، حيث جاءت « عارف نامه » وزهره ومنوچهر بعيدتين عن أي مقدمات ، وخاليتين من أي حكايات تقطع أحداث المنظومة ، وتخرج بها إلى أحداث جانبية .

وعلى الرغم من نظم بهار لمنظومته « كار نامهٔ زندان » على ذلك النمط القديم ، إلا أنه بتأثير من المعاصرة لم يسهب كثيراً في المقدمة حيث بلغت مائة بيت فقط ، في حين كانت مقدمات بعض المنظومات السابقة تزيد على الخمسمائة أو الستمائة بيت ، كما أنـــه لم يكثر من الاستطراد وسرد الحكايات أثناء عرض القصة الأساسية في المنظومة . ولهذا جاءت منظومته في حوالي ألفين وسبعمائة بيت ، وهو

---

١ ــ لمعرفة طريقة تاليف هذه المنظومات يمكن الرجوع الى الترجمة العربية للشاهنامة والتي ترجمها باختصار البنداري ، ونشرها الدكتور عزام، وكذلك الترجمة العربية لمنطق الطير ، نظم فريد الدين العطار ، وترجمة مؤلف هذا الكتاب .

عدد قليل إذا ما قيس بطول المنظومات التي نظمها نظامي الكنجـوي والعطار وجلال الدين الرومي وجامي ، ناهيك عما نظمه الفردوسي في الشاهنامة .

أما عن السؤال الثالث والمتعلق بعدم تمتع المنظومات الحديثة بنفس التقدير والشهرة كما حظيت بذلك المنظومات السابقة . فالإجابة عليه تتعلق بموقف الشعر عـامة في العصر الحديث ، وإخلائه المرتبة الأولى للنثر بأنماطه الجديدة المختلفة ، فلو نظرنا إلى الأدب العربي أو الأدب الإنجليزي وكذلك الأدب الفارسي ، فإننا سنجد الاهتمام قد انصب بالدرجة الأولى حول الإنتاج النثري من قصة وأقصوصة ومسرحيـة ومقالة وتحقيق ، وأخيراً يأتي دور الشعر . وعلى هذا جاء الاهتمام بهذه المنظومات الشعرية الحديثة أقل من أن يعطيها فرصة الذيـوع والانتشار ، وبالتالي إحراز التقدير الذي كانت تفوز به أترابهـا في الأزمنة الماضية .



بعد هذه المقدمة ، يجمل بنا أن نعرض بإيجاز لمنظومتين إحداهما تمثل النمط القديم ، وهي « كارنامهٔ زندان » لملك الشعراء محمد تقي بهار ، والثانية تمثل النمط الحديث وهي « زهره ومنوچهر » للشاعر إيرج ميرزا ، وقد فضلت الحديث عنهما ـ دون غيرهما من المنظومات ـ لأنهما إلى جانب الاختلاف في النمط ، تعبران تعبيراً صادقاً عن روح العصر، فمنظومة بهار تمثل كيف كانت تحكم إيران، وما كان يتعرض له الأدباء من سجن واعتقال وتشريد إذا وقفوا موقف المعارضة مـن الحاكم في ذلك الوقت ، بينما تمثل منظومة إيرج كيف تأثر الأدب الإيراني الحديث بالآداب الأوربية ، فنقل عنها واقتبس منها ، كما أن

المنظومتين من نظم أكبر شاعرين عاشا ونظما خلال النصف الأول من القرن العشرين ، وعلى هذا يكون إنتاجهما صورة صادقة لما كان عليه الشعر خلال الفترة التي ندرسها .

منظومة « كارنامهٔ زندان »[1]

نظم ملك الشعراء محمد تقي بهار

كثيراً ما كانت تحدث خلافات بين رضا شاه وبين المثقفين ، وكانت النتيجة إلقاء القبض على عدد من هؤلاء المثقفين والزج بهم في السجون والمعتقلات دون محاكمة ، أو إبعاد البعض منهم عن العاصمة طهران ، حتى يضعف دورهم التأثيري في جماهير العاصمة ، وإذا كانوا صحفيين أو كتاباً ، صادر صحفهم ومنعهم من الكتابة [2] وقد حدث كل هذا مع الشاعر محمد تقي بهار إذ فوجىء في فجر أول يوم من العام الإيراني ١٣١٢ ش (الموافق ٢١ من مارس ١٩٣٣) — وهو يوم عيد كبير لدى الإيرانيين يعرف باسم النوروز — بقوات الأمن تقتحم منزله ، وتعتقله بأمر من مدير الأمن « محمد دركاهى » الذي كان بمثابة الساعد الأيمن لرضا شاه في التنكيل بكل مناوئيه والمعترضين على سياسته . ثم سيق بهار إلى الاعتقال حيث قضى فيه

---

١ ــ كانت هذه المنظومة موضوع رسالة ماجستير تقدمت بها الزميلة « رملة محمود غانم » الى كلية الآداب جامعة عين شمس ، وما زالت رسالتها تحت الطبع بمكتبة الكلية المذكورة ، وبمكتبة جامعة عين شمس ، وقد ترجمت عنوان المنظومة باسم « خواطر سجين » ، وأرجو أن توفق الباحثة في نشرها حتى تتحقق الفائدة من هذا البحث .

٢ ــ عبد الحميد عرفاني : أحوال وآثار ملك الشعراء بهار ، ص٣٠ــ٣١

خمسة شهور وبعدها أخلي سبيله على أن يبعد عن العاصمة طهــران وتحددت إقامته بمدينة أصفهان ، فعاش هناك منفياً قرابة العامين إلى أن وافق رضا شاه بعد ذلك على السماح له بالعودة إلى داره في طهران ، فكانت عودته لها في خلال منتصف عام ١٩٣٥ م .

وقد بدأ بهار في نظم هذه المنظومة في المعتقل حيث حرص على أن يصور الظروف التي اعتقل فيها وكيف نقل إلى المعتقل ، والطريقة التي عومل بها ومن التقى بهم داخل المعتقل ، ثم شرح لنا كيــف قضى فترة النفي في أصفهان ، وأخيراً الظروف التي عاد فيها إلى داره في طهران[1] . ولأنه بدأها في داخل السجن فقد أطلق عليها اسم « كارنامه زندان » أي : سجل السجن .

ولإيمان الشاعر بهار بالمكانة الكبيرة التي حظي بها الشعر الفارسي عبر العصور السالفة ، فقد حرص على أن تكون منظومته هذه تقليداً للمنظومات المشهورة السابقة وذلك في طريقة إخراجها ، حيث جعلها في عشر مقالات ، خص المقالتين الأولى والثانية بالمقدمة ، ثم عرض القصة في باقي المقالات ، وكان يورد بعد كل مقالة بعض الحكايــات وأخيراً تأتي الخاتمة . ولم يكتف بهذا التأثر وحده ، بل إنه اختــار عنوان المنظومة على غرار منظومة قديمة للشاعر « سنائي الغزنــوي » عنوانها « كارنامه بلخ » أي « سجل بلخ » والتي ألفها في حدود عام ٥٠٨ هـ ، عندما عاش فترة بمدينة بلخ بخراسان ، وهي تتقلب بــين مدح للسلطان ورجال البلاط وهجاء لأعداء السلطان ، كما ورد فيها ذكر لبعض الشعراء . وقد جعلها الشاعر سجلاً لكل ما مر به بمدينة بلخ دون

---

١ ـ انظر تقديم المنظومة ص : ٢٠ من الجزء الثاني من ديوان ملك الشعراء بهار .

أن تكون ذات موضوع واحد بعينه [1]، وقد اعترف بهار بأنه نظم هذه المنظومة تحت تأثير إعجابه بسنائي ، فقد قص علينا قصة حلم رأى فيه سنائي وحادثه ، وبعد انتهاء روايته للحلم قال :

چونکه یادم ز خواب خویش آمد
در سخن رهبریم پیش آمد

گفتم ایدون بود گزارش خواب
که ز تهران برون شوم بشتاب

پس برابر شوم « سنائی » را
نو کنم کهنه آشنائی را
یاری از اوستاد کل یابم
مدد از هادی سبل یابم

٥ ـ پس بهنجار آن بزرگ حکیم
اوستاد سخنوران قدیم
کردم این کارنامه را آغاز
تا کی بسر حدیث دراز

---

١ ـ انظر ، لغت نامه ، وذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات ايران جـ ٢ ص ٥٦٣ طهران ١٣٤٧ ش ، وقد طبعت المنظومة لاول مرة عام ١٣٣٤ هـ ٠ ش ، وذلك باشراف وتصحيح اقاي مدرسي رضوي مع مقدمة تعرف بها ، ونشرها ضمن المجلد السادس من الدفتر الرابع من « فرهنك ايران زمين » ويقال ان هذه المنظومة تضم حوالي خمسمائة بيت من الشعر ، ولعلها أول منظومة ينظمها سنائي الغزنوي ثم أعقبها بحديقة الحقيقة أشهر منظوماته ، ثم بكتابه مرصاد العباد ٠ وقد ذكر البعض بأن منظومة كار نامه زندان تعرف أحيانا باسم « مطايبه نامه » وذلك لانها تضمنت الكثير من الطرف والمداعبات الشعرية التي حدثت بين الشاعر ومن التقى بهم في مدينة بلخ ٠

طيبتی شاعرانه سر کردم
ترش وشيرين بيكديگر كردم

جد وهزلی بیکدگر یارست
گر نه نیلك است باب بازار است

نه هنر توزی وسخنرانیست
که خیالات مرد زندانی است

۱۰ ــ جای فریاد واستغاثه وآه
فکر آشفته را گشادم راه

نام او « کارنامهٔ زندان »
مایهٔ عبرت خردمندان (۱)

وترجمتها :

ــ عندما ثبت إلى رشدي بعد النوم ، بدأت أسترجع حديث مرشدي وملهمي .

ــ فقلت : هكذا يكون تفسير الحلم والمنام ، وهو الإسراع بمغادرة طهران .

ــ ولكي أكون جديراً بسنائي ، وأعيد الحياة من جديد إلى المعارف القديمة ،

ــ فقد طلبت العون من أستاذ الجميع ، وسألت المدد من هادي السبل .

---

۱ ــ ديوان ملك الشعراء بهار ، ج ۲ ، ص : ۳۱

٥ ـ وأخيراً ، وبترسم خطى هذا الحكيم العظيم أستاذ المتكلمين في العصر القديم ،

ـ بدأت العمل في هذا السجل ، فإلام سيطول هذا الحديث ؟

ـ وكم حرصت على أن يكون كلاماً طيباً ممتعاً ، ولكن اختلط فيه الغث بالسمين .

ـ وهكذا امتزج فيه الجد والهزل معاً ، فإن لم يكن موفقاً ، فلتعتبره حديثاً سوقياً !

ـ إنه ليس حديثاً لإثبات فضل ، كما أنه ليس محاضرة ، بل مجـرد خواطر رجل سجين ! [1]

١٠ ـ إنه حديث آهة واستغاثة ، وتعبيراً منطلقاً عما أكابده من فكر مضطرب

ـ لذا أسميته « سجل السجن » ليكون عبرة للعقلاء وذوي الإدراك .

★ ★ ★

والآن يجمل بنا أن نورد عرضاً عاماً للمنظومة ؛ لنتعرف عـلى أهم أفكارها ، وكيفية نظمها ، ومدى تأثره بأسلوب الأقدمـين وتمسكه به ..

---

١ ـ لهذا آثرت الزميلة رملة محمود غانم في رسالتها للماجستير ترجمة عنوان المنظومة باسم « خواطر سجين » .

عرض عام للمنظومة :

بدأ الشاعر منظومته بالابتهال إلى الله عز وجل ، وبيان عظمته في مقابل الحديث عن نقص الإدراك لدى البشر وعجزهم ، وكأنه يقول لمن اعتقلوه إن الله أكبر منكم جميعاً ، وهو كفيل بأن يقتص منكم ، ويرد للمظلومين حقوقهم السليبة ، ويبدو تعلق بهار بالقديم حيث يعتبر أن الصوفية في الزمن القديم هم الذين عرفوا الله حق المعرفة في حين يتخبط الجميع في الزمن الحاضر في عبادتهم ، ولا يعرفون كيف يولون الله حق العبودية له .

ثم ينتقل في المقالة الثانية للحديث عن خلق الدنيا ، وما يكتنف هذا الخلق من بيان قدرة الله عز وجل . وأن الله خلق الدنيا لكي يعمل الجميع ، ويفيدوا جميعاً من خيراتها دون ظلم أو استبداد . لذا يدعو إلى المودة والتراحم بين البشر جميعاً . ولا شك أن هذه الدعوة نابعة من قلب سجين تعرض للتعذيب والإرهاب ، لذا فإنه يخاطب أبناء البشر بأن يتخلوا عن هذه المظالم وذلك التعسف ، ولتكن العلاقة بينهم علاقات إنسانية عمادها المودة والتعاطف والمحبة . وبعد المقالة الثانية يعقبها بحديث عن المخدرات والخمور وضرورة التخلي عنهما حفاظاً على الصحة والعقول والأموال .

ومع بداية المقالة الثالثة يبدأ الشاعر في نظم قصة الاعتقال فيتحدث في هذه المقالة عن سبب نظم الكتاب ، وهو في نفس الوقت حديث عن ظروف اعتقاله ، ومما قاله :

اول صبح وآخر اسفند
شد صداى در سراى بلند
بى اجازت ورود فرمودند
(اين چه حرفست ؟) ميهمان بودند !

من در افتاده سخت در بستر
مبتلای زکام ودرد کمر
شب نوروز وکیسهٔ خالی
خرج بسیار وهمت عالی

بچه‌ها لخت ولخت کلفت‌ها
باغبان لخت وپیشخدمت ها

همسر من اگر سکوت کند
اکتفا با کهن رخوت کند

نه اجازت که شغلی آغازم
نه کزین مملکت برون تازم

تا نپوسم بکنج خانه خموش
شده ام کاسبی کتاب فروش

لیك خواهد خدایگان زمین
تا شوم بی‌نشان وخانه‌نشین

لیك غافل که گردن احرار
در نیاید بچنبر اشرار
زین تکان‌ها ز جا نخواهم رفت
زیر بار « رضا » نخواهم رفت
گر فروشم کتاب در بازار
بِهْ که خوانم قصیده در دربار
بعد معلوم شد که این حضرات
هر سه هستند عضو تأمینات

بسکه بودم ز وضع خویش نفور
زین خبر شاد گشتم ومسرور

لیك حال زنم دگر گون شد
چشمش از سوز گریه پر خون شد

کودکان دور بنده جمع شدند
همچو پروانه گرد شمع شدند

بسوی باغ رفتم از تالار
گفتم اینك منم ، چه باشد کار ؟

گفت تفتیشکی کنیم اینجا
تا چه باشد نوشته‌های‌شمـــا

هر چه انبار بود کاویدند
هر چه اشکاف بود گردیدند

جزوه‌های مفصل طبری
شده آراسته ز کارگـــری

شد پریشان زفرط افزونی
نصف در کیسه نصف در گونی

پس از آن گشت نوبت بنده
گفت آن مرد لنگ باخنـــده

دو دقیقه است ونیست طولانی
چه شود گر قدم برنجانـــی

که به بخشید با شما باری
در اداره است مختصر کاری [1]

وترجمتها :

– في فجر آخر يوم من أيام اسفند[2] ، اشتد الطرق على باب الدار .

– وفجأة وبدون إذن دخلوا فارضين ضيافتهم ، فأي تصرف هذا ؟

– لقد كنت طريح الفراش مريضاً ببرد شديد وآلام في الظهر.

– كانت الليلة ليلة النيروز ، ولكنني خالي الوفاض ، وكم كنت ذاهمة ولكن الإنفاق باهظ !

٥ – لذا كان الأطفال في عري وكذلك الخدم ، ولم يتخلف عن ذلك البستاني .

– وإذا كانت زوجتي قد لاذت بالصمت ، فلأنها اكتفت برتق القديم من الرداء .

– لم يكن يُسمح لي بمزاولة أي عمل ، كما لم تكن تُتاح لي فرصة للخروج من المملكة .

– وحتى لا أهلك وأنا قعيد الدار بلا عمل ؛ عملت على كسب قوتي من بيع الكتب .

---

١ – ديوان ملك الشعراء بهار ، ج ٢ ، ص : ٧ – ١١ ٠

٢ – آخر شهر من شهور السنة الايرانية ، واخر يوم فيه يوافق ليلة عيد النيروز الذي يوافق الحادي والعشرين من شهر مارس (آذار) من كل عـام ٠

ـ ولكن السادة في الأرض رغبوا في أن أظل عديم الحركة قابعاً في داري .

ـ ولكنهم غفلوا أن الأحرار ، لا يمكن أن يدوروا في فلك الأشرار .

ـ وأنني لن أحيد عن مواقفي الثائرة ، ولن أرضخ مطلقاً لربقة « رضا » .

ـ ومن الأفضل لي أن أبيع الكتب في الأسواق ، من أن أنشد قصيدة في البلاط !

ـ بعد ذلك عرفت أن هؤلاء السادة الثلاثة أعضاء من جهاز المخابرات.

ـ لقد كنت في ضيق شديد مما تردت فيه أحوالي ، لذا عمني السرور من هذا الخبر .

ـ ولكن الأمر كان جد مختلف بالنسبة لزوجتي ، إذ سرعان ما التهبت عيناها من حرقة البكاء .

وتحلق الأطفال من حولي ، وكأنهم فراشات تدور هائمة حـول شمعة !

ـ وأخيراً ، توجهت من الطابق العلوي صوب الحديقة ، وقلت : ها أنذا ، ما الخبر ؟

ـ قال رئيسهم [1] مجرد تفتيش بسيط للمكان ، حتى نرى علام تكون كتاباتكم ..

---

١ ـ وكان يدعى « فخرائي » ، وهو عضو في ادارة المخابرات اثناء حكم رضا شاه . والساعد الايمن لرئيس الجهاز محمد دركاهي .

ـ لقد بحثوا في كل خزانة ، وقلبوا في كل صندوق .

ـ حتى أن أجزاء تفسير الطبري التي أحسن تزيينها وزخرفتها ،

ـ قد بعثروها من فرط سرعتهم ، وألقوا بنصفها في جوال [1] ،
والنصف الآخر في المرحاض !

ـ بعد ذلك جاءني الدور ، حيث قال لي ذلك الرجل الأعرج ساخراً

ـ دقيقتين فقط وليس أكثر من ذلك [2] ، وماذا يحدث لو أتعبت
قدميك معنا بعض الوقت !

ـ إنهم يريدونك في الإدارة لعمل يسير !



بعد ذلك يصف الشاعر بهار كيف عومل بإهمال في إدارة المخابرات ، وتُرك ساعة أو ساعتين دون أن يسأله أحد أي سؤال ، أو يخبره بسبب إحضاره ، وكانوا يريدون بذلك تحطيم معنوياته قبل استجوابه ، وبعد ذلك سيق لاستجواب سريع لم يستغرق كثيراً ، ثم دُفع به إلى المعتقل رقم « ٢ » وقد وصفه ؛ فقال :

پس ره نمره دو پيمـــودم
زانكه خود راه را بلد بودم

١ ـ كانوا قد أحضروا معهم عدة أجولة لكي يأخذوا معهم كـــل ما يجدونه من كتب ومسودات ، لتنقل الى ادارة المخابرات لفحصها ، ولمعرفة هل ضمنها بهار هجوما على رضا شاه وحكومته ، أم لا ٠

٢ ـ أي اننا نريدك في ادارة المخابرات لسؤال لن يستغرق اكثر من دقيقتين ثم تعود الى دارك ، واذا بالدقيقتين تمتدان الى عامين ما بين اعتقال ونفي ، حيث لم يسمح له بالعودة الى داره الا بعد عامين وشهرين ٠

ایستادم به پیش آن درگاه
چـــه دری ، لا إله إلا الله !

دخمه‌ئی تنگ وسوبسوی ونمور
واندر آن دخمه چند زنده بگور

هر یکی در کریچه‌ئی دلتنگ
بسته بر رویشان دری چون سنگ

داشت دهلیزی وبر آن دهلیز
بود بسته دری ز آهن نیـــز

بدرون رفتم از همان در ، من
که بُدم رفته باد دیگر ، من

پس نگه کردم اندر آن دالان
دیدم آنجا گروهی از یاران

هر یك استاده گوشه‌ای خسته
چند تن در برویشان بستـــه

شده هر یك بدیگری مأنوس
پنج شش سال هر یکی محبوس

چون شود مرد لشکری قاضی
شود انسان ز قاضیان راضی

کلبهٔ عهد پیش را دیـــدم
خوردم آنجا ناهار وخوابیدم

عرض وطولش چو تنگنای عدم
سه قدم طول بود در دو قدم

بهتر از زنده در چنين مرقد
آنكه مرده‌است وخفته زير لحد [1]

وترجمتها :

ـ ثم سيق بي نحو المعتقل رقم (إثنين) ، والذي أعرف الطريق إليـه معرفة جيدة .

ـ ووقفت أمام باب هذا « البلاط » وأي باب هذا ، أستجير منه بالله وحده .

ـ سراديبه ضيقة وملتوية وكلها رطوبة ، ويعيش في هذه السراديب أعداد وفيرة من الأحياء ، وكأنهم من أهل القبور .

ـ كل منهم نزيل زنزانة ضيقة ، وقد أغلق عليهم باب ثقيل كالصخر.

٥ ـ للمعتقل دهليز ، وعلى بداية الدهليز ، باب مغلق مصنوع من الفولاذ .

ـ فدخلت من نفس الباب الذي كنت قد خرجت منـه في المـرة السابقة [2] .

ـ ثم نظرت داخل هذا الدهليز الضيق، فرأيت مجموعة من أصدقائي .

ـ وقد وقف كل منهم منزوياً في ركن وقد ألم به الوهن، كما وقف بعضهم وقد غلقت الأبواب دونهم .

---

١ ـ ديوان ملك الشعراء بهار ، جـ ٢ ، ص ١٢ ، ١٣

٢ ـ من المعروف أن بهار اعتقل مرتين قبل هذه المرة ، أي أن هذا الاعتقال كان الثالث منذ تولي رضا شاه الحكم عام ١٩٢٦ م .

- لقد أصبح كل منهم يأتنس بوجود الآخرين ، حيث قضى كل واحد منهم في الحبس ما بين خمس أو ست سنين .

١٠ - إن يصبح رجل الجيش قاضياً ، فهل يمكن للإنسان أن يكون عن هذا القاضي راضياً ؟

- لقد رأيت هذه الزنزانة من قبل ، فكم أكلت فيها ، وكذا نمت .

- أما عن مساحتها فضيقة كضيق العدم ، إذ أن طولها ثلاثة أقدام وعرضها قدمان !

- إن الميت الذي يرقد تحت الثرى أفضل من الحي الذي يقبع داخل هذه الزنزانة !

ثم نُقل بهار إلى المعتقل رقم « واحد » وهو مكان أسوأ حالا من المعتقل رقم (إثنين) ، وهناك التقى بجماعة من رفاقه الأحرار الذين ألقى بهم النظام داخل ظلمات المعتقل، لعدم تملقهم الشاه وموافقته في كل خطوة يخطوها ، وتهنئته على كل عمل يقدم عليه . ثم تطرق الشاعر بعد ذلك للحديث عن سبب بناء هذا المعتقل، وذكر أنه بني أساساً للمجرمين الخارجين على القانون ، لكنه لا يضم في عهد رضا شاه غير الأحرار المناضلين، ومع هذا فهم يعاملون معاملة لا تليق بالمجرمين، بل إنها لا تتفق والحيوانات .

ثم يخرج الشاعر عن سياق الأحداث داخل المعتقل، ويتذكر الليلة التي دبرت لمحاولة اغتياله بعد وقوفه في المجلس النيابي معترضاً على الدعوة إلى تغيير الحاكم وإسقاط حكم الدولة القاجارية ، وإسناد العرش لقائد الجيش رضا خان ، ولكن المتربصين لاغتياله

أخطؤه وقتلوا شخصاً آخر اسمه « واعظ القزويني » لوجود شبه بينه وبين الشاعر ... [1]

ويستطرد الشاعر بعد ذلك فيسرد مجموعة حكايات بعضها أخلاقي يتصل بالمعاني الأخلاقية التي فقدت في هذا العصر وبخاصة لدى الشاه ورجاله ، ومن المعروف أن الخروج بعيداً عن أحداث القصة يمثل النمط القديم لسرد المنظومات الشعرية ، وقد ألزم بهار نفسه بهذا النمط القديم إحياءً له ، واحتراماً لأدب السابقين .

ثم يتحدث الشاعر عن نقله إلى معتقل آخر ملحق بإدارة المخابرات ، فكانت حجرته مطلة على شارع مزدحم يعج بالحركة ، كما كان في مواجهة هذا المعتقل بنك ، وهنا يشير إلى أنهم قد أودعوه ورفاقه المعتقل لكي يحافظوا عليهم ، كما يحافظ الشاه على أمواله بإيداعها البنوك ، وهنا يقابل بين رصيده في المعتقل ورصيد الشاه في البنوك ، فيقول :

بانك من بانك دانش وادبست
بانك او بانك فضه وذهبت
وارث اين بانك را تمام كنند
بانك من تا ابد دوام كند
من واو چون رَويم ازين مسكن
بانك ماند از او وبانك زمن
بانك من نور وبانك او نار است
نور من نام،ونار او عار است[2]

---

١ ـ سبق الحديث عن هذه القصة خلال الفصل الثالث من الباب الاول .
٢ ـ ديوان ملك الشعراء بهار جـ ٢٢ ، ص ٣١ .

وترجمتها :

– بنكي أساسه العلم والأدب ، أما بنكه فرصيده الفضة والذهب .

– وسرعان ما يُبذّر خليفته بنكه ، أما بنكي فخالد إلى الأبد .

– عندما يودع كلانا هذا العالم ، سيخلّف كل منا بنكاً وراءه .

– وسيكون بنكي من نور ، أما بنكه فمن نار ، ونوري عزة ورفعة ، بينما ناره عار وخسة !

وبعد أن يصف الشاعر سجن المخابرات ، وما تكتنفه من صعاب وما تحيط به من جلبة وضوضاء ، إذا به يسري عن نفسه بحديث عن ليلة من ليالي الشباب قضاها مع إمرأة جميلة لعوب ، وبعد أن قضى معها فترة أنس ، استسلما للنوم ، فإذا بشخيرها يمزق أستار الهدوء فلا يغمض له جفن ، وأخيراً يشبه هذا الشخير وما أحدثه من قلق وأرق بتلك الضوضاء التي تحيط بسجن المخابرات .

بعد ذلك يتحدث عن حلم رأى فيه الشاعر سنائي وتحادث معه ، وكان هذا الحلم هو الباعث له ليترسم خطى هذا الشاعر الكبير وينظم « كارنامهٔ زندان » على غرار منظومة سنائي والمعروفة باسم « كارنامهٔ بلخ »

* * *

وهكذا كان الشاعر ينتقل من فكرة إلى فكرة ومن خاطر إلى خاطر دون أن يلزم نفسه بالحديث عما حدث له بالسجن من تحقيق أو تعذيب ، وهكذا فعل في باقي مقالات المنظومة ، حيث كان يعرض أحياناً لبعض الأحداث داخل المعتقل في إشارات سريعة . ثم يطوف بفكره وخياله بين أفكار اجتماعية وأخرى أدبية ، فقد تحدث في

المقالة الرابعة عن صفات الأستاذ وعن فوائد العلوم ، كما تحدث عن بعض المخادعين الذين يحفظون بعض المصطلحات ثم يتشدقون بهـا عن جهالة في المجالس العامة حتى يعتقد الناس بأنهم على قدر كبير من الثقافة والمعرفة . ثم يتذكر بيته في طهران وما تحيط به من حديقة فيحاء ؛ فينخرط في وصفها وما كان يفعله في هذه الحديقة من عناية بالورود ورعاية للنباتات ، إلى غير ذلك من الأحاديث العامة والخاصة . وأخيراً يختم المقالة الرابعة بتوجيه لوم عنيف لحاشية الشاه ومضاليه ، فهو يحملهم نصيبهم من الأخطاء التي ترتكب في حق الوطن والمواطنين ، ومن بين ما قاله :

ایکه نزد شـه آبرو داری
ز چه دست از حیا برو داری
شرم داری ز شه که گوئی راست
ایعجب شرمت از خدای کجاست ؟
چون مجال سخن ز شه جوئی
سخن از دوستان خود گـوئی
تو بهر جا که پنجه بند کنـی
نالهٔ خلق را بلند کـنی

٥ — مرد نالان وخسته محتـاج
چون کند کار وچون گزارد باج
هر تجارت که سود بیش آورد
دولت آنرا بچنگ خویش آورد
هر متاعی که سخت رایج بود
یك بده بر خراج آن افزود
خلق کشور همـه فقیر وگدا
همه نالان به پیشگاه خـدا

كاى خداوند قادر ذو المـــن

ريشهٔ ظلم را ز بيخ بكن [1]

وترجمتها :

ـ يا من تحظى بالمكانة لدى الشاه ، لماذا نفضت يديك من الحيـــاء والخجل ؟

ـ إن كنت تمتنع عن قول الحق خجلا من الشاه ، أفلا تستحي مـــن الحق تعالى ؟

ـ وإذا أتيحت لك فرصة الحديث مع الشاه ، فإذا بك تشي بأصدقائك !

ـ وفي كل وقت تشدد من قبضتك وقهرك ، حتى تعالت صيحات الخلق وتأوهاتهم .

٥ ـ كيف يطالب الفقير البائس المكدود بالتفاني في العمل ، ودفع الضرائب ،

ـ وقد احتكرت الدولة كل تجارة رائجة تدر ربحاً طائلاً !

ـ كما أنها تفرض ضرائب إضافية على كل بضاعة رائجة .

ـ جميع المواطنين فقراء مكدودون، لذا فهم يلهجون بالشكوى إلى الله تعالى .

ـ ويقولون : يا الله ، يا ذا الجلال والنعم ، لتجتث شجرة الظلـــم من جذورها !



١ ـ الديوان ، جـ ٢ ، ص : ٤٣ ، ٤٤ .

وفي المقالة الخامسة ينتقل إلى حديث عن بعض الآراء الاجتماعية والسياسية ، فقد تحدث عن المرأة ، وآثر الاختلاط ، ثم تحدث عن محمود الغزنوي وعن بعض الحكام الآخرين، وقد جاءت هذه المقالة أطول المقالات جميعها ، ولم تتضمن من الحديث عن السجن والمعاناة إلا حديثاً سريعاً عندما تكلم عن شهره الخامس خلف الأسوار ، وقد حل الصيف واشتد الحر داخل السجن الضيق والغاص بالعديدين من السجناء ، سواء أكانوا سجناء سياسيين أو مجرمين اقترفوا جرائم يعاقب عليها القانون ، فوضع السياسي الحر مع المجرم القاتل دون تفرقة أو تمييز ، ومما قاله :

تير ومرداد هم بەبنده گذشت
مدت حبس من تمام نگشت
شد هوا گرم وگرم شد محبس
پخته گشتند مرغها به قفس
دمبدم محبسی به حبس رود
ليك محبس فراختر نشود
حبسگاه موقتی تنگ است
همه جا بين حبسيان جنگ است

٥ ــ در اطاقی که پنج شش گز نیست
شصت ونه محبسی نماید زیست
همه عريان ز شدت تب وتاب
گرد هم در تنيده چون گرداب
پير هفتاد سالـه در نالـه
همدمش طفل يازده ساله

آن يكى دزد وآندگر جاسوس
وآندگر ، بار بوده نوكر روس
آن يكى كرده بازنش دعوا
آندگر قرض خود نكرده ادا
آن يكى هست مفلس ومفلوك
سنـد تابعيتش مشكوك [1]

وترجمتها :

ـ لقد مر بي كل من « تير » و « مرداد » [2] ، ولم تنقض بعد فترة اعتقالي وسجني

ـ اشتد القيظ ، وزاد لهيب السجن ، وكادت الطيور تشوي داخل أقفاسها !

ـ وفي كل لحظة ، كان يفد علينا سجين جديد ، مع أن السجن شديد الضيق .

ـ ولضيق هذا السجن المؤقت كانت المشاحنات تثور على الدوام بين المساجين .

ـ ففي حجرة لا تزيد مساحتها عن خمسة أقدام في ستة ، يتواجد تسعة وستون سجيناً .

ـ كانوا جميعاً عرايا من شدة القيظ واللهب ، وأخذوا يدورون حول أنفسهم وكأنهم في دوامة !

---

١ ـ الديوان جـ ٢ ، ص ٦٧ ٠

٢ ـ شهر تير يقابل شهري يونيو ويوليو ، وشهر مرداد يقابل شهري يوليو وأغسطس ، ومن المعروف أن طهران شديدة الحرارة في الصيف حيث تصل درجة الحرارة أحيانا الى ما يزيد على الخمس والاربعين درجة ٠

ـ فهذا شيخ في السبعين يئن ويتوجع ، وبجواره يرقد طفل في الحادية عشرة .

ـ وذاك لص ، وآخر جاسوس ، وثالث كان ذات مرة عبداً للروس !

ـ وذاك قد أقامت عليه زوجته دعوى ، وآخر لم يسدد ما عليه من ديون .

١٠ ـ وذاك مفلس معدم ، و « شيكاته » بلا رصيد .

★ ★ ★

وفي بداية المقالة السادسة يتحدث بهار عن إخراجه من المعتقل ولا أقول إطلاق سراحه ، لأنهم بعد أن أخرجوه ، أرسلوه منفياً إلى مدينة أصفهان ، فقد صدرت أوامر البلاط بنفيه خارج طهران وأن يختار أي مدينة إيرانية لكي يعيش فيها عدا خراسان مسقط رأسه ، فاختار بهار أصفهان لوجود بعض أصدقائه هناك . وبعد وصوله إليها أحسن أصدقاؤه استقباله ، وساعدوه في إيجاد مسكن له بأطراف المدينة ، فأرسل في إحضار زوجته وأولاده . ولكن الشرطة كانت تفاجئه في كل وقت للتأكد مما يفعل ، وهل يكتب أشعاراً أو مقالات ضد الملك والحاشية ؟ وهل يلتقي بأشخاص غير مرغوب فيهم من قبل الشاه والحكومة ؟

وأثناء إقامة بهار في أصفهان كان يراسل أصدقاءه في العاصمة طهران ؛ كي يتشفعوا له لدى الشاه حتى يسمح له بالعودة إلى داره ، ويزاول حياته التي حرم منها قرابة العامين ، ومما جاء في توسلاته :

من كه ديرينه خادم وطنم
پادشاه ممالك سخنم

با اجانب نبوده‌ام دمساز
با اجامر نگشته‌ام همراز
کرده‌ام من بخلق خدمتها
دیده‌ام خواری ومشقتها
بعد سی سال خدمت دایم
چار دوره وکالت دایم

هست دارائیم کتابی چند
خانه وباغ وپنج شش فرزند
نه نمازم سوی سفارت بود
نه نیازم سوی وزارت بود
هر چه بودم بشهر ری موجود
رهن شد در بر رحیم جهود
باورت نیست از محله بپرس
زان رحیم رجیم دله بپرس
با اجازت دهد شه آفاق
که رَوم من بسوی هند وعراق

یا ازین ابتلا رها کنلم
خط آزادگی عطا کنلم
تا بکسب معاش پردازم
دفتر ونامه منتشر سازم (۱)

---

۱ ــ دیوان بهار ، ج ۲ ، ص ۷۹ ، ۸۰ .

وترجمتها :

ـــ كم كنت خادماً مخلصاً للوطن منذ عهد قديم ، كما أنني ملك مملكة الشعر والأدب .

ـــ لم أكن رفيقاً أو صديقاً للأجانب، كما لم أكن حميماً للأشرار .

ـــ لقد أديت خدمات جليلة للوطن ، ومع هذا رأيت الذلة والمهانة والمحن .

ـــ بعد ثلاثين عاماً من الخدمة والعمل الدءوب ، والفوز بالنيابة في المجلس خلال أربع دورات ،

ـــ لا أملك إلا بضعة كتب ومنزلا وحديقة وخمسة أو ستة أولاد .

ـــ إنني لم أركع أمام أي سفارة ، كما لم أتقدم بمظلمة أو استجداء إلى أي وزارة !

ـــ لقد رهنت كل ما أملك بمدينة « الرى »[٢] لدى « رحيم » اليهودي!

ـــ فإن كنت لا تصدق ذلك ، فاسأل في المحلة ، وسل رحيم الرجيم الخسيس !

ـــ فإما أن يسمح لي الشاه بالهجرة صوب الهند أو العراق ،

ـــ وإما أن يحررني من تحمل هذا البلاء ، ويمنحني وثيقة عتقي ،

ـــ حتى أواصل العمل فأكسب قوتي ، وأنشر الكتب وأصدر الصحف والمجلات .[٣]



١ ـــ الري : الاسم القديم لمدينة طهران ، وما زال القسم الجنوبي القديم من العاصمة الايرانية يحمل نفس الاسم .

٢ ـــ من المعروف أن بهار أصدر عدة صحف أهمها : « نو بهار » و « دانشكده » .

وفي المقالة السابعة تحدث الشاعر عن السياسة والسياسيين وما يجب عليهم فعله لكي يحسنوا تصريف الأمور ، والشاعر في هذه المقالـة يحيي طريقة الأقدمين ، فقد تحدث عن هذه المعاني أو ما يشبهها كلٌ من نظـام الملك في كتابه سياست نامه ، وقابوس بى وشمگير في كتابه «قابوسنامه» ، وسعدي الشيرازي في كتابه «الگلستان» ، فقد كان هؤلاء المؤلفون وأمثالهم حريصين على تقديم النصح لمن يتصدون للسياسة من حكام ووزراء وحاشية .

ومن الموضوعات التي تحدث عنها الشاعر محمد تقي بهار في هذه المقالة : في السياسة وشروط الرئاسة ، حكاية رئيس سمرقند ، حكاية عن السلطان محمود الغزنوي ، حكاية أحمد شاه القاجاري وتكديسه الأموال ، صفة العدالة ... إلى غير ذلك من المضامين السياسية التي تحدث عنها الشاعر .

★ ★ ★

وفي المقالة الثامنة يتحدث الشاعر عن صدور أمر بالعفو عنـه ، والسماح له بالعودة إلى طهران بعد أن تشفع له « محمد علي فروغي» رئيس الوزراء في ذلك الوقت ، ومن كبار الأدباء والكتاب ، وكان بهار يراسله شاكياً ، فحمل فروغي شكواه إلى رضا شاه الذي قبـل رجاء رئيس وزرائه ، وسمح لبهار بالعودة إلى داره بطهران ، بشرط ألا يشارك في السياسة وألا يتعرض للحكم والشاه بالنقد والتجريح :

شد فروغى شفيعم از سرِ مهر
سود بر آستان خسرو چهر

در نهان با (شكوه) شد همدست
بر خسرو شفاعتى پيوست .

خواستندم ز شهر اصفاهـان
اینچنین است عادت شاهان
گر چه دولت رضای من میجست
التزامی ز من گرفت نخست
٥ ـ که به ری انزوا کنم پیشـه
نکنم در سیاست اندیشـه
آنچه گفتنـد سربسر دادم
مهر وامضای خویش بنهادم
ره تهران گرفتم انـدر پیش
تا شوم منزوی بخانهٔ خویش (١)

وترجمتها :

ـ لقد تشفع لي فروغي لدى الشاه ، عارضاً عليه ما يحققه ذلك من نفع .

ـ فقد توجه إليه في سرية وكتمان حاملا معه شكواي ، وطالباً لي الشفاعة .

ـ وهكذا استدعوني من مدينة أصفهان ، وعلى هذا المنوال كانت عادة الملوك ومسلكهم .

ـ ومع أن الدولة كانت تبحث عن وسيلة لإرضائي ، فقد طلبوا مني تعهداً في البداية .

٥ ـ مؤداه : أن ألزم العزلة والانزواء في الري ، وألا أحترف السياسة أو أسلك دروبها !

---

١ ـ ديوان بهار ، جـ ٢ ، صـ : ١٠٨ .

– لقد وافقت على كل مطالبهم ، ووقّعت بخاتمي وإمضائي .

– ثم سلكت الطريق صوب طهران ، كي أكون قعيد الدار هناك !

بعد ذلك يشرع في سلوك الطريق من أصفهان إلى العاصمة طهران، ويشرح كيف يُعامل المسافرون بغلظة وقسوة من رجال الشرطة حيث يتعرضون للتفتيش المستمر والنهب أحياناً ، كما تحدث عن بعض العادات الاجتماعية التي يمارسها الإيرانيون في رحلاتهم هذه ، وقد قص بهار قصة شراب أصفهاني يشبه (الكينا) يأخذه الأطفال كدواء، فإذا برجال الشرطة الذين يفتشون المسافرين يظنونه خمراً ، فيطالبون بهار بجمارك على هذا الشراب حتى يُسمح له بإدخاله إلى طهران، فدفع الجمارك مضطراً وأخذوا منه بعد ذلك الشراب لكي يفحصوه. وبقي الحال على هذا عدة ساعات ثم أعاد أحدهم الشراب معتذراً ، ولكن بعد أن فسد الشراب، ثم أعاد الجمارك التي حصلها زميل له ، فقال بهار مشيراً إلى هذه المهانات والذلة التي يتعرض لها الإيرانيون في سفرهم :

بخدائی که هست واقف راز
زانچه گفتم یکی نبود مجاز
باشد احوالت ملت ایران
مثل آن شراب اصفاهان
که برندش بزور وآب کنند
ضایع وفاسد وخراب کنند
این ادارهچیان دزد ودغل
همه هستند غرق مکر وحیل

نه امانت نه حس ملیت
نه وظیفه نه پاکی نیست
همگی بی‌عقیده وایمان
بسته با دزد وراهزن پیمان
همه با هم مخالف ودشمن
رو‌بهم‌رفته دشمنان وطن
وانکه باشد امیر این دزدان
هست باری نظیر این دزدان
وزرا را صفای نیت نیست
امرا را غم رعیت نیست

آنکه در بند سیم وزر باشد
برعایا کیش نظر باشد ؟
راهی ار سازد وخیابانی
کارگاهی وکاخ وایوانی
همه از بهر سود خویش کند
یا ز بهر نمود خویش کند
تا از اینره شود بکار سوار
بنهد گنج درهم ودینار
مهتر خانه چون زند تنبک
پای کوبند کودکان بی شک[1]

---

۱ ــ دیوان بهار ، ج ۲ ، ص : ۱۱۱ .

وترجمتها :

– أقسم بالله عالم الأسرار ، أن كل ما قلته حقيقة وبعيد عن كل مجاز !

– هكذا أصبحت أحوال الأمة الإيرانية شبيهة بهذا الشراب الأصفهاني.

– لقد سلبوه عنوة وخلطوه بالماء فأصابوه بالضياع والفساد والخراب ، ومثل هذا يفعلون بإيران .

– هؤلاء الموظفون ليسوا إلا لصوصاً مخادعين ، وهم جميعاً غرقى المكر والحيل والتدليس .

٥ – لقد عدموا الأمانة ، وفقدوا الشعور بالوطنية ، كما أنهم يتسمون بالجهل في أعمالهم ، وبسوء النية .

– جميعهم بلا عقيدة وإيمان ، بل إنهم حلفاء وشركاء للصوص وقطاع الطرق

– والخلاف قائم بينهم على الدوام ، ولكنهم جميعاً أعداء للوطن بالتمام !

– ولا شك أن أمير هؤلاء اللصوص ، لا بد وأن يكون على شاكلتهم لصاً .

– كما أن الوزراء قد عدموا صفاء النية والطهر ، كما فقد الأمراء الإحساس بالرعايا ومشاكلهم .

١٠ – فذلك الذي يصبح عبداً للذهب والفضة ، كيف يُرجى منه أن يفكر في أمر الرعية ؟

ـ فإن يعبِّد طريقاً أو يمهد شارعاً ، وإن يشيد مصنعاً أو قصراً أو إيواناً ،

ـ فهذا كله ليحقق منفعة خاصة ، أو من أجل التظاهر والتفاخر !

ـ أو أن ينطاق ممتطياً هذا العمل ، ليجمع كنوزاً من الدراهم والدنانير.

ـ إذا كان رب البيت بالدف ضارباً ، فشيمة أهل البيت الرقص !

وأخيراً يصل إلى طهران ويتوجه بمجرد وصوله إلى إدارة الأمن العام لكي يخطرهم بوصوله ، ويتلقى منهم التعليمات التي يجب عليه تنفيذها وإلا تعرض للاعتقال مرة أخرى ؛ وما أن وصل بهار إلى داره حتى سارع ببيع بستان كان يمتلكه ؛ حتى يسدد بثمنه الديون الباهظة التي تراكمت عليه طوال العامين الماضيين اللذين قضاهما بين المعتقل والنفي ، دون أن يسمح له بمزاولة أي عمل يحقق له ما يسد رمق أسرته ، ويحفظ عليها كرامتها .



وقد جعل بهار المقالة التاسعة للحديث عن مقابلاته للمسئولين في طهران بعد عودته ، وعرضهم عليه بأن يصدر صحيفة تتولى الدولة تمويلها ، ولكن الشاعر اعتذر بأنه لم يعد قادراً على هذا العمل ، الذي يحتاج بطبيعة الحال إلى تملق السلطة والتسبيح بحمد الشاه ، وتقديم الشكر لرجال البلاط ، وهذا ما لم يتعود عليه الشاعر حتى ذلك الوقت ؛ وإن كان قد اضطر إليه بعد ذلك تجنباً للمشاق وخوفاً من الاعتقال والسجن .



أما المقالة العاشرة فقد خص المرأة بها ، حيث تكلم عن الحجاب

والعباءة ، وأن المرأة تحتاج إلى التعليم أفضل من حاجتها إلى الحجاب ومن المعروف أن الفترة التي عاد فيها بهار إلى طهران كان النقاش محتدماً حول قضية رفع الحجاب ، فأدلى بهار برأيه في هذه القضية في قصائد متفرقة بالديوان ، وفي المقالة العاشرة من هذه المنظومة . تحدث كذلك عن صفات المرأة الطاهرة ، وتحدث أيضاً عن سمات المرأة الدنسة الذيل ، ولا داعي لذكر أمثلة حول هذه القضية فقد أوردنا قصيدة لبهار قالها في الاحتفال الرسمي بعد صدور القرار برفع الحجاب، وذلك في عام ١٩٣٥م ، أي في نفس العام الذي عاد فيه من أصفهان إلى طهران [1] .

* * *

وأخيراً تأتي الخاتمة ، وقد تحدث فيها بهار عن الشاعر شهيد البلخي الذي توفي في حدود عام ٤٢٠ هـ ، وكان يعيش في رعاية الدولة السامانية وفي أواخر حياته كان يفضل الخلوة مع الكتب على مجالسة الناس، ولعل بهار يشبّه نفسه به ، فقد آثر بعد عودته من أصفهان الانزواء في داره وبين كتبه ، ورفض العمل مع الحكومة أو النزول إلى معترك الحياة ومخالطة الناس ، واعتبر أن الاعتكاف مع الكتاب ـ كما كان يفعل شهيد البلخي ـ متعة لا تدانيها أية متعة وسعادة لا تضاهيها السعادة بجاه أو مال أو تحفة يتحف بها الإنسان ، لذا قال في نهاية الخاتمة ، وبالتالي في نهاية المنظومة :

هركرا با كتاب كار افتاد
عمرش از شصت تا هزار افتاد
وانكه در خلوتش كتب خوانيست
خاطرش فارغ از پريشانى است

١ ـ انظر الفصل الثالث من الباب الثاني من هذا الكتاب .

هركه شد با كتاب يار ونديم
ياد نارد ز دوستان قديم [1]

وترجمتها :

ــ كل من كان يعمل بالكتاب ، طال عمره من الستين إلى الألف .
ــ ومن كان في خلوته أنيساً للكتاب ، خلا خاطره من كل اضطراب .
ــ ومن كان للكتاب رفيقاً ونديماً ، كان في غنى عن تذكر أصدقائه القدامى !



بعد هذا العرض السريع لمنظومة « كارنامهٔ زندان » ، نقرر أن المنظومة قد سارت على نهج المنظومات القديمة من حيث تقسيمها إلى مقالات وخاتمة ، وخروج عن الخط الرئيسي للقصة وذلك لمعالجة موضوعات شتى ، حسبما ترد على ذهن الشاعر وتداعب خياله ، ولم يكن فيها من جديد إلا الموضوعات التي تكلم عنها الشاعر من أفكار سياسية واجتماعية نابعة من ظروف الشاعر الخاصة ، وظروف مجتمعه وقت نظمها . كما أن تأثر الشاعر بالقديم واضح في اختيار اسم المنظومة فقد جاء كما سبق أن ذكرنا ـ تقليداً لمنظومة الشاعر الغزنوي سنائي المعروفة باسم « كارنامهٔ بلخ » ، وقد تحدث الشاعر عن سنائي باعتباره الملهم له والمرشد ، وأنه نظم منظومته هذه ترسماً لخطى هذا الشاعر الكبير ، ويظهر تأثره بالقديم كذلك عندما ختم منظومته بتشبيه نفسه في عزلته مع الكتب بالشاعر شهيد البلخي .

---

١ ـ ديوان بهار ، جـ ٢ ، ص : ١٢٦ .

ولعل تأثر الشاعر بهار بالقديم وإحياءه لطريقة الأقدمين في نظم المنظومات يرجع إلى نوع الثقافة التي أعد بهار نفسه بها ، فثقافتـــه شرقيه بما تحمله هذه الكلمة من ثقافة فارسية وأخرى عربية ولم تتح له فرصة التعلم في مدارس حديثة عصرية تهتم باللغات الأوربية وتطلع طلابها على أنماط من الآداب الأوربية ، وعلى هذا جاء ديوانه كله - ومنه منظومته هذه - شاهداً على نوع ثقافته وأصالة الطابع الشرقـــي عنده ، وذلك على عكس ما سنجده عند الشاعر إيرج ميرزا في نظمه لمنظومته الشهيره « زهره ومنوچهر » التي آن الأوان للحديث عنها ، ثم إيراد ملخص لأهم أحداثها .

منظومة « زُهره ومنوچهر »

للشـــاعر إيرج ميرزا

نظم الشاعر إيرج ميرزا «زهره ومنوچهر» في الأيام الأخيرة من حياته (١٩٢٥م)، بل إنه مات فجأة قبل أن يكمل نظمها ، وقد وصل عدد أبيات ما نظمه من القصة قرابة الخمسمائة بيت . وتعد هــذه المنظومة أحسن ما نظم إيرج ، بل إنها ـ باعتراف كل الدارســين للأدب الفارسي من الإيرانيين وغيرهم ـ أعظم منظومة فارسيــة في الأدب الحديث والمعاصر في إيران .

وقد ذكر جميع من أرخوا لشعر إيرج ؛ أن الشاعر الإيراني قد أخذها عن قصيدة للشاعر الإنجليزي العملاق شكسبير، وقد أخذها هذا بدوره عن أسطورة رومانية قديمة أوردها الشاعر الروماني (أوفيد) في كتابه (أطوار الحب) .[1] ويقال إن هذه القصيدة كانت باكورة إنتاج شكسبير ، ومع هذا تعد من أشهر أعماله الأدبية . وعلى الرغم من هذا الإجماع فإنني أظن بأن إيرج ميرزا قد قرأها بالفرنسيــة

---

١ ـ محمود صابر : تقديم الترجمة العربية لمسرحية فينوس وأدونيس للشاعر الفرنسي اندري أوبي ، روائع المسرحيات العالمية ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص : ١٦ .

وليست بالإنجليزية ، فعلى الرغم من زيارته لإنجلترا في صحبة قوام السلطنة، وإلمامه باللغة الإنجليزية ؛ إلا أنه كان أكثر إجادة للغة الفرنسية التي كان يتعلمها منذ صغره [1] ، ولعل إحدى الترجمات الفرنسية التي اطلع عليها إيرج ميرزا ، تلك المسرحية التي تحمل هذا الإسم ، والتي كتبها الأديب الفرنسي أندري أوبي ، وقد زاد على أحداثها وأبطالها ما يسهل نقلها من مجرد قصيدة جميلة لشكسبير إلى مسرحية ناجحة تمثل على خشبة المسرح الفرنسي . [2]

وسواء أكان إيرج قد قرأ القصة في شكل قصيدة مترجمة إلى الفرنسية أو حتى إلى الفارسية ، أو قرأها في شكل مسرحية ، فإنه لم يكن مجرد ناقل ومترجم فيما نظم ، بل كانت له شخصيته المستقلة ، وكانت أحاسيسه الإيرانية وشعوره الوطني باديين في سرد أحداث القصة ، كما سنلاحظ عندما نورد ملخصاً لأحداث المنظومة ، فعلى الرغم من أن إيرج حافظ على الخطوط الأساسية في الأسطورة ، إلا أنه نسج من حولها نسيجاً إيرانياً ، وألبس أبطالها أردية إيرانية[3] .

---

١ ـ ورد في اخبار ايرج انه تعلم اللغة الفرنسية في صغره على يد المسيو لامبو مدير مدرسة دار الفنون في تبريز في أواخر القرن الماضي ، وقد واصل ايرج تعلمه للغة حتى أجادها ، ثم عمل مترجما للغة الفرنسية في الجمارك وذلك لفترة طويلة من حياته • وهكذا كان قادرا على القراءة في الادب الفرنسي والاقتباس منه • (افكار وآثار ايرج : سيد هادي حائري ، تهران ١٣٣٤ هـ • ش) •

٢ ـ المرجع السابق •

٣ ـ لا أجد داعيا هنا للدخول في دراسة حول الاصالة والتجديد في منظومة ايرج ، ومقارنتها بالاصل الذي نظمه شكسبير ، أو بالترجمة الفرنسية ، حيث ستكون هذه المقارنة مجال عمل مستقل لكي تكون الفرصة مهيأة لمقارنات مفصلة وجادة • وأرجو أن تنتهي هذه الدراسة في القريب العاجل •

وبطلا المنظومة ـ عند شكسبير ـ هما : فينوس إلهة الجمال وربة الخصب والنماء لدى الرومان ، وهي تقابل أفروديت لدى الإغريق وتقابل كذلك عشتروت لدى الفينيقيين ، ولا غرابة في ذلك ، فقد قيل إن مسرح الأسطورة كان منطقة لبنان وذلك بجوار نهر إبراهيم ، وأن عشتروت كانت تلقب بعدة ألقاب أهمهـــا (بيروت) الذي أطلق بعد ذلك على العاصمة اللبنانية ، وكذلك (زهره) ،[1] وهـو الاسم العربي الذي يقابل اسم هذه الإلهة في اللغات الأخرى . وقد قيل بأن عبادة هذه الإلهة قد انتقلت مع الفينيقيين أيام سطوتهم وتسلطهم على البحار إلى جزيرتي قبرص وكريت، ومنهما انتقلت إلى بلاد اليونان والرومان ، ولكنها اتخذت لها أسماء جديدة في كل بلد ، فكـــان اسمها أفروديت في بلاد اليونان ، وفينوس في بلاد الرومان ، ولعل الاسم الأخير كان أشهرها جميعاً ، لذا حيكت الأساطير الكثيرة حول هذا الاسم ، كما وجد تمثالان لهذه الإلهة في روما ، ونتيجة لغلبـــة استعمال هذا الاسم ، فقد استخدمه الشاعر الإنجليزي شكسبير في قصيدته . وعندما أراد إيرج أن ينظم منظومته آثر استخدام الاســـم العربي والفارسي لهذه الإلهة الشرقية الأصل وهو «زُهرة»، كما كان اسم زهرة من بين ألقابهـــا في بيئتها الفينيقية الأولى ، وكأنه أراد أن يرد لها اعتبارها وشرقيتها .

أما أدونيس البطل في الأسطورة الفينيقية أو الرومانية ، وكذلك عند شكسبير فقد وردت الأخبار بأنه ينتسب إلى ملك سوريا (قياس) أو « تشياس » [2] كما جاء في الأساطير الرومانية ، وذلك من ابنتـــه

---

١ ـ شوقي عبد الحكيم : أساطير وفولكلور العالم العربي جـ ١ القاهرة ١٩٧٤ ، ص : ٧٠

٢ ـ يكتب باللاتينية « Shéias » : تعليقات ديوان ايرج ميرزا ، بقلم محمد جعفر محجوب ، ص : ٢٥١ الطبعة الثالثة ٠

« تيرا » أو « سميرنا » التي حملت منه سفاحاً ، ولما عرف ذلك أراد الفتك بها ، ولكن الآلهة أنقذتها إكراماً للجنين البريء الذي لم يرتكب ذنباً ، وجعلتها تبدو في صورة شجرة ، وكلما تقدمت أشهر الحمل كلما تضخم جذع الشجرة ، إلى أن جاءها المخاض ووضعت طفلا فائقاً في الجمال أطلقت عليه اسم « أدونيس » ، بعد ذلك عثرت عليه ربة الجمال «فينوس» — أو «أفروديت» أو «عشتروت» — فأودعته لدى تابعة لها تعرف باسم «برسيفون» ، ولكن الأخيرة طمعت في الغلام لجماله الفائق ، وهكذا وقع الخلاف بين ربة الجمال وتابعتها إلى أن احتكمتا إلى رب الأرباب ، فقضى بأن يمكث في صحبة فينوس ثلث العام ، ومع برسيفون ثلثه الثاني ، ثم يُترك له حرية الاختيار في الثلث الأخير .

ثم تمضي أحداث الأسطورة بأن الصبي قد أصبح شاباً يافعاً ذا جمال يأخذ الألباب ويوقع كل من يراه في حبه وهواه ، وهنا تبدأ قصيدة شكسبير — وكذلك منظومة إيرج ميرزا — وذات يوم خرج إلى الصيد، فجاءته فينوس مزدانة بأبهى زينة عارضة عليه حبها ولكنه تمنع وأراد الفكاك منها حتى يذهب مع رفاقه إلى الصيد ، ولكنها تحاول إغراءه بكل وسائل الإغراء لدى المرأة ، وأي مرأة هذه ؟ إنها ربة الجمال وإلهة العشق ، ومع كل هذا فأدونيس صلب لا يلين أمام إغرائها وأمام توسلاتها ، وكم حاولت تقبيله ولكنه كان يتمنع ويبعدها عنه، ثم حاولت ضمه إلى صدرها وحضنها ، ولكنه كان يأبى بعفة وأدب جم ، مما جعلها تزيد من حبها له ، فالصد يزيد العشق ناراً ، ويضاعف الهوى ، وأخيراً يصر أدونيس على الخروج لصيد الخنازير البرية المتوحشة على الرغم من تحذير فينوس له ، ولم يمض كثير من الوقت حتى سمع الجميع صرخة مدوية ، فإذا بأحد الخنازير يفتك بأدونيس ويمزقه إرباً إرباً، فأسرعت فينوس إلى مسرح الجريمة،

فوجدته أشلاء ممزقة ، فبكته وقامت بدفنه ، وبعد فترة نبتت زهرة بيضاء تتوسطها بقعة حمراء على قبر أدونيس ، فأخذت فينوس هذه الوردة ، وصعدت إلى السماء . وهكذا انتهت رحلتها إلى العالم الأرضي ، وانتهت معها أحداث الأسطورة .

حافظت معظم الروايات على اسم البطل كما ورد في الأسطورة القديمة ، ولكن إيرج قد خلع عليه اسماً إيرانياً وهو « منوچهر » حتى يوظفه بعد ذلك في خدمة بعض آرائه الوطنية ، فقد جعله جندياً بالجيش الإيراني وبالتالي فإن الجندي المؤمن بالجندية — كما سنرى — مطالب بسلوك معين سواء على المستوى الفردي أو على المستوى الوطني .

وهكذا أفاد الشاعر إيرج ميرزا من ثقافته الأوربية في نقل أسطورة مشهورة من الأدب الإنجليزي — على الأرجح من خلال الترجمة الفرنسية — إلى اللغة الفارسية ، وهكذا كانت الصلات الثقافية بين إيران والغرب ذات أثر واضح على فكر بعض الشعراء ، وكذلك على بعض أنماط أشعارهم .

والآن يجمل بنا أن نعرض للقصة كما جاءت في منظومة « زهرة ومنوچهر » للشاعر إيرج ميرزا ، على أن نقرر منذ البداية ، بأن الشاعر قد عاجلته المنية قبل أن يتمها ، فقام أحد أصدقائه بإضافة حوالي أربعين بيتاً لما نظمه إيرج حتى تصل المنظومة إلى نهايتها .



عرض لمنظومة « زهرة ومنوجهر » (١) :

قبل أن تشرق الشمس ، كان منوچهر الملازم الأول بالجيش الإيراني قد أعد العدة لرحلة صيد ، فاليوم يوم الجمعة ، وهو يوم عطلة لن يذهب فيه إلى قلعته الحربية ، لذا أراد أن يروح عن نفسه ويجدد نشاطه ، وعلى الرغم من كثرة هواياته ، إلا أنه آثر أن يذهب إلى الغابة كي يصيد ، وبعد ما تكبده من مشقة الوصول إلى الغابة ، جلس على حافة جدول كي يستريح ، ثم يقوم لمزاولة الهواية التي جاء إلى الغابة من أجلها .

وفي نفس الوقت كانت زهرة ربة الجمال وإلهة العشق قد ألم بها الوهن من مواصلة العمل، فأرادت أن تروح عن نفسها هي الأخرى، فخلعت أردية الملائكة ولبست رداء المرأة الإيرانية، ثم توجهت صوب الأرض فإذا بها تهبط في نفس المكان الذي يجلس فيه منوچهر، ومما قاله إيرج في وصف هبوط زهرة ؛ هذه الأبيات :

از طرفى نيز در آن صبحگاه
زهره مهين دختر خالوى ماه
آلههٔ عشق وخداوند ناز
آدميان را بمحبت گداز
پيشهٔ وى عاشقى آموختن
خرمن ابناى بشر سوختن

---

١ ــ قام الزميل ابراهيم المغازي بترجمة المنظومة كلها ، ضمن بحثه للماجستير والذي قدمه باسم « ايرج ميرزا : عصره وبيئته وشعره » وذلك الى كلية الآداب جامعة عين شمس ، وما زال البحث تحت الطبع • وتوجد منه نسخ في مكتبة الكلية المذكورة ، ومكتبة جامعة عين شمس •

خسته وعاجز شده در کارِ خود
واله وآشفته چو أفکار خود

٥- خواست که بر خستگی آرد شکست
یکدوسه ساعت کشد از کار دست
سیرِ گل وگردش باغی کند
تازه ز گل گشت دماغی کند
کَنْد ز بر کسوت فلاکیان
کرد بسر مقنعهٔ خاکیان
خویشتن آراست بشکل بشر
سوی زمین کرد ز گیهان گذر
آمد از آرامگه خود فرود
رفت بدانسو که منوچهر بود (١)

وترجمتها :

- ومن ناحية أخرى ؛ ففي الصباح الباكر أرادت زهرة كبرى بنات القمر،
- وإلهة العشق وربة الدلال ، ومَن تصهر الآدميين بعشقها .
- ومَن حرفتها تعليم العشق ، وحرق بيدر أبناء البشر .
- ومَن أصابها الوهن والملل في عملها ، ومَن أصبحت والهة مضطربة مثل أفكارها .

٥ - أرادت أن تحطم ملالتها وتعبها ، وأن تفرغ بعض ساعات من عملها .

---

١ - ديوان ايرج ميرزا ، ص : ٩٨ .

– وأن تتجول في الحديقة وتتفقد الأزهار ، وبذا تجدد نشاطهـا وحيويتها .

– فخلعت عن نفسها رداء الملائكة ، وارتدت مقنعة الإيرانيات .

– وزينت نفسها على شاكلة البشر ، وهبطت من عطارد صوب الأرض.

– ونزلت من مخدعها ومقرها، وتوجهت إلى حيث يوجد منوچهر.

وما أن رأت زهرة منوچهر ، حتى سرت في جسدها رعـدة العشق ، ولم تعد تتمالك نفسها ، وكانت حيرى في أمرها ، فهـي التي توقع الجميع في حبائلها ، وتصيب الكل بسهام عشقها ؛ فمـاذا دهاها حتى تكون أسيرة هذا الفتى الجميل ؟ كل هذا حدث وهو لا يكاد يشعر بوجودها ، بل إنه ركب فرسه واستعد للصيد . فعقدت العزم على أن تقترب منه وتتدلل معه لعلها تتغلب على صمته وتحطـم تمنعه وكبرياءه ، وفعلا توجهت إلى حيث يجلس وبادرته السـلام قائلة :

گفت سلام ای پسر ماه وهور
چشم بد از روی نکوی تو دور

ای ز بشر بهتر وبگزیده‌تـر
بلکه ز من نیز پسندیده‌تـر

ای که پس از خلق خلاق تـو
همچو خلایق شده مشتاق تو

ای تو بهین میوهٔ باغ بهـی
غنچهٔ سرخ چمـن فرّهـی

چین سر زلف عروس حیات
خال دلآرای رخ کائنات
در چمن حسن گل وفاخته
سرخ وسفیدی برخت تاخته
بسکه شده خلقت تو شوخ وشنگ
گشته بخلقت کن تو عرصه تنگ
کز پس تو بازچه رنگ آورد
حسن جهانرا بچه قالب برد
بی تو جهان هیچ صفائی نداشت
باغ امید آب وهوائی نداشت

مغتنم است این چمن دلفریب
ای شهٔ من پای در آر از رکیب
شاخ گلی پا بسر سبزه نِه
شاخ گل اندر وسط سبزه نِه
صبح باین خرمی واین چمن
با چمن آرا صنمی همچو من [1]

وترجمتها :

– قالت : عليك السلام يا ابن الشمس والقمر ، ليجنبك الله عين السوء !

– يا من يفضل البشر ويعلو عليهم ، بل يا من هو أجمل مني وأكمل !

---

١ ديوان ايرج ميرزا ، ص : ٩٩ ، ١٠٠ .

ـ يا من يشتاق إليك الخالق ويعشقك بعد أن انتهى من خلقك !
ـ يا من تعد أحسن ثمرة أثمرتها شجرة العظمة ، وأجمل زهرة أنتجتها روضة البركة !

٥ ـ إنك ثنية تعلو رأس عروس الحياة ، كما أنك مبهج وجوه الكائنات .

ـ أنت في روضة الحسن وردة ويمامة ، حيث يتضارع على وجهك الإحمرار والبياض .

ـ فما أجمل خلقتك وأبهاها ، حتى أنك بحسن خلقتك ، ضيقت عرصة الدنيا وساحتها .

ـ فكيف يحلو لها أن تتزين من بعدك ؟ وكيف يمكنها أن تبدي حسنها ؟

ـ وبدونك ينعدم الصفاء والجمال في الدنيا ، وبدونك تفقد الروضة تعلقها بالماء والهواء .

١٠ ـ هيا نغتنم فرصة هذه الروضة الجميلة يا مليكي ، ولتترجل عن فرسك !

ـ ويا غصن الورد لتضع قدمك على الخضرة ، ولتتوقف وتقف وسط الخضرة !

ـ ما أبهاه من صبح ، وما أجمله من روض ! وحسناء مثلي تزيد الروض جمالا !

على الرغم من هذا الإطراء والتغني بجماله ، فإن منوچهر لم يأبه بها ، وصمم على مغادرة المكان والتوجه إلى ممارسة الصيد الـذي

جاء من أجله ، فحاولت إغراءه أكثر وأكثر بأن دعته كي يقبّلها ، ثم يضمها إلى صدره ويتعانقا ، ولكنه كجندي كان يرفض هذا التصرف الذي لا يتفق والشرف العسكري الذي يأبى أن يختلس الإنسان شيئاً ليس من حقه ، وعندما أعيتها الحيل ولم يستجب لتوسلاتها وإغرائها ، لجأت إلى العنف فجذبته من فوق الفرس وأسقطته على الخضرة ، وسارعت بالرقاد بجانبه ، وطوقته بذراعيها ، وانهالت عليه تقبيلا ، كل هذا ومنوچهر في حيرة تامة من أمره ، يحاول الفرار ولكنه لا يستطيع ، لأنها لا تترك له فرصة لذلك ، وفي لحظة كاد يضعف ويقبلها ، ولكن سرعان ما ثاب إلى رشده ، وأبعد شفتيه عن شفتيها ، مما أشعرها بالضيق فسألته هل هناك محبوبة أخرى تحبه ؟ وهل هذه المحبوبة تفوقها جمالا ودلالا ؟ كل هذا والفتى لا ينطق بحرف ، وإنما يحاول أن يبعدها بكل طريقة ، فإذا بها تعاود الكرة ، وتطالبه بمبادلتها القبلات :

هرچه ز جنس عسل وشكر است
بوسهٔ من از همه شيرين تر است

تا دو سه بوسه نستانی همی
لذت اين كار ندانی همی

تو بستان بوسه يی از من فره
بد شد اگر ، باز سرِ جاش نِه !

اخم مكن! گوش به عرضم بده
مفت نخواهم ز تو ، قرضم بده !

٥- نيست در اين گفتهٔ من سوسه يي
گر تو بمن قرض دهی بوسه يي

بوسهٔ دیگر سر آن می نـهم
لحظهٔ دیگر ، به تو پس می دهم
من که نگفتم تو بده بوسه مفت
طاق بده بوسه وبرگیر جفـت
از چه کنی سد درِ دادوستد ؟
فایده در دادوستد میرسـد !
قرض بده منفعتش را بگـیر
زود هم این قرض گزارم نه دیر

۱۰– از لب من بوسه مکرر بگیر
چون که به آخر رسد از سر بگیر
از سرِ من تا به قـدم یك سره
هست چراگاه تو آهـو بـره

وترجمتها :

– إن قبلتي أشهى وأحلى من كل حلو سواء أكان سكراً أم عسلا.

– لن تعرف حلاوة القبلة ولذتها ، إلا إذا قبلتني قبلتين أو ثلاثاً .

– فسارع بتقبيلي ولو قبلة واحدة ، فإن كانت غير عذبة فخذها ثانية !

– لا تقطب الجبين هكذا ، واستمع إلى ما أعرضه عليك ، إنني لـن آخذها بلا مقابل ، بل أقرضني إياها .

٥ – ماذا يحدث إن تقرضني قبلة ؟ ليس في كلامي هذا أي خطأ أو مغالطة !

---

۱ ـ ديوان ايرج ميرزا ، ص : ۱۰۳ .

– إنني سأعيدها لك بعد لحظة ، وأزيد عليها قبلة أخرى !

– لم أقل : أعطني قبلة بدون مقابل ، بل أعطني قبلة وخذ اثنتين !

– فلماذا تغلق باب التعامل ؟ إن الفائدة تتحقق بالتعامل !

– أعطني القرض وخذفائدتهوربحه، ولكن سارع بتقديم القرض دون تأخير أو توان !

١٠–لتأخذ من شفتي قبلات وقبلات ، وإذا ما انتهيت فلتبدأ من جديد .

– إن جسدي كله من الرأس إلى القدم ، مرعى لك يا غزالي الحبيب !

كل هذا الإغراء وذلك الدلال، ومنوجهر متمسك بطهره وعفته ، غير آبه بجمالها ودلالها، مصمم على الذهاب للصيد، وممارسة تلك الهواية المحببة إلى قلبه، والتي من أجلها أتى إلى الغابة، وأمام هذا الإصرار، حاولت زهرة أن تدخل إلى قلبه عن طريق هواية الصيد ، فطلبت منه أن يمثلا دور الصياد والفريسة ، فيقوم هو بدور الصياد ، وتؤدي هي دور الفريسة ، فإذا نجح في الإمساك بها ، أو إذا أصابها سهم من سهامه فله أن يفعل معها كل ما يتمناه شاب يافع مثله مع فتاة غاية في الجمال والدلال مثلها :

خيز شكار صيد شو ومن شكار
من بدوَم سر بپی من گـذار
من نه شكارم كه ز تو زم كنم
زحمت پای تو فراهـم كنـم
تیر بیانداز كـه من از هـوا
گیرم ودر سینـه كنم جابجـا

من ز پی تیر تو سو دَوَم
تیر تو هر سو رود آنسو رَوَم

٥ – چشم بهم نِه که نبینی مرا
من ز تو پنهان شوم این گوشه ها
گر مرا آیی وتو پیدا کنی
میدهمت هر چه تمنا کنی[1]

وترجمتها :

– هيا ، ولتكن أنت الصياد وأنا الصيد ، سأجري ، وما عليك إلا أن تلحق بي .

– ولكنني لست ذلك الصيد الذي يجفل منك ، وإنما سأتعب قدميك من ملاحقتي .

– ألق السهم ، وسأمسك به من الهواء ، وأسكنه صدري على الفور .

– وسأجري في إثر سهمك في كل صوب ، وحيثما يتجه سهمك سأذهب في إثره .

٥ – ولكن لتغمض عينيك حتى لا تراني ، وذلك لكي أختفي منك في هذه النواحي .

– فإن تأت وتظفر بي ، أعطك كل ما تتمناه مني !

عندما ضاق منوچهر ذرعاً بمحاولاتها وألاعيبها ، خاطبها بأسلوب جاد وبطريقة عسكرية صارمة وأنه لا يقبل أن يفعل الفاحشة ، وألا

---

١ – الديوان ، ص : ١٠٣ ، ١٠٤ .

يفقد شرفه وسمعته من جراء الخضوع لنزواتها ، فتكون هي الجانية ، بينما يصبح أمام الناس هو المتهم ؟ ماذا يقول لمن يرى آثار القبلات على شفتيه ووجنتيه ؟ هل يقول إنها ربة العشق والجمال ؟ ومن يصدقه ؟ وحتى ولو كانت الفاعلة زهرة ربة الجمال والعشق . فهل ما فعله معها يعد مسلكاً محموداً من جندي يفترض فيه أن يحافظ على الأعراض ولا يعتدي على الحرمات ، ومما قاله منوچهر هذه الأبيات :

زن نكند در دل جنگی مقـــام
عشقِ زنان است به جنگی حرام

عاشقی ومرد سپاهی كجـــا
دادن دل دست مناهی كجا ؟

جایگهِ من شده قلب سپـــاه
قلب زنان را نكـــنم جایگـــاه

گرگ شناسیم وشبانـــیم مـــا
حافظِ نامـــوس كسانـــیم مـــا

٥ ـ تا كه بر این گلّه بزرگی كنیم
نیست سزاوار كه گرگی كنیم

خون كه چكد بهر وطن رویِ خاك
حیف بود گر نبوَد خون پـــاك

قلب سپاه است چو مأوایِ مـــن
قلب فلان زن نشود جایِ مـــن

مكر زنان خوانده‌ام اندر رُمان
عشق زنان دیده‌ام از ایـــن وآن

دیده ودانسته نیفتم به چاه
کج نکنم پای خود از شاهراه

۱۰ ــ شاه پرستی است همه دین من
حب وطن پیشه وآیین من
بیند اگر حضرت اشرف مرا
آید وبیرون کند از صف مرا
گر شنود شاه غضب می کند
بی ادبان را شه ادب می برد
هر چه میان من وتو بگذرد
باد بر شاه خبر می برد
فرم نظام است چو در بر مرا
صحبت زن نیست میسر مرا [1]

وترجمتها :

ـ لا مكان للمرأة في قلب المحارب ، إذ أن عشق المرأة حرام على المحارب !

ـ أين العشق من الجندي المحارب ؟ وأين تسليم القلب لدى الآمر الناهي ؟

ـ إن مكاني هو قلب الجيش وفي وسطه ، لذا لن أجعل مكاني قلوب النساء .

---

١ ــ الديوان ، ص : ١٠٧ .

ـ إننا نعرف الذئب ، إذ نحن الرعاة ، كما أننا الحماة لأعراض الناس وحرماتهم .

٥ ـ ولكي نصل إلى مرتبة القيادة على هذا الجمع ، لا يليق بنـا أن نكون ذئاب القطيع .

ـ ومن يضحي بروحه فداء للوطن ، من الظلم ألا يكون طاهر الذيل نقي السريرة .

ـ إذا كان قلب الجيش هو مأواي ومستقري ، فلن يكون قلب أي امرأة هو مكاني ، ومكمني

ـ لقد قرأت عن مكر النساء في القصص والروايات ، كما خـبرت عشق النساء من هذه وتلك .

ـ لقد رأيت وخبرت ، ولكنني لن أسقط في شباكهن، ولن أحيد عن جادة الطريق والاستقامة .

١٠ ـ الإخلاص للملك مذهبي ، وحب الوطن عقيدتي ومأربي

ـ إن يرني الملك الطاهر النقي، فسرعان ما يُقبل ويخرجني من الصف !

ـ وإن يسمع الملك بفعلتي ، تملكه الغضب والحزن ، وبعدها يقدم الملك على تأديب من عدموا الأدب .

ـ فإن يحدث بيننا أي شيء ، فستحمل الرياح أخباره صوب الملك .

ـ وما دمت أرتدي البزة العسكرية ، فليس لي الحق في مصاحبـة النساء ! (١)

---

١ ـ ركز ايرج ميرزا على الاخلاص للشاه ، ويعني به الشاه القاجاري،

←

لم يزد هذا الصد وذلك الهجر زهرة إلا حباً لمنوچهر ، وإصراراً على تحقيق بغيتها منــه ، فصد المحب وتمنعه يزيد العشق ويضاعفه ولا يضعفه ، وكي تثيره ليثبت رجولته اتهمته بالجبن والخوف، وهل يليق الجبن بالجندي المحارب ، كما اتهمته بأنه ما زال طفلاً صغيراً لا يعرف معنى الحب والعشق ، كما أنه ليس رجلا بمعنى الكلمة وإلا أثبت هذه الرجولة التي يفتقدها ، واتهمته كذلك بالبرود وعدم الإحساس بأنفاسها المتقدة وأحضانها الدافئة وقبلاتها الحارة ، كما حاولت بعد ذلــك أن تطمئنه بأنهما وحيدان في الغابة ، ولا يوجد من يشي به لدى الملك أو القائد ، ولن يعرف أحد سواهما ما يفعلانه من ممارسة للعشق والهوى.

ثم حدثته عن جماله وحسنه ، وأن الله وهبه هذا الجمال، لكي ينعم به ، ويتمتع بحسنه عن طريق معشوقة تقبل عليه ويقبل عليها ، تنعم بحسنه وينعم بجمالها ودلالها ، كما أنه في ريعان شبابه ، والشباب موسم الحب والعطاء ، وإذا لم يحسن استغلاله . ضاع منه ثم تملكته الحسرة ، ولكن بعد فوات الأوان ، فــإذا ولى الشباب فلن يعود مطلقاً . أما إذا كنت شاباً وبهذا الجمال ، ولكن بلا إحساس ، فأنت مجرد صنم لا روح فيه ، صنم من حجر صلد أو رخام ، فهل أنت صنم حقاً ؟ إن كنت آدمياً ولديك إحساس وشعور ، فهيا نمارس الحب ونرتشف القبلات ، ونتبادل العناق ، وما هو أكثر من العناق !

حيث كان ايرج أحد أفراد الاسرة القاجارية ، ولعله يخاطب بهذه الابيات « رضا خان » قائد الجيش في ذلك الوقت ، والذي تخلي عن قسمه بحماية الشاه والوطن ، بل عمل ــ كما يرى ايرج ــ على التخلص من أحمد شاه القاجاري ، لكي يتولى مكانه ، وقد سبق الحديث عن هذه القضية في الباب الاول من هذا الكتاب .

ما أن طالبته زهرة بالقبلات والمتعة ، حتى تصبب عرقاً . واكتسى وجهه بالحمرة خجلا ، لذا سارع بالوقوف طالباً منها السماح لـه بالرحيل كي يمارس الصيد ، فقد توسطت الشمس السماء واشتـد لهيبها دون أن يصيد شيئاً ، ولكي يخفف من وقع الصدمة عليها ، وعدها بأن يلتقيا في يوم الجمعة القادم لكي يصلا ما انقطع ....

گفت : دريغا كه نكرده شكار
هيچ نيفتاده تفنگم بـه كار
كور وگوزنى نزده بـر زمين
كبك نياويخته بر قاچ زيـن
سايه برفت وبپريد آفتـاب
شد سر ما گرم چو اين جوى آب
سوخت ز خورشيد رخ روشنم
غرقِ عرق شد ز حرارت تنم

٥ ــ خانگيانم نگرانِ منند
چشم به ره منتظرانِ منند
صحبت عشق وهوس امروز بس
منتظران را به لب آمد نفس
جمعهٔ ديگر لبِ اين سنگِ جو
بادِ ميانِ من وتو راندهوو (١)

١ ــ الديوان ، ص : ١١١ .

وترجمتها :

- قال وا أسفاه ! لم أمارس اليوم صيداً ، ولم أطلق من بندقيّتي عياراً واحداً .

- ولم أطرح على الأرض حماراً وحشياً أو وعلا ، كما لم أصب بهذه حجلا أو حمامة .

- لقد تلاشى الظل، وتوسطت السماءَ الشمسُ ، وعصف بنا الغيظ ، فكدنا نغلي كماء هذا الجدول .

- احترق وجهي الوضاء من وهج الشمس ، وتصبب جسدي عرقاً من شدة الحرارة والغيظ .

٥- إن أسرتي تبحث عني وتنتظرني ، وقد تعلقت أبصارهم على طريق العودة .

- كفانا اليوم حديث العشق والهوى . فأرواح منتظري تتراقص على شفاههم من الجوى .

- وليكن موعدنا يوم الجمعة القادم على حافة هذا النهر !

جزعت زهرة عندما سمعته يتحدث عن الفراق ، وتملكها الضيق وحاولت إستبقاءه بكل طريقة ، وإغراءه بكل وسيلة ، دون جدوى إذ كان منوچهر صلب القناة لا يخضع للهوى ، ولا يركن إلى العبث ، ولكنه وافق في النهاية على أن يمكنها من قبلة واحدة ، حتى تتركه يعود أدراجه ، ..

هنا يتوقف إيرج عن النظم ، حيث فاجأه الموت قبل أن يتم

المنظومة ، ثم قام أحد أصدقائه بتكملتها فظفرت زهرة – على يد الناظم الجديد – بالقبلة تلو القبلة ، وروت ظمأها بعد طول تمنع وصبر وحرمان ، وهنا هللت الحمامتان الموكل إليهما حمل زهرة إلى الأفلاك العليا ، وقالتا : « لقد أصبح طفلنا بالغاً » !

* * *

بعد هذا العرض الموجز لمنظومة « زهرة ومنوچهر » ندرك أن إيرج قد التزم الدقة في تحري أحداث الأسطورة القديمة غاية الالتزام وإن خلع على البطلين أردية شرقية فارسية ، فاختياره اسم « زهرة » بدلا من فينوس يتفق واسم النجم في اللغة العربية والفارسية كذلك ، أما اختياره اسم « منوچهر » فهو اختيار فارسي محض ، فلو نطقناه « مينوچهر » لكان مكوناً من مقطعين : (مينو : الفردوس ، چهر : طلعة ، محيا) أي أن معناه الكلي يعني : « طلعة الفردوس » ، أو « الوجه الشبيه بالروضة » وقد أشار الشاعر إلى هذا التصحيف في هذا البيت ؛ حيث قال على لسان زهرة :

اول اسم تو چو باسم منو
هست مرا خواندن مينو نكو [1]

ومعناه :

إذا كان أول اسمك « منو » ، فمن الأفضل عندي أن أنطقه « مينو » (أي الفردوس أو الروضة) .

---

١ – الديوان ، ص : ١١٤ .

وإذا كان وجهه شبيهاً بالفردوس فما أبهاه من وجه . ومـا أجمله من محيا . وهكذا أطلق الشاعر على البطل اسماً فارسياً يتفق وما يتمتع به ـ كما جاء في الأساطير القديمة ـ من جمال فائق وحسن فتان وبهاء لا نظير له .

كما ألبس إيرج ميرزا بطله بزة عسكرية حتى يجد الفرصة سانحة للحديث عما كان يدور في وطنه من أحداث في ذلك الوقت ، وأهمها بروز نجم « الجندي » رضا خان ، والدور الذي لعبه لتغيير الأسرة الحاكمة ، فكان إيرج حريصاً على أن يذكره بأن واجب الجندي أن يكون مخلصاً للملك ، وليس مخططاً للخلاص منه ، وهـذا الأمـر نابع من رغبة ايرج في الحفاظ على حكم أسرته القاجارية .

وضمّن ايرج منظومته إشارات اجتماعية مستوحاة من الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في إيران خلال العشرينيات من هذا القرن كحديثه عن ارتداء زهرة عندما هبطت من السماء المقنعة التي كانت ترتديها الإيرانيات في ذلك الوقت ، وإشارته كذلك إلى موقف المعارضين من قضية تحرير المرأة... وغير ذلك من الإشارات الاجتماعية التي أعطاها إيرج بمقتضاها الجنسية الإيرانية .

إلى غير ذلك من الأفكار والآراء التي أدخلها إيرج ميرز وزادها على الأسطورة القديمة ، كما رواها شكسبير في قصيدته الرائعـة « فينوس وأدونيس » وأرجو أن أوفق في القريب في تقديم دراسـة مقارنة لهذه الأسطورة كما وردت في قصيدة شكسبير ، ومسرحية اندرى أوبي الفرنسية ، ومنظومة إيرج الفارسية .



كلمة أخيرة :

بعد أن عرضنا بإيجاز لمنظومتين قام بنظمهما أكبر شاعرين عاشا في النصف الأول من القرن العشرين ، وهما ملك الشعراء محمد تقي بهار وإيرج ميرزا ؛ نقرر أنه على الرغم من كبر حجم منظومة « كارنامهٔ زندان » إذا ما قيس بحجم « زهره ومنوچهر » ، وعلى الرغم كذلك من المكانة الكبيرة التي حظي بها ملك الشعراء اجتماعياً وأدبياً ، إذا ما قورنت بمكانة إيرج ميرزا ، فإن منظومة « زهرة ومنوچهر » لإيرج قد حازت شهرة أدبية أكبر ، واعتبرها جميع من أرخوا للأدب الفارسي الحديث أعظم ما نظم في إيران الحديثة من منظومات ، أما منظومة ملك الشعراء بهار ، فلم تحظ بمثل هذا التقدير حيث اهتم النقاد بقصائد بهار أكثر من اهتمامهم بمثنوياته ومنظوماته، واعتبروه شاعر قصيد ، ولا شك أن هذا الحكم راجع إلى التجديد الذي أدخله إيرج على فن المنظومة في اللغة الفارسية . حيث أخرجها من التشتت الذي كان السمة الأساسية للمنظومة لدى الأقدمين ، إلى وحدة موضوعية تربط كل بيت فيها بالبناء العام للقصة التي يتحدث عنها الشاعر .

وعلى كل حال ؛ فإن فن المنظومة لم يعد خلال النصف الأول من القرن العشرين الفن الأول في الأدب الفارسي كما كان في عصوره السابقة ، لأن العصر نفسه لم يعد عصر إسهاب وإطالة ، ونظم آلاف الأبيات ، وتدبيج العديد من الحكايات . وإنما كان السبق للقصائد والمقطوعات التي تلاحق الأحداث السياسية والإجتماعية ، وتعبر عما يكابده المواطنون من ضغوط خارجية وتعسف داخلي .

* * *

الفَصْل الثاني

كلمة أوربية أم كلمة عربية

الفصل الثاني

كلمة أوربية أم كلمة عربية !

ادخال الكلمة الاوربية الى الشعر الفارسي الحديث :

نتيجة لانفتاح إيران على أوربا إبان أواخر القرن الماضي وخلال النصف الأول من القرن الحالي ؛ بدأت اللغة الفارسية تستوعب بعض الألفاظ الأوربية ، وبخاصة تلك التي تتعلق بالمخترعات الحديثة والتي والتي لم يكن لها مقابل فارسي أو عربي متداول في العصور السابقة ، ومن هذه المخترعات الحديثة : البرق « التلغراف » ، والسينما ، فقد قال أشرف الجيلاني :

گر زنى بى سيم از دريا بساحل « تلگراف»

گر كنى خلق «غرامافون» و «سينماتو كراف» (1)

---

١ ـ نقلا عن سخنوران ايران در عصر حاضر ج ٢ ، ص : ٢٩٠ والاصل الانجليزي هو : Cinematograph , Gramaphone , Telegraph

وترجمتها :

ـ أصبح بإمكانك أن تبرق من البحر إلى الساحـــل لاسلكياً ، وأن تصنع الحاكي والكاميرا السينمائية .

وقال إيرج ميرزا :

خواب ديدم كه خدا بال وپرى داده مرا
در هوا قـــوت سير وسفرى داده مـــرا

هر كجا قصد كنم مى رسم آن جا فىالفور
گويى از برق ، طبيعت اثرى داده مـــرا

نه «تلكراف» به گردم برسد نه «تلفن»
كه خدا سرعت سير دگرى داده مرا (١)

وترجمتها :

ـ رأيت في المنام أن الله قد منحني جناحاً وقوادم ، كما منحني القدرة على التحليق في الهواء ، والأسفار في الجو .

ـ فأصل على الفور إلى أي مكان أبتغيه ، وكأن الله قد منحني طبيعة أثيرية أسرع من البرق .

ـ لذا فلم يلحق بي « تليفـــون » ولا « تلغراف » ، حيث زودني الله بقوة في السير غاية في السرعة !

---

٢ ـ ديوان ايرج ميرزا ، ص : ١ ، والاصل الانجليزي هو :
Telphone , Telegraph

ونتيجة لافتتاح المدارس الحديثة التي أشرفت عليها الإرساليات الغربية في مدن إيران المختلفة ، فقد دخلت إلى اللغة الفارسية بعض المصطلحات الأوربية الوثيقة الصلة بهذا النمط الجديد من التعليم الذي يختلف اختلافاً بيناً عن التعليم التقليدي الذي كان مرتبطاً بالكتاتيب وأعمدة المساجد ، ومن المعروف أن التعليم الأوربي الحديث يمنح المتخرج شهادة يطلق عليها في اللغة الفرنسية إسم « ديپلوم » . وقد استخدم هذه اللفظة الشاعر فرخي اليزدي في شعره السياسي . حيث اعتبر « قوام السلطنة » معهداً في الخيانة وإثارة الفتن ، وعلى هذا فكل من يتصل به وبأعوانه ويتمرس على أفعالهم ، فإنهم ، يمنحونه « ديپلوماً » في الخيانة والفتن :

از قوام وبستگانش « ديپلم » بايد گرفت
در خيانت داد هر كس امتحان فتنه را

وترجمتها :

ـ كل من أدى امتحاناً في إثارة الفتن من منطلق الخيانة ، استحق أن ينال « ديبلوماً » من قوام وأعوانه .

وقد ارتبط نظام التعليم الغربي الذي أدخل إلى إيران مع الإرساليات بمسميات جديدة للمدارس والمعاهد ، ذكرها إيرج ميرزا عندما تحدث عن الفتاة العصرية التي أمت هذه المدارس، وتلك المعاهد وأصبحت جديرة بالاحترام وعدم الازدراء ، ولذا طالب برفع حجابها لأن

---

١ ـ ديوان فرخي يزدي والاصل الفرنسي : Diplôme

العصمة متعلقة بالخلق لا بغلالة من قماش ، وما دامت الفتاة العصرية قد تعلمت ، فالعلم سلاحها الذي يتيح لها الخروج إلى الحياة العامة مشاركة للرجل حتى ولو نزعت الحجاب وبدت سافرة الوجه ، مرتدية ملابس عصرية :

چو زن تعليم ديد ودانش آموخت
رواق جان به نور بينش افروخت
زن رفته «كَلژ» ديده «فاكولته»
اگر آيد به پيش تو «دِكولته»
چو در وى عفت وآزرم بينى
تو هم در وى به چشم شرم بينى [1]

وترجمتها :

— إذا ما أتيح للمرأة أن تحظى بنعمة التعليم ، فإن روحها ستشع بنور العلم والمعرفة .

— وإذا أمَّت المرأة المدرسة وذهبت إلى الكلية . فماذا يضير لو بدت أمامك في ثياب عصرية .

— فإن ترَها متحصنة بالعفة والحياء ، فإنك ستنظر إليها بخجل واستحياء !

ونتيجة لما أدخل على الجيش الإيراني من تطوير ، فقد بدأ استخدام الرتب العسكرية الأوربية ، وانتقلت هذه الألقاب من التعامل بين العسكريين إلى مجال الشعر كذلك ، ومنها :

---

١ ــ ديوان ايرج ميرزا ، ص : ٨٣ ، والاصل الفرنسي :
Décolleter , Faculté , Collége

دم مزن قافية تنگك است بيا تا برويم
«كُلُنيل» بر سر جنگك است بيا تا برويم[1]

وترجمته :

– لا تشغل نفسك بالقوافي ، فهيا بنا نمضي ، لقد مضى « الكلنل » صوب المعركة ، فهيا بنا نمضي !

كما استعمل الشاعر كلمة « ماژر » حيث قال على لسان زُهرة وهي تشجع منوچهر على الجلوس معها ؛ فلا رقيب يشي به إلى قائده ولذا فهو في مأمن من غضب هذا القائد ومن احتمال تعرضه للسجن والحبس :

نيست در اينجا « ماژرى » ، محبسي
منصب تو از تو نگيرد كسى[2]

وترجمته :

– ليس للقائد أو السجن وجود هنا ، وليس في مقدور أحد أن يسلبك منصبك ورتبتك .

كما صحب ذلك استخدام بعض أسماء القطع الحربية الأوربية في الشعر الفارسي ، ومنها على سبيل المثال كلمة « پاراخود » بمعنى سفينة حربية ، وهي كلمة روسية الأصل ، وقد وردت في بيت قاله ملك الشعراء محمد تقي بهار ، أثناء حديثه عن محاولة القوات الروسية مساعدة محمد علي شاه في استعادة العرش :

---

١ – المرجع السابق ، ص ٢١٤ ، والاصل الانجليزي : Colonel

٢ – المرجع السابق ، ص : ١٠٩ ، والاصل الانجليزي : Major

گفتم قلی اف بیـــا بیـــا زود
آماده یکن یکی « پاراخود »[1]

وترجمته :

— قلت : هيا ، أسرع يا قلي‌اف ، وجهّز إحدى السفن الحربية !

كما أورد الشعراء في دواوينهم بعض المصطلحات الحربية والسياسية التي انتشر استخدامها في خلال الحرب العالمية الأولى والثانية، ومن ذلك ما قاله بهار ؛ وهو يتحدث عن إعلان الحرب العالمية الأولى :

مَهِ شوال بياراست سپاهی ز انجم
داد ديشب بمَهِ روزه يلك «اوليتماتوم»
گفت «بايكوت» عمومی را بر دار ز خم
در خمخانه كن آزاد بروی مردم
هم خود از ملك ده استعفا تــا پاس نهـــم
ور نه از پاس دهم باش خود آماده بجنگ[2]

وترجمتها :

— في البارحة جاء « هلال » شوال مزوداً بجيش من النجوم ، ثم قدم إنذاراً شديد اللهجة إلى « محاق » رمضان .

— قال له : لتلزم مكمنك ولا تبارحه قط ، وانزوِ في ركنك متخلياً عن الظهور أمام الخلق .

---

١ ـ ديوان ملك الشعراء بهار ، ج ١ ص ٢١٠ .
٢ ـ المرجع السابق ، ص : ٢٦٧ (انذار : Ultimatum ، مقاطعة : Boycott)

وتخلَّ كذلك عن الملك ، فقد حلت نوبتي
وإلا فلتكنْ الحرب دفاعاً عن حقّي ونوبتي !

ونتيجة لسفر العديد من الإيرانيين إلى أوربا ، وانبهارهم بالحياة الاجتماعية هناك ، فقد حرص البعض على نقل العديد من الكلمات الأوربية المتعلقة بالرفاهية والحياة العصرية وما اصطلح عليه باسم « الاتكيت » إلى الاستعمال اليومي للغة الفارسية ، ثم استخدمها بعض الشعراء في نظمهم ، ومن هذه الألفاظ :

« مسيو ، مادام ، مادموازل ، پارتي ، پودر ، پارفم ، تآتر ، رانده وو ، رستوران ، كلوب ، والس (رقصة الفالس) ، سيگار فاميل (الأسرة) ، كراوات (رباط العنق) ....

إلى غير ذلك من الألفاظ الأوربية التي دخلت الشعر الفارسي ، والتي لا يمكن حصرها ، وهذه أمثلة لأبيات وردت بها بعض هذه الألفاظ :

قال أميرى في حوار عماده الخداع والحيلة بين ثعلب وجدي :

بز بيچاره گفت : اى «مسيو»
دوست را در بلا منه بگرو ! (١)

وترجمته :

ـ قال الجدي المسكين : أيها السيد ، لا توقع صديقك في البلاء ، بل ساعده وكن عوناً له !

---

١ ـ كنج سخن جلد سوم ، ص : ٢٦٠ والاصل الفرنسي : Monsieur

وقال فرخي اليزدي :

گو «بفاميل» خيانت چشم خود را باز كن
هر كه ميخواهد شناسد دودمان فتنه را [1]

وترجمته :

ــ قل لأسرة الخيانة ، تنبهوا وتيقظوا ؛ فكم هو هين على كل من يريد أن يعرف أسرة الفتنة والخيانة !

وقال إيرج ميرزا :

از آن لطافت وآن « پودر وپارفم وتوالت»
شبيه « مادموازلهاى» بِرْن وبرلين بود [2]

وترجمته :

ــ وقد أصبحت (تلك المرأة) مما تتسم به من لطف وما تزينت به من مساحيق وعطور ، شبيهة بآنسات بِرْن وبرلين !

وقال ملك الشعراء بهار :

آن « كراوات » كه بستم من با آن صافى
نه پسند پوش «مادام» ز بى انصافى [3]

---

١ ــ الاصل الفرنسي : Famille

٢ ــ ديوان ايرج ميرزا ، ص : ١٥ والاصل الفرنسي :
Mademoiselle , Toilette , Parfum , Poudre

٣ ــ نو بهار ص : ٣ (٢٨ من نوفمبر ١٩١٠) ، والاصل الفرنسي :
Cravate, Madame

وترجمته :

ـ ورباط العنق الجميل الذي عقدته ، من الأسف أنه لم يعجب زوجتي أن أرتديه !

وقال إيرج ميرزا :

زن روبسته را ادراك وهش نيست
« تآتر ورستوران» ناموس كش نيست :[1]

ـ لقد عدمت المرأة المحجبة كل إدراك وحصانة ، كما ليس لها أي خبرة بأسلوب التعامل في المسرح أو المطعم !



التمادي في تيار « الفرنجة » والتصدي لوقفه :

بعد أن زاد عدد الإيرانيين الذين أمّوا مدارس الإرساليات الأجنبية في طهران وغيرها من المدن الإيرانية ، كما زاد عدد الذين سافروا إلى أوربا للدراسة أو السياحة ، بدأ الإتجاه إلى إدخال بعض الكلمات الأوربية في الاستعمال اليومي للغة الفارسية، وفي الأدب الفارسي شعره ونثره يزداد بالتدريج ، إلى أن أخذ هذا الاتجاه يبدو وكأنه تيار جارف يكاد يهز اللغة الفارسية هزة عنيفة، ويقلب موازينها التي استقرت عليها منذ الفتح الإسلامي لإيران وحتى أوائل القرن العشرين ، وهكذا وقف الأدباء منقسمين على أنفسهم ، فجماعة كبار الأدباء يرون

---

١ ـ ديوان ايرج ميرزا ، ص : ٧٩ ، والاصل الفرنسي :
Restaurant, Théatre

ضرورة الحفاظ على اللغة الفارسية التي ورثوها عن الأقدمين ، وحتى يكون في مقدور الأجيال الحالية والقادمة فهم أشعار حافظ وسعـــدي والفردوسي وألا يخطىء الإيرانيون خطأ تركيا الحديثة عندما تخلت عن الخط العربي في كتابة اللغة التركية ، وهكذا لم يعد في مقدور الجيل التركي الجديد الاطلاع على تراث الآباء والأجداد المدون بالتركية .

أما جماعة الشبان من الأدباء ، فقد طالبوا بفتح الأبـــواب عـــلى مصاريعها لإدخال كل كلمة أوربية يمكن للغة الفارسية أن تستوعبها ، فاللغة الفارسية لغة هندوأوربية ولا غرابة – في رأيهم – أن تأخـــذ اللغة الفارسية كلمات ومصطلحات عن إحدى لغات هذه المجموعة .

وهكذا انهالت الألفاظ الأوربية من فرنسية وإنجليزية وروسية على اللغة الفارسية ، مما شكل صعوبة كبرى على الإيرانيين لفهم ما يكتبه هؤلاء الأدباء الشبان ، فهب العديد من كبار أدباء إيران للتصدي لهذا التيار غير المسئول وكتبوا الأشعار والمقالات منبهين إلى خطورة هذا العمل ، ساخرين من أصحابه ، ومما ألم بهم من شعور بالنقص يريدون مداراته بادعائهم العلم والمعرفة عن طريق الثرثرة وإطلاق اللسان ببعض الكلمات الأوربية .

ومن الأدباء الذين حذروا من هذا الإتجاه ، وطالبوا بالتصدي له الأديب الكبير العلامة محمد بن عبد الوهاب القزديني في كتابـــه القيم بيست مقاله الجزء الأول ، ومما قاله :

« إن كتابة الفارسية في إيران إبان السنوات الأخيرة أصبحت – في الحقيقة – من قبل النوادر وأعجب العجائب وثالثة السيمرغ والكيمياء .... فإن استطعنا أن نتدارس اللغة الفارسية السائدة اليوم أمكننا القول

دون مبالغة أو إغراق ، أنه إن تواصل اللغة الفارسية مسيرتها على هذا المنوال وبما يسودها من اضطراب وفوضى وتخبط ، وذلك لمدة عشر أو عشرين سنة أخرى ، فعما قريب ستتلاشى تماماً فارسية كل من سعدي وحافظ ، وتحل محلها لغة جديدة مركبة من عدة عناصر فارسية وعربية وفرنسية وروسية وإنجليزية وتركية وتكون شبيهة تقريباً باللغة الأوربية في الهند ، أو باللغة العربية في الجزائر » .

ومن الذين سخروا من هذا الإتجاه — على الرغم من إيراده كلمات أوربية في شعره — الشاعر إيرج ميرزا ، فقد عبر في منظومته القيمة « إنقلاب أدبي » عن رأيه في دعاة التجديد واتهمهم بالجهل وعدم القدرة ، وأن امتناع كبار الكتاب عن قبول دعوتهم ، ليس نابعاً عن عجز أو تقصير أو عدم دراية باللغات الأوربية ، بل عن أصالة يحاولون الحفاظ عليها ، ونقاء يودون أن تظل الفارسية متسمة به ، ولكي يبرهن لهؤلاء الشبان على أن بإمكانه إدخال كلمات أوربية في نظمه الفارسي ، أورد — خلال منظومته هذه — قطعة شعرية قوامها تسعة أبيات غُصَّت بالألفاظ الفرنسية ، ولعله أراد القول بأن هذه القطعة التي أنظمُها على غرار ما تدعون إليه ، هل في مقدور أحد من العامة أو حتى المتعلمين الذين لا يعرفون الفرنسية فهمها ؟ إذا كان الجواب بالنفي ، فلمَ نكتب بلغة لا يفهمها الشعب بكل طوائفه ؟

هذه هي القطعة التي نظمها إيرج ميرزا ، وكم يصعب على أي قارىء إيراني لا يعرف الفرنسية فهم النص الفارسي ، على الرغم من أن الأبيات قد سطرت بخط فارسي ، ووفقاً لأوزان الشعر الفارسي :

بسكه در « ليور » وهنگام « لته »
«دوسيه» كردم و «كارتُن» و « ترته»

بسکه «نُت» دادم و «آنکت» کردم
اشتباه بروت و «نِت» کــردم
ســوزن آوردم وسنجــاق زدم
«پونز» و «پَنْس» به اوراق زدم
هی نشستم به مناعت پس میــز
هی تپاندم «دوسیه» لای «شمیز»

٥ ــ هی «پاراف» هشتم وامضا کردم
خاطر مدعی ارضــا کــردم
گاه با زنگ وزمانی بــا هــو
پیشخدمت طلبیدم به «بورو»
تو بپیری ز «آمــور» افتــادم
از شر وشور وشعور افتــادم
چه کنم ز ان همه «شیفر» و «نومرو»
نیست در دست مرا غیر «زرُو»
هی بده کارتن وبستان دوسیه
هی بیار از در دکّان نسیه (١)

---

١ ــ دیوان ایرج میرزا ، ص : ١٢٤، والکلمات الاوربیة التي وردت هي :

الشتاء :	L'hiver	، الصیف :	L'été
ملف :	Docier	، صندوق من ورق :	Carton
توضیح ، ترتیب :	Traite	، مذكرة :	Note
تحقیق ، فحص :	Enquête	، تصحیح ، صحیح :	Net
مشبك :	Pons	، دبابیس :	Pins
رداء ، قمیص :	Chemise	، توقیع بالاحرف الاولى:	Paraphe
مكتب ، دفتر :	Bureau	، عشق ، حب :	Amour
رقم :	Chiffre	، عدد :	Numero
صفر :	Zéro		

وترجمتها :

ـ ما أكثر ما قُمتُ في الصيف والشتاء بترتيب الملفات وإعداد الصناديق .

ـ وما أكثر ما دونت الملاحظات ، وصححت الأخطاء ، وجعلت الأعمال غاية في الدقة .

ـ وأحضرت الدبابيس ودبست الأوراق ، وشبكت الأوراق بعضها بالبعض الآخر .

ـ وجلست باتزان خلف المكتب ، وشُغلت بطي الملفات ، كما يطوى القميص .

٥ ـ وكم وقعت توقيعاً مختصراً ، أو بتوقيعي كاملاً إرضاء لرغبة صاحب الحاجة !

ـ وكنت أستدعي الساعي إلى مكتبي ، إما بدق الجرس أو برفع عقيرتي بالنداء .

ـ سيلحق بك الفناء مما أنت فيه من عشق وهوى ، أما أنا فسأسلم الروح مما أنا فيه من مشقة وشدة انفعال !

ـ وأي جدوى من وراء هذه الأعداد وتلك الأرقام ، ويداي خاليتان إلا من الأصفار !

ـ وهكذا تمضي أيامنا بين « خذ ملفاً » « وهات صندوقاً » ، ثم « لتشترِ لنا شيئاً بالأجل من البقال » !

* * *

الموقف من الكلمات العربية :

تبعت دعوة هؤلاء الشبان إلى إدخال ألفاظ أوربيـة إلى اللغـة الفارسية ؛ دعوة أخرى تطالب بالتخلي عن الكلمات العربيـة الـتي استقرت في اللغة الفارسية منذ ما يزيد عن الألف عـام ، وإحـلال كلمات أوربية محلها ، فالكلمة العربية دخيلة على مجموعة اللغـات الهندية الأوربية التي تعد الفارسية واحدة منها ، لذا يجب أن تأخـذ الفارسية من إحدى اللغات الهندية الأوربية ، وألا تأخذ أي كلمة من اللغة العربية ، وادّعَوْا أن النجاح في إخراج الكلمات ذات الأصل العربي من اللغة الفارسية ، سيأخذ بيد الأدب الفارسي ، ويجعله يبلغ مرتبة الآداب الأوربية المتقدمة في ذلك الوقت .

وكما تصدى كبار الأدباء إلى دعاة الفرنجة في إدخال الكلمة الأوربية إلى اللغة الفارسية ، فإنهم تصدوا كذلك إلى دعوة هؤلاء المتفرنجـين المطالبين بإخراج الكلمات العربية من اللغة الفارسية ، وبينوا لهم أنه لا بقاء للغة الفارسية بدون الكلمة العربية ، وأن المعجم الفارسي لا يمكن أن يستقل عن الكلمات العربية التي دخلت إليه ، واكتسبت حق المواطنة بعد أن استقرت في الأرض الفارسية أكثر من ألف عام .

ومن الذين رفضوا دعوة هؤلاء المتفرنجين العلامة محمد بن عبـد الوهاب القزويني في كتابه بيست مقاله الجزء الأول ، ومما قاله في هذا الصدد :

« ... ومن الأمور الأكثر إثارة للتعجب والدهشة ، ما يتردد وراء الأستار والحجب بين مدعي التجديد في هذا العصر من أنهم يسعون إلى إخراج جميع الألفاظ العربية من اللغة الفارسية ، بحجة أن اللغة العربية عنصر خارجي ، وقد اجتاحت اللغة الفارسية بسبب بعض الظـروف التاريخية القهرية ، ودخلت في معجمها ، ولكن هؤلاء الأفراد أنفسهم

لا يتحرزون من استعمال الكلمات والمصطلحات الأوربية . وبأقل نظرة يمكن مشاهدة الكلمات الفرنسية والإنجليزية والألمانية وغيرها في كتاباتهم ، وهذا التناقض أدعى إلى العجب . فالكلمات العربية أولاً قد دخلت اللغة الفرنسية منذ قرابة ألف عام ، وعن طريق قدم الهجرة وكثرة الاستعمال أكثر من ألف عام في اللغة الفارسية ، وطول مدة الإقامة ، فقد تخلت عن جنسيتها الأولى ، وقبلت التبعية للغة الثانية ، فاكتسبت بذلك « حق المواطنة » في اللغة الفارسية ، ولم يعد ينظر إليها على أنها عنصر خارجي مرة أخرى . مثلها في ذلك مثل أي عائلة هندية هاجرت منذ سنوات من الهند إلى إيران ، وفي إيران عاشت وتوالدت والآن لم تعد هندية مرة أخرى . أو مثل تلك القبائل العربية التي وفدت إلى إيران في صدر الإسلام مع الجيش الفاتح أو للتجارة والفلاحة والزراعة مثل الشيبانيين والغفاريين والأنصاريين والخالدين وغيرهم ..» ويحق لي هنا أن أسأل هؤلاء الذين يدّعون التجديد هذا السؤال : هل تعتبرون سادات إيران إيرانيين أم أجانب ؟ وهل تستطيعون إخراج جميع السادات والشيبانيين والغفاريين والأنصاريين وغيرهم من إيران أو على الأقل منحهم أية هوية أجنبية ؟

إن تعدوا السادات وسائر أحفاد القبائل العربية أجانب وتمنحوهم هويات أجنبية ، فلتعدوا الكلمات العربية التي جاءت معهم إلى إيران قبل ألف سنة ، أجنبية كذلك . ولتخرجوها من اللغة الفارسية . أما إن تعتبروا السادات وأحفاد العرب إيرانيين وتابعين لدولة إيران ، فلتعتبروا الكلمات العربية هي الأخرى فارسية ، وطابق النعل بالنعل ، إذ لا فرق بين المسألتين مطلقاً .

واللغة الفرنسية التي تفتخرون باستعمال كلماتها ومصطلحاتها في أحاديثكم وتدعون الفضل بهذه الطريقة السهلة والرخيصة ، أكثر من

تسعة وتسعين في المائة من كلماتها لاتينية أو يونانية ، ولا يوجد بها إلا قلة قليلة للغاية من كلماتها – وهذه لا تتعدى الواحد في المائة – كانت تقطن هذه الأرض – أرض فرنسا – فلماذا لم يخطر ببال أي فرد من الأمة الفرنسية العريقة ، والتي تتشبهون بها في كل الأمور ، أن يخرج الألفاظ اللاتينية واليونانية من لغته الفرنسية فيجب عليكم على الأقل أن تقلدوهم في هذا الأمر . ولا تضيعوا أعماركم الغالية . وأعمار القراء السذج بهذه الترهات التي لا طائل من ورائها .... »

ثم يواصل هجومه على هؤلاء الدعاة محذراً إياهم من أن مسلكهم هذا سيقوض دعائم اللغة الفارسية وسيضعف الأدب الفارسي ، ويحرم الأجيال القادمة من فهم الروائع الأدبية الخالدة عن الفردوسي وحافظ وسعدي ونظامي وغيرهم ممن كتبوا لغة فارسية ممزوجة بالكلمات ذات الأصل العربي ، فقال :

... « إن هذا الكنز العظيم الذي قدمته لنا جهود مضنية بذلت طوال ألف سنة من المتاعب والآلام المبذولة من أشخاص قل وجود نظائرهم في الدنيا ، وهم الرودكي والفردوسي والعنصري ونظامي والخاقاني وسعدي وحافظ وغيرهم ، نقوض دعائمه ونحطمه بلا مقابل وبسهولة ويسر ، وبلا أي قهر أو ضغط ، وإنما لمجرد التقليد الأعمى للأوربيين ... »

وقد شارك الشاعر إيرج ميرزا ، العلامة القزويني في بيان أهمية اللغة العربية لكل أديب فارسي ، وأن سر تفوق أي أديب إيراني في القديم أو الحديث كامن في تمكنه من اللغتين الفارسية والعربية معاً ، وليس في مقدور أي أديب لا يعرف العربية ، ولا يحسن استخدام الكلمات العربية التي دخلت اللغة

الفارسية استخداماً بليغا فصيحاً ، أن يكون أدبه ذا قيمة ، أو أن يكون هو ذا شأن بين أدباء عصره أو بين أدبـــاء الأدب الفارسي عبر عصوره المختلفة ؛ ومما قاله في هذا الشأن :

این جوانان که تجدد طلبنـــد
راستی دشمن علـــم وادبند
شعر را در نظر اهـــل ادب
صبر باشد وتد وعشق سبب
شاعری طبع روان می‌خواهد
نه معانی نه بیان می‌خواهد
آن که پیش تو خدای ادبنـــد
نکته چین کلمات عربنـــد
هر چه گویند از آن جا گویند
هر چه جویند از آن جا جویند[1]

وترجمتها :

ــ إن هؤلاء الشبان الذين يطالبون بالتجديد ، ليسوا في الحقيقة سوى خصوم للعلم والأدب

ــ لا بـــد للشعر في نظر أهل الأدب ، أن يكون الصبرُ وتدَه ، والعشقُ سببَه

---

١ ــ ديوان ايرج ميرزا ، ص : ١٢٢ .

– الشعر يتطلب عذوبة الروح ، أكثر مما يتطلب من معانٍ وبيانٍ .
– من يبدون أمامك أرباباً للأدب ، قد تبحر جميعهم في لغة العرب .
– فكل ما يقولونه مستمد من هذا المنهل ، وكل ما يبحثون عنه كامن في هذا المورد !

ومن الذين تصدوا لدعاة التجدد والمطالبين بإخراج الكلمات العربية من المعجم الفارسي ، العلامة تقي زاده ، فقد ألقى محاضرة قيمة عنوانها « ضرورة المحافظة على اللغة الفارسية الفصحى .. » ونظراً لأهميتها واهتمام الأوساط الأدبية بها ، بادرت مجلة « يادگار » بنشرها كاملة في عددها السادس من العام الرابع ، ولعل تقي زاده قد زاد عليها عند نشرها ، حيث جاءت في أربعين صفحة كاملة من صفحات المجلة ذات القطع المتوسط . ولا شك أننا لن نستطيع إيراد المقالة بكاملها ، بل سنكتفي بذكر بعض ما جاء فيها دفاعاً عن الكلمة العربية في اللغة الفارسية ، وأن اللغة الفارسية هي المستفيدة من ذلك ، ولا يمكن أن تتخلى عن آلاف الكلمات العربية التي لولاها لأصيبت اللغة الفارسية بفقر دم وزوال سريع ، ومما جاء في هذه المقالة :

.... إن إخراج الكلمات ذات الأصل العربي من اللغة الفارسية، واعتبار مئات بل آلاف الألفاظ التي تداولت في الگُلستان والبوستان وديوان حافظ وأشعار الفرخي وحتى في شاهنامة الفردوسي أجنبية ، لا يعد سوء قصد عظيم يحاق باللغة الفارسية والوطنية الإيرانية فحسب، بل يعد إضعافاً وإلحاق الفقر عن عمد وجهل باللغة الفارسية الغنية ، وإلقاء ركن أساسي من الثروة القومية في مهب الرياح

وذلك كمن يلقي عن عمد ثلاثة أرباع الأثاث من منزله بحجة أنه صناعة أجنبيـة ، ثم يحضر مكانه قطعتين أو ثلاثاً من أثاث قديم خلّفه الأجداد ... ! ! [1]

ويرى تقي زاده أن من الجهل الإصرار على تسمية الكلمات ذات الأصل العربي ، كلمات عربية ، فقد اكتسبت المواطنة بعد أن استقرت في المعجم الفارسي أكثر من ألف عام ، وعلى هذا فلا يجب أن يفرق الكاتب أو الشاعر بين لفظة ذات أصل بهلوي وكلمة ذات أصل عربي ، فكلاهما فارسية الأصل ما دامت قد ذكرت في المعجم الفارسي :

« ... إنني لا أعرف على وجه الحقيقة ، لماذا يصر البعض على تسمية الكلمات الفارسية ذات الأصل العربي بأنها كلمات عربية ؟ ... إن شرط اكتساب المواطنة والتمتع بالجنسية لأي أجنـبي في الممالك الأخرى هو الإقامة مدة خمس سنوات أو عشر . كما أنه إذا وُلد شخص من أبوين أجنبيين في بلد ، اكتسب حـق المواطنة في تلك البلد لمجرد أنه ولد على أرضها ... إذا كان هذا هو القانون العام ، فلماذا تحرم الألفاظ العربية التي استقـرت في اللغة الفارسية أكثر من ألف عام من حق المواطنة واكتساب الجنسية الفارسية ؟ وإذا كانت الإقامة مدة ألف عام لا تسمح بمنح الجنسية وحق المواطنة فيجب إبعاد جميع سادات إيران وأبناء الطوائـف الشيبانية والغفارية والثقفية والنجفية وغيرهم ممن يعدون إيرانيـين حقاً ، وترحيلهم إلى اليمن والحجاز ... » [2]

---

١ ـ آقاي تقي زاده : لزوم حفظ فارسي فصيح ، يادكار ، سال جهارم، شماره ششم ، اسفند ١٣٢٦ هـ ٠ ش (فبراير ـ مارس ١٩٤٨) ٠ ص : ١٤
٢ ـ المرجع السابق ، ص : ١٢ ٠

ويتساءل الكاتب عن السر الذي من أجله يعادي هؤلاء الشبان — ممن يدعون التجديد— الكلمات العربية التي دخلت اللغة الفارسية دون سواها؛ فقد دخلت إلى المعجم الفارسي ألفاظ تركية وهندية وآرمنية وبابلية وغيرها من اللغات ، فلماذا لا يطالبون بإخراج كل الكلمات الأجنبية ويقصرون دعوتهم على إخراج الكلمات العربية دون سواها ؟

« ... ليس من المعلوم على وجه اليقين أي سند حقيقي يعتمد عليه هؤلاء في موقفهم العدائي ضد الكلمات العربية ، فإذا كنا نطالب بإخراج الكلمات الفارسية ذات الأصل العربي بحجة أنها لم تكن في لغة الآباء والأجداد أيام داريوش وخشايارشا[1] ، وزردشت ، فلماذا لا نجد هذا العداء وتلك الخصومة ضد الكلمات الأجنبية الأخرى التي دخلت اللغة الفارسية ، ولماذا لا نطرد الكلمات ذات الأصل اليوناني أو السرياني أو الهندي أو الأرمني أو البابلي أو التركي والتي ما زالت مستخدمة في اللغة الفارسية ؟ .

ثم أي ذنب اقترفته اللغة العربية غير تنمية اللغة الفارسية وإثرائها ؟

إن إخراج الكلمات العربية المتداولة طوال ألف عام يعد جرماً لا يغتفر ، إذ من المعروف أن الكلمات الفارسية الأصيلة في لغتنا الحالية محدودة للغاية ، كما أن إحياء الكلمات الفارسية المهجورة أمر غاية في الصعوبة ، وإذا استخدمت فلن يكون الأسلوب سلساً ولن يكون المعنى مستقيماً ... »[2]

---

١ — من ملوك ايران قبل الاسلام ·
٢ — المرجع السابق ، ص : ٢١ ·

ويواصل تقي زاده تصديه لدعاة الفرنجة ، وينبههم بأن اللغة العربية بمثابة الأم لجميع اللغات الإسلامية ، وبالتالي لا تستطيع أي لغة إسلامية البقاء والاستمرار إلا إذا اعتمدت على اللغـــة الأم ، واللغة العربية تشبه اللغة اللاتينية بالنسبة للغات الأوربية ، فإذا كان الأوربيون على اختلاف لغاتهم يعترفون بهذه الصلة التي لا فكاك منها بين لغاتهم القومية واللغة اللاتينية ، فكيـــف يطالب هؤلاء الذين ينادون بالتجدد الفكاك بين اللغة الفارسية واللغة العربية ؟ ومما قاله :

« اللغة العربية بالنسبة للغات الشرقية بمثابة اللغة اللاتينيـــة بالنسبة للغات الأوربية ، فجميع اللغات الأوربية وبخاصة الفرنسية والإنجليزية وكذلك الألمانية مشبعة بالألفاظ اللاتينية ، بل إن هذه اللغات قد اقتبست ألفاظاً كثيرة — علاوة على الألفاظ اللاتينية — من اللغتين العربية والفارسية ومن غيرهما ؛ فلماذا لا يطالب هؤلاء بتنقية لغاتهم من الألفاظ اللاتينية ، أو حتى من الألفاظ الأجنبية مـــن غير اللاتينية ؟ » (1)

ثم ضرب مثلاً باللغة الإنجليزية ونسبة الكلمات الأجنبية الـــتي دخلتها ، ومع هذا لم يحاول أحد في إنجلترا إخراج هذه الكلمات الأجنبية ، أو حتى فكر في اعتبار هذه الكلمات أجنبية لا تحمـــل الهوية الإنجليزية ، وبالتالي وجب على الإيرانيين أن ينظـــروا إلى الكلمات الفارسية ذات الأصل العربي على أنها فارسية لحماً ودماً :

« ... إن قسماً كبيراً من اللغة الإنجليزية أصله كلمات أجنبية ؛ فقرابة

---

1 ـ المرجع السابق ، ص ٢٦ .

الأربعين في المائة من الكلمات الإنجليزية من أصل لاتيني وفرنسي، ولكن الإنجليزي بلا أدنى تفرقة يعتبر جميع الكلمات التي يتداولها ألفاظاً إنجليزية أصيلة ، وأن هذا الاختلاط وذلك الامتزاج مبعث تلك الثروة اللغوية العظيمة التي تحظى بها اللغة الإنجليزية... ولا شك أن الألفاظ الأجنبية التي دخلت المعجم الإنجليزي لا تقل في نسبتها بحال من الأحوال عن نسبة الكلمات الأجنبية التي دخلت المعجم الفارسي ... »

وهكذا كان تقي زاده مخلصاً للغته الفارسية ، حريصاً على بقائها ثرية بفضل الكلمات ذات الأصل العربي ، فهو لم يطالب ببقاء الألفاظ العربية خدمة للغة العربية ، وإنما حفاظاً لبقاء المعجم الفارسي غنياً واسعاً .



ونضيف إلى هذا الموقف وغيره من مواقف كبار الأدباء في إيران، موقف ملك الشعراء بهار المدافع عن بقاء الصلة قوية بين اللغتين الفارسية والعربية، وذلك عندما وجه رسالة على لسان إيران إلى جميع الإيرانيين، وقد طالبهم فيها بعدم الانسياق وراء التفرنج و معاداة اللغة العربية ، ولا بد وأن يحافظ الشرقي على شرقيته ، ولا مانع من الإفادة من علوم الغرب وحضارته دون أن نفقد مقومات شرقيتنا . وقد سبق ذكر رأيه هذا في الفصل الثاني من الباب الثاني بهذا الكتاب [1]



وهكذا تصدى عدد كبير من كبار الأدباء والعلماء في إيران لتلك الدعوة غير المسئولة التي كانت — إذا تحققت — ستصيب اللغة

---

١ — انظر ص : ١٦٦ وما بعدها .

الفارسية بالضمور الذي يؤدي إلى الاضمحلال والزوال بعد ذلك . وانتهى الأمر بأن انحسرت هذه الموجة ، وبقيت الكلمات الفارسية ذات الأصل العربي في المعجم الفارسي ؛وواصل الأدباء وكـذلك العامة استخدامها في أحاديثهم وإنتاجهم دون تفكير في أصولهـا القديمة . وطالما بقيت الفارسية لغـة حديث ، ولغة أدب . فستظل الكلمات العربية الأصل مستخدمة بين العامة والخاصة ، بينما انحسرت موجة استخدام الألفاظ الأوربية ، واقتصر ذلك على الألفاظ المتعلقة بالمخترعات الحديثة ، وكذلك المصطلحات الأوربية التي استخدمت بنفس المسمى في معظم اللغات الحية في العالم .



الفصل الثالث

الشعر النسائي

الفصل الثالث

الشعر النسائي[1]

تقديم :

يلاحظ أي دارس للأدب الفارسي عبر عصوره المختلفة ـ قبل العصر الحديث ـ خلو هذا العالم المتلاطم بالأفكار والأنماط الأدبية

---

١ ـ تحدثنا في نهاية الفصل الثالث من الباب الثاني عن مشاركة بعض الشاعرات في الدعوة لتحرير المرأة في ايران ، ولكن الى جانب اهتمامهن بهذه الدعوة ، فان الكثيرات من الشاعرات الايرانيات خلال النصف الاول من القرن العشرين قد نظمن في اغراض عدة،ولم يقصرن نظمهن على هذه الدعوة وحدها · ويكفي لبيان ذلك مراجعة كتاب واحد مكون من ثلاثة أجزاء ، وهو « زنان سخنور » ، تأليف علي اكبر مشير سليمي الذي اهتم بجمع أخبار كل من نظمن أو كتبن في القديم والحديث · فكتب عن كل شاعرة أو كاتبة نبذة عن تاريخ حياتها ، ثم أورد عدة شواهد من انتاجهن ، ويلاحظ أنه أورد في كتابه القيم هذا ، ذكر أكثر من مائتي سيدة وفتاة عشن في النصف الاول من القرن العشرين وقرضن الشعر ، وذكر ان دواوين بعضهن قد طبعت وتداولها القراء ، كما رحبت الصحف والمجلات بنشر مقتطفات من اشعار البعض كذلك · وبطبيعة الحال لسن جميعا على المستوى المرموق والآخاذ ، ولكن ما يهمنا هنا ان هذه الكثرة تمثل ظاهرة هامة في حد ذاتها ، هذا اذا تغاضينا عن المستوى المطلوب الى حد ما ، وأمام هذه الظاهرة الملفتة لنظر أي دارس للادب الفارسي الحديث ، آثرت أن أخص

المختلفة من شاعرة مجيدة ، أو أديبة فذة ، يفاخر بها الإيرانيون غيرهم كما يفاخرون ويعتزون بالأعلام من الرجال أمثال : الفردوسي ونظامي والمولوي والخيام والعطار وحافظ والغزالي وابن سينا والبيروني .... وغيرهم من كبار شعراء ومفكري إيران والعالم الإسلامي بل العالـــم كله .

من الحق القول بأنه وجدت شاعرات وأديبات في العصور السابقة أمثال : رابعة القزدارية (القرن الرابع الهجري) ، مهستي (القـــرن السادس الهجري) ، وپادشاه خاتون (القرن السابع الهجري) وقرة العين (القرن الحـــادي عشر الهجري) ... وغيرهن ، ولكن لم تبلغ إحداهن مبلغ أترابها من الرجال ، ولعل مرجع ذلك إلى أن المجتمع الإيراني كغيره من المجتمعات الشرقية كان مجتمع رجال بالدرجـــة الأولى ، وبالتالي لم تتح الفرصة للمرأة النابهة أن تفرض وجودهـــا وقوة بيانها في عالم ينظر إليها بازدراء وإقلال .

ولكن ما أن جاء العصر الحديث ، وبدأت المرأة تشارك الرجل في التمتع بثمار العلم ،والخروج إلى معترك الحياه العملية،حتى أخذت تشعر بذاتها وكيانها ، وأن من حقها أن تشارك الرجل كذلك في التعبير عما يجول بداخلها من عواطف وأحاسيس ، وأن تخرج هذه الأحاسيس في صورة قصيدة غزلية أو رباعية ، أو في قوالب أدبية أخرى كالقصة والمسرحية ، ورويداً رويداً بدأ الشعر النسائي يظهر بشكل ملحوظ إما

الشعر النسائي بهذا الفصل ، لعل بعض المهتمين بدراسة الادب الفارسي يولون هذه الظاهرة عناية اكبر ، ويخصونها بدراسة مفصلة تبين أسبابها وظواهرها الادبية ، وأثرها على الحياة الادبية الايرانية . ومـن الامـانـة الاعتراف بانني اعتمدت على كتاب « زنان سخنور » كثيرا في هذا الفصل لانني لم اتمكن من الحصول على دواوين هؤلاء الشاعرات،عدا ديوان الشاعرة بروين اعتصامي .

على صفحات الصحف والمجلات ، وإما في صورة دواوين كاملة سرعان ما تقبلها القراء من الرجال والنساء على حد سواء . مما شجع بعض الشاعرات على زيادة النظم وقرض الشعر . وإعادة طبع الدواوين المرة تلو المرة .

ويكفينا للتدليل على صحة هذا القول أن نضرب المثل بديوان الشاعرة المجيدة بروين اعتصامي المتوفاة عام ١٩٤١ م ، والتي خلفت لنا على الرغم من قصر عمرها – عاشت أربعة وثلاثين عاماً فقط – ديواناً شعرياً ، بلغ عدد أبياته ما يقرب من خمسة آلاف بيت ، وقد طبع أكثر من خمس مرات حتى الآن ، وبلغ مجموع نسخ الطبعات الخمس ثلاثة وخمسين ألف نسخة ، وهذا العدد جد كبير بالنسبة لحالة النشر والتوزيع في إيران وغيرها في دول الشرق كله ، وبهذا الخصوص قال العلامة الراحل سعيد نفيسي : لا يوجد بين المعاصرين من حظي إنتاجه بما حظي به ديوان بروين من اهتمام وحرص على الإقتناء من القراء والمهتمين بالأدب .[1]

وإذا كانت المرأة قد أصبحت شريكة للرجل في كل الحقوق والواجبات ، فإنهن كشاعرات قد شاركن الرجل في التعبير عما يجول في المجتمع من أفكار وآراء ، وما يدور في ذهن الكائن البشري من أحاسيس وخلجات ، ولهذا جاء شعر المرأة في العصر الحديث متعدد الأغراض ، متنوع الأنماط ، وإن أولت بعضهن عالم المرأة ، وعالم الأسرة عناية أكبر ، واهتماماً أعظم ، لارتباط هذه الموضوعات بنفسية المرأة أكثر من ارتباطها باهتمام الرجل وتفكيره .

---

١ – انظر : شاعرة ايران بروين اعتصامي ، للمؤلف ص ٥٩ ، ومقدمة الطبعة الخامسة من الديوان ، ص : د

وبطبيعة الحال ، لن نستطيع — في هذه الدراسة المقتضبة — تقديم نماذج لكل الأغراض الشعرية التي نظمت فيها المرأة ، ولكن سنكتفي بذكر أمثلة سريعة توضح كيف استطاعت المرأة أن تغزو ميدان الشعر وتثبت تفوقاً فيه ، وأنها لم تعد ملهمة للشعراء فقط ، بل أصبحت كذلك معبرة عما يجول بخاطرها من أفكار ، ومالكة لسحر البيان وقوة الخيال ...

★ ★ ★

المرأة والرجل :

من القضايا التي تشغل بال المرأة على الدوام نظرتها إلى الرجل ، ومدى نظرة الرجل إليها ، ولعل موقف الرجال من النساء عبر العصور القديمة ، قد ولد خوفاً لدى الشاعرة « ماهرخ » من الرجال ، ولذا نراها تدعو بنات جنسها لرفع شعارٍ جديدٍ للمرأة ، وليكن هذا الشعار هو « إيذاء الرجال » :

« شعار زنان »

کاش من هرگز نبینم روی افسونکار مردان
چشم پر کین قلب پر تزویر وآتشبار مردان
سخت بیزارم از این افرادِ دون همت خدایا
ریشه کن فرما زین نسل بد بدکار مردان
وای این بیچاره زن باشد اسیر دام آدم
رنج وحرمان بیند او از زشتی کردار مردان
کاش جنگی درگرفتن در میان مردان وزنها
لیك پیروزی زنان را بود در پیکار مردان

٥ ــ آيت لطف خدا زن كيْ تو اندر دام سازد
طبع بوقلمونى وارواح بد هنجار مــردان
چيست اينمرد؟ اينسرا پا پر ز مكر ورنگ كاخر
مات وگنگم كرد خبث طينت بيعار مردان
واى واى از خوى اين نابخردان پر تمنــا
پيرو اميال شهوانى بود افكــار مــردان
با همه غور وتامل بعد عمــرى گنجكاوى
بارالهــا سر نياوردم در از اسرار مــردان
بر حذر باشيد از نيرنگ مردان ، ماهرويان
بيش از اين بايد شعار خود كنيد: «آزار مردان»[1]

وترجمتها :

« شعار النساء »

ــ ليتني لم أر على الإطلاق وجوه هؤلاء الرجال المخاتلــين ، إن الرجال عيونهم مملوءة بالأحقاد ، وقلوبهم غاصة بالخداع .

ــ إلهي ! أسألك العون ، فكم أصابتني المحن من الرجــال السيــئي الخصال ! لتأمر باجتثاث جذور نسلهم السيء الطويــة القبيــح الفعال !

---

١ ــ زنان سخنور ، جـ ٢ ، ص : ١٤٥ . ولدت ماهرخ في بندر بهلوي، ثم رحلت مع أسرتها الى طهران حيث اكملت تعليمها هناك.بدأت ماهرخ تنظم الشعر وهي طالبة بالمدرسة الثانوية ، مما حدا ببعض اساتذتها الى تشجيعها وتنمية الموهبة عندها ، وقد نشرت مجموعة مــن اشعارها تحت عنوان : « دلهاي شكسته » اي قلوب محطمة ، ونشرت مجموعة أخرى تحت عنوان : « يادكار هاي دلي شوريده » أي « مذكرات قلب كسير » .

ـ واحسرتاه على هذه المرأة المسكينة التي تكون في إسار رجل ، إنها تعاني الآلام والمحن ؛ وهذه هي أفعال الرجال !

ـ ليت الحرب تشتعل بين الرجال والنساء ، ليكن النصر في هذا العراك للنساء على الرجال !

٥ ـ المرأة آية للطف الحق ، فكيف تزج بها أيها الرجل في الشباك والأسر؟ ولكن هكذا جُبِل الرجال على الخداع ، وطُبعت أرواحهم على الشرّ !

ـ ما حقيقة الرجل ؟ إنه بنيان ضخم من المكر والخداع ، لذا فقد أصابنا العناء والإهمال دائماً على أيدي هؤلاء الأنذال !

ـ الحذر الحذر من تصرف أولئك المفعمين بالأنانية والجهل ، فلا يجول بخواطرهم غير الهوى والشهوة !

ـ لقد بذلتُ عمراً مديداً في التقصي والبحث ، إلا أنني لم أستطع فهم حقيقة الرجال .

ـ فالحذر ، الحذر يا مليحات الوجوه من خداع الرجال ، بل ليكن شعاركن بعد كل هذا : « إيذاء الرجال » !

أرجو ألا تتحقق دعوة الشاعرة ، وتشتعل الحرب بين الرجال والنساء ، حيث الخسارة تعم الجميع ، وعلى كل حال فإن هذا موقف شخصي للشاعرة « ماهرخ » وحدها ، وليس موقفاً عاماً بالنسبة للمرأة الإيرانية ،فالمرأة والرجل جناحا طائر الحياة،ولن يحلق هذا الطائر بأحد جناحيه دون الآخر ، ولا يمكن للحياة أن تستقيم إلا بالتعاون

بين الرجال والنساء ، وقد أشارت الشاعرة پروين اعتصامي إلى هـــذه المشاركة في قولها :

وظيفهٔ زن ومرد ، اى حكيم ، دانى چيست
يكيست كشتى ، وآن ديگريست كشتيبان

چو ناخدا ست خردمند ، وكشتيش محكـــم
دگر چه باك از امواج وورطه وطوفـــان

بروز حادثـــه ، اندر يم حوادث دهـــر
اميد سعى وعملها ست هم ازين هم ازان

توان وتوشِ رهِ مـــرد چيست يارى زن
حطام وثروتِ زن چيست مهرِ فرزندان [1]

وترجمتها :

ـ أتعرف أيها الحكيم وظيفة الرجل والمرأة ؟ إن أحدهما سفينة والآخر هو الربان !

ـ إذا كان الربان عاقلاً وسفينته مُحكمة ، فأي خوف بعد ذلك مـــن الأمواج والأعاصير والطوفان ؟

ـ إذا ما تلاطمت أمواج الحوادث في بحر الحياة ، فإن أمـــل النجاة معقود بهذا وبتلك .

ـ ما ثروة الرجل وعظمته إلا امرأة « مخلصة » تعينه ، وما ثروة المرأة ومتاعها إلا محبة الأبناء !

---

١ ـ ديوان پروين اعتصامي ، ص : ١٨٨ .

إذا كانت ماهرخ قد طالبت برفع شعار « إيذاء الرجال » ، فلا شك أنها لم تجد مؤيدات لها في هذه الدعوة ، لأن الحياة لن تستقيم إذا تحقق هذا الشعار ، ولذا طالبت بروين اعتصامي بالتعاون بين الرجل والمرأة حتى تستقيم الحياة ، وتواصل البشرية مسيرتها نحو التقدم والازدهار .

وهناك من الشاعرات مَن رفضن دعوة « ماهرخ » رفضاً قاطعاً ، وطالبن المرأة بأن تحسن التعامل مع زوجها ، وتحرص على أن تكون كل تصرفاتها معه ، جديرة بأن تقربه منها ، وتدفعه للحفاظ عليها ، وقد عبرت عن هذه المعاني الشاعرة « مهيندخت دارائي » في قطعة عنوانها « انتقاد برفتار زنان » أي « انتقاد على تصرف النساء » ، ومما جاء فيها :

با زن كه سوء رسم ورفتار

نمايد بر سيه بختى گرفتار

بود در خانه ، تاهمصحبت شو

نشيند بى‌نشاط وتند واخمو

چو يك بيگانه از در باز آيد

سر شوخى ولطف وناز آيد

دهد زينت بروى وموى خود زود

كه بايد پيش مهمان پاكرو بود

٥ ــ لباس مندرس پوشد بمنزل

كه چركين ميشود بيننده را دل

نبیند تا بـــود در تـــوی خانـــه
رخش صابون وموپش روی شانه

چو پیش آید یکی مهمانی وسور
بیاراید خودش را شاد ومسرور

زهی آرایش بی ارزو مقـــــدار
که میباشد برای کوی وبازار [1]

. . . . .

وترجمتها :

ـ كلما اتسم تصرف المرأة بعدم اللياقة والقحة ، كلما تعثّر حظها ، وساءت حياتها .

ـ طالما كانت بالدار وحتى في محضر زوجها ، فإنها تجلس خاملـــة كسولة مقطبة جبينها .

ـ ولكن إن طرق بابهم ضيف ، سارعت بالتزين والتجمل في مظهرها وفي ثيابها

---

١ ـ زنان سخنور ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ ، والشاعرة « مهيندخت دارائي »، ولدت عام ١٩٢١ م ، والدها الامير خسرو دارائي الملقب ببرهان السلطنة . وقد ألف عدة كتب ، وصنف «أنوار سهيلي الترجمة الفارسية لكليلة ودمنة». أما عن مهيندخت فقد أجادت الفارسية والآذرية والعربية والفرنسية ، وقـــد نظمت قرابة ألف وخمسمائة بيت من الشعر ما بين غزل وترجيع بند ، وقـــد تضمن معظمها كتاب « رو باهنامه » الذي اصدره أخوها في الذكرى العاشرة لوفاتها ، فقد توفيت في الرابعة والعشرين من عمرها لمرض عضال ألم بها ، ولم تبرأ منه وكان ذلك عام ١٩٤٥ م .

– وعجلت بتصفيف شعرها ، وتجميل وجهها ، إذ يجب أن تبدو مزدانة أمام ضيفها .

٥ – كما أنها في الدار تلبس على الدوام المهمل والرث ، وهكذا تؤذي قلب كل من ينظر إليها .

– وما صافح الصابون وجهها ، وما داعب المشط شعرها .

– ولكن إن تذهب إلى وليمة أو عرس ، فإنها تتجمل ، وتبدو في أبهى زينتها .

– كما أنها تسرف في التزين والأصباغ كلما ، خرجت إلى السوق أو الشارع !

– : . . . .

إلى غير ذلك من الانتقادات التي توجهها إلى أترابها ، حتى تحاول كل واحدة منهن أن تستأثر بقلب زوجها ، ولا تنفره من المنزل والحياة الزوجية ، وإذا تركنا المستوى الفني جانباً ، فإننا نحكم على هذا الشعر دون تردد بأنه شعر نسائي ، فالحديث عن الملابس والزينة والتجميل حديث امرأة ، وليس حديث شاعر من الرجال !

★ ★ ★

المرأة والاسرة :

من المسلم به أن المرأة كأم وزوجة وابنة أكثر التصاقاً بالأسرة . وأحرص على استمرار الحياه الزوجية وسط جو من الإنسجام والإلفة ، ولهذا نجد الشعر النسائي يغص بالحديث عن العلاقة الأسرية ، وما يكتنف

هذه العلاقة من أمنيات حلوة أعزها أمنية تتويج هذه العلاقة بالإنجاب حتى تمارس المرأة تلك الوظيفة المحببة إلى قلبها ، وأعني بها وظيفة الأمومة ، وكذلك ما تحيط به أبناءها وبناتها من أمنيات تتمنى أن يظفروا بها ، وإلى جانب ذلك تنفر من المشاكل التي تُعرّض الكيان الأسري للاهتزاز أو الانفصال ...

... إلى غير ذلك من المعاني التي تغص بها دواوين الشعر النسائي ، والتي لا نجد لها من وجود يذكر في دواوين الشعراء من الرجال .

من الأمور التي تهتم بها المرأة ـ كما سبق أن قلنا ـ الإنجاب ، وما يصحبه من شعور نفسي بالسعادة والرضا ، ثم ما تقوم به الزوجة قبل الإنجاب من إعداد للمكان وتهيئته لاحتياجات المولود الجديد ، كل هذا تفعله وهي في قمة فرحتها على الرغم من متاعب الحمل ومشقته ، وقد أشارت الشاعرة بروين إلى فترة الحمل هذه والاستعداد للإنجاب بالحديث عن طائرين سعيدين انهمكا في بناء عش الزوجية ، وأحاطاه بالحب والألفة إلى أن ظهرت لهما عدة بيضات تعهدتها الأم بالرعاية والعناية ، حتى تحقق ما كانت الأم تصبو إليه ، وما كان الأب يتمناه :

این خانهٔ پاك ، پیش از این بود
آرامگه دو مرغ خرّمند
کرده به گِل آشیانه اندود
یکدل شده از دو عهد وپیوند
از گردش روزگار خشنود
آورده پدید بیضه‌ای چند

آن یك ، پدر هزار مقصود
وین مادر بس نهفته فرزند

بس رنج کشید وخورد تیمار

گاهی نگران بیام وروزن
بنشست برای پاسبانی

یك چند به لانه کرد مسکن
آموخت حدیث مهربانی

آنقدر پرش بریخت از تن
آنقدر نمود جانفشانی

تا راز نهفته پدیدار [1]

وترجمتها :

— كانت هذه الدار الطاهرة من قبل ، مخدعاً لطائرين سعيدين .

— انهمكا في بناء العش ، وتعاهدا على الوفاء .

— ووسط جو من السعادة والرضا ، ظهرت لهما بعد فترة عدة بيضات .

— ذلك ما كان يتمناه الأب دوماً ، ومنها سيكون الطفل الذي طالما انتظرته الأم .

فما أكثر ما بذلا من عناية ، وما أحاطا به الأمر من رعاية !

---

١ — ديوان پروين اعتصامي . ص : ٨٥ .

– كانت – الأم – تجلس منعمة النظر دائماً نحو السقف ونحو النافذة ، وقد تولت الحراسة .

– لقد لزمت العش ، وتعلمت فيه حديث العطف والمحبة .

– وبقدر ما تساقط من ريشها ، بقدر ما قدمت روحها نثاراً

وذلك حتى وضح السر الخفي !

وبعد أن تنجب الأم ، فإنها تتحمل كل المشاق في سبيل إعداد وليدها إعداداً جيداً ، وتنشئته تنشئة ناجحة ، وهي مستعدة لتحمل كل الآلام دون انتظار لشكر أو عرفان ، لأنها « امٌ أولاً وأخيراً » ؛ وقد قالت « ژاله فراهانى » :

خون دل ميخورم وميخندم
تا تو اى بچهٔ من غم نخورى
گر تو باتيشهٔ خودخواهى وجهل
ريشهٔ الفت ويارى ببرى
من نَوَرزم بجز از مهرِ تو زانك
مادرم من ، تو عزيزم پسرى (1)

---

1 – زنان سخنور ، ج ۱ ، ص : ٢٤٤ ، وزاله فراهاني من سكان منطقة فراهان ، واسمها الحقيقي عالمتاج قائمقامي ، وقد تخلصت باسم « زاله » وقد ولدت عام ١٨٨٣ م وغادرت الحياة بعد ثلاثة وستين عاما ، أي في عام ١٩٤٦ م . وهي والدة الكاتب المشهور حسين بزمان بختياري . وقد تزوجت وهي في سن الثامنة عشرة ، ولكن فارق زوجها الحياة ولها من العمر خمسة وعشرين عاما ، فعاشت لابنها بعد ذلك ، ولذا يغلب على ما وصلنا من أشعارها مسحة من الحزن ، والاكثار من الحديث عن شعورها تجاه ابنها ، ورثائها لزوجها الفقيد .

وترجمتها :

ـ كم أتحمل من هموم وأقابلها ببسمة ، وذلك حتى أجنبك يا صغيري كل غم وحزن .

ـ حتى ولو تجتث جذور الألفة والمحبة بفأس الأنانية والجهل ،

ـ فلن أقابل ذلك إلا بالعطف والمحبة ، إنني أمٌ ، وأنت ابني العزيز !!

أما إذا عدمت المرأة الزوج أو الولد ، فإنها تشعر بالكآبة والحسرة والحزن ، لعدم وجود الرفيق الذي يسير معها في درب الحياة الصعب ، وقد عبرت عن هذا الشعور بالوحدة الشاعرة ژاله فراهاني كذلك ؛ فقالت :

با آرزوى امروز ، ديروز من بسر رفت
با اين طمع سر آيد هم روز ديگر از من
بيخانمان شود مرغ گر ز قفس گريـزد
با اينهمه نباشـد ، بيخانمانـتر از مـن
نه شوهر ونه فرزند نه آشيان نه سامـان
بهر خدا چه خواهد ،چرخ ستمگر از من[1]

وترجمتها :

ـ لقد عشت اليوم بما كنت أحلم به بالأمس ، وما زلت أطمع بـأن أعيش بهذا الحلم في الغد ؛ علّه يتحقق !

---

١ ـ زنان سخنور ، جـ ١ ، ص : ٢٤٥ .

ـ أن يصبح الطائر وحيداً ، سرعان ما يهجر العش . ومع هذا فإنه ليس أكثر وحدة منيّ !

ـ لقد عدمت الزوج والابن والعش والمأوى . إلهي ! ماذا يريد الفلك الظالم مني ؟

ولا شك أن الحياة الزوجية المستقرة نعمة لا تدانيها نعمة في الدنيا ، أما إذا تحول الزواج إلى عراك وخصام فهو نقمة ولا ريب ، كما تزداد متاعب الزواج إذا أقدم الزوج على الجمع بين زوجتين دون مبرر قهري ؛ حيث لن تستريح أي زوجة منهما لوجود الأخرى ، وستنشب المعارك بينهما ، ويتحطم الهناء العائلي كله ؛ فقد قالت مهيندخت دارائي :

زنا شوئى صفاى زندگانيست
اساسش گر بعشق ومهربانيست
وگر از مهر والفت دور باشد
همانا وصله اى ناجور باشد
دو زن را مرد چون آرد بكابين
بخيزد از ميانه فتنه وكين
كسى را كِىْ بود ممكن بيكبار
بيكدل داشتن جاى دو دلدار
كجا گردد صفا وپاكى دل
ميان دو رقيب عشق حاصل
بويژه نوع زن را در محبت
رقابت ميشود ظاهر بشدت [1]

١ ـ المرجع السابق ج ٢ ، ص : ٣٠٩ .

وترجمتها :

ـ الزواج هو السعادة في الدنيا ، طالما كان عماده المحبة والمودة !

ـ ولكن إن يخلُ من التعاطف والألفة ، فإنه يصبح علاقة مضنية .

ـ وإن يكن في عصمة الرجل زوجتان ، فسرعان ما تثور بينهما الفتن والضغائن !

ـ وهل في مقدور الإنسان أن يسكن في قلبه محبوبتين في آن واحد ؟

ـ وكيف يتحقق الهدوء والصفاء ، ما دامت هناك حرب شعواء بين اثنتين في مضمار العشق ؟

ـ وبخاصة أن من طبيعة المرأة العراك الشديد والتحدي في مجال الهوى والشوق !

ومن الأمراض الإجتماعية التي اهتمت الشاعرات بالحديث عنها مرض « تفشي الطلاق » ، وما يجره على المجتمع والأفراد من كوارث ومآسٍ ، وأكثر من يكتوون بناره الأبناء ، لأن الابن في حاجة إلى أم وأب حتى يحدث التوازن النفسي لديه ، وينشأ منسجماً مع مجتمعه ، وإذا قدر وأحضر الأب زوجة جديدة بعد طلاق الزوجة الأولى ، أو حتى بعد موتها ، فسرعان ما تثور المشاكل بين الأبناء والزوجة الجديدة ، لأن عطاء زوجة الأب لا يمكن أن يصل إلى عطاء الأم . وقد أشارت الشاعرة بروين اعتصامي إلى أثر فقدان الأم على الأبناء ، حيث قالت على لسان فتاة تشكو الزمن الذي أفقدها أمها ، ثم تشكو من زوجة الأب المتسمة بالسوء والغلظة :

تیره بخت

دختری خرد، شکایت سر کرد
که مرا حادثه بی مادر کرد
دیگری آمد و در خانه نشست
صحبت از رسم وره دیگر کرد
یاره وطوق زر من بفروخت
خود گلوبند ز سیم وزر کرد
سوخت انگشت من از آتش وآب
او بانگشت خود انگشتر کرد

هر چه من خسته و کاهیده شدم
او جفا وستم افزونتر کرد
اشک خونین مرا دید وهمی
خنده‌ها با پسر ودختر کرد
نزد من دختر خود را بوسید
بوسه‌اش کارد وصد خنجر کرد
عیب من گفت همی نزد پدر
عیب جوئیش مرا مضطرد کرد
شب بجاروب ورفویم بگماشت
روزم آوارهٔ بام ودر کرد

پدر از درد من آگاه نشد
هر چه او گفت ز من، باور کرد
مادرم رفت، ومرا در یم دهر
چو یکی کشتی بی لنگر کرد

مادرم بال وپرم بـــود ، وشكســـت
مرغ ، پرواز ببال وپر كرد [1]

وترجمته :

بائسة !

ـ بدأت فتاة صغيرة بالشكاية قائلة : لقد أفقدتني الكارثة أمي !

ـ وجاءت بأخرى وأقعدتها بالدار ، فأوجدت معها عادات وتقاليـــد جديدة .

ـ باعت عقدي وطوقي الذهبيين ، وصنعت لنفسها قلادة من الذهب والفضة !

ـ وكم أحرقت أصابعي بين نار وماء ، بينما حرصت على أن تزين أصابعها بأكثر من خاتم !

٥ ـ كلما حل بي التعب والوهن ، ضاعفت من جفوتها وتعسفها .

ـ وكلما رأت دموعي غزيرة ، زادت من ضحكاتها مع ابنها وابنتها !

ـ كم قبّلت ابنتها على مقربة مني ، فكان لقبلتها وقع مائة خنجـــر على نفسي !

ـ دواماً تقص على أبي أخطائي ، وكم كانت تجهد نفسها بحثـــاً عن عيوب ترميني بها !

ـ إنها تكلفني بالكنس والرفو طوال الليل ، كما تجعلني شريدة السقف والباب طوال النهار .

---

١ ـ ديوان پروين اعتصامي ، ص : ١١١ ـ ١١٢ .

١٠ ـ أما أبي ، فلم يفطن لما أعانيه من آلام ، حيث كان يصدق كل ما تفتريه علي .

ـ هكذا رحلت أمي ، وتركتني كسفينة بلا تراس في خضم الدهر .

ـ لقد كانت أمي جناحي وقوادمي ، ولكن كل هذا تحطم ، وأنى للطائر أن يحلق بلا جناح وقوادم ؟



المرأة والوطن :

خرجت المرأة تشارك الرجل في تحمل المسئولية ، والعمل معاً لخدمة المجتمع ، وعلى هذا أصبح من واجب الشاعرة في العصر الحديث أن تولي مشاكل الوطن وآماله ، عظيم اهتمامها ، وألا تقصر حديثها على المنزل والأسرة ، وما يتصل بعالم النساء من اهتمامات ومهام . وإن كنا نلاحظ أن النقد الذي مارسته بعض الشاعرات لما يعوق الوطن من مشاكل وتصرفات ، كان نقداً غير مباشر في معظمه فالمرأة غير مستعدة لأن يلقى القبض عليها ، وتقضي أعواماً في السجن كما حدث مع ملك الشعراء بهار والشاعر فرخي اليزدي ، أو أن تكون عرضة للتصفية الجسدية ؛ كما حدث مع الشاعر مير زاده عشقي عندما وقف موقف المعارض من أطماع رضا شاه ، وعلى هذا جاء نقد شاعرات إيران لأحوال المجتمع رقيقاً وبعيداً عن التصريح...

ومن الشاعرات اللاتي أولت المجتمع اهتمامها ، الشاعرة « مريم الساوجي » ، فقد ترنمت بأغنية وطنية ، تحسرت فيها على ما أصاب الوطن من ذلة وهوان ، وتحسرت على ماض مشرق ولى ، وبكت أمام حاضر مرير أصبحت فيه إيران أسيرة الفساد والخراب :

ترانه میهنی

حالیا کز درد میهن شد سیه ایـــام مـــا
روزگاری همچو شام وپر ز آفت شام‌ما
شحنه، فارغ خفته ودزدان بکوی وبام ما
هم کجا شد تا به بیند واژ گون شد جام ما
ایدریغا شهرت ما ، ایدریغا نام ما

روزگاری طی شد وما ساکن میخانه‌ایم
پایهٔ ایمان خراب وهمدم پیمانه‌ایم
بر ســـر سودای عشق دلبر جانانـــه ایم
تا که همچو ماکیان با بست دام ودانه ایم
طایر اقبال کی مسکن کند بر بام ما

دل شود پر خون چو یاد ذلت ایران کنیم
سینه بشکافد چو فکر خانه ویران کنیم
کاش با خون جگر هم عهد وهم پیمان کنیم
تا که این ویرانه سامان را ز نو بنیان کنیم
ور نه با این جهل وغفلت چون شود فرجام ما

گر نه فقر ومسکنت زائیده‌ی اهمال ماست
گر نه عفریت طمع فرماندهٔ اعمال ماست

گرنه تلبیس وریا شالوده‌ی افعال ماست
ور نه ابلیس جهالت بر سر اغفال ما ست
چون شد آن آغاز نیك وچون شد این انجام ما[1]

وترجمته :

اغنية وطنية

— جلل السواد أيامنا ، لما ألم بالوطن من كوارث ووهن ،
وتحول نهارنا ليلاً ، ولكنه ليل مليء بالمحن .

— نام الحارس غافلاً ، فعاث اللصوص فساداً في ديارنا .
وهكذا أصبح الوضع في كل مكان ، حتى فرغت كؤوسنا !

واحسرتاه على ما كان لنا من شهرة وحسن سمعة !

— تمضي الأيام سراعاً ، ونحن قعيدو الحانات ،
وهكذا خرب إيماننـــا ونحن نعاقر (الكاسات) !

---

١ ـ زنان سخنور ، جـ ٣ ، ص ٢٩٧ ، والسيدة مريم الساوجي كانت تتخلص أحيانا باسم « صور » واحيانا باسم « مريم » ، ووالدها المرحوم اقا ميرزا كوجك الساوجي من الكتاب الواسعي الثقافة ، ومـــن رجـــال الدين البارزين ، وقد أشرف على اعداد ابنته وتربية ذوقها الفني ، وقد انهت دراسة الحقوق ، وأجادت اللغتين الفرنسية والعربية الى جانب الفارسية ، وقـــد كانت شاعرة ، وكذلك كاتبة مجيدة ، فقـد ألفت مؤلفات كثيرة فـــي مجال تخصصها واعنى به القانون ، كما كتبت قرابة عشرين قصة قصيرة في مجال النقد الاجتماعي · وقد ولدت مريم في مدينة طهران عام ١٩١٩ ، وقد نظمت أكثر من ألف وخمسمائة بيت ، تمسكت فيها بطريقة الاقدمين في النظم ، ولم تنظم شعرا حرا · انظر نفس المرجع جـ ٣ ، ص : ٢٨٣ ـ ٢٩٩ ·

– وتمر الأيام بنا ، ونحن صرعى العشق والهوى والحُب ،
وهكذا أصبحنا كفراخ أسيرة العُش والحَبّ .

فمتى يحط طائر التوفيق رحاله على ديارنا ؟

– كم تدمي قلوبنا ، كلما نتذكر ما تعيشه إيران من ذل ومسكنة !
وكم تتمزق الصدور ، كلما نفكر في ديارنا المدمرة المخربة !

– ليتنا أمام كل هذه الآلام والمحن نتفق ونقسم بأغلظ الإيمان
كي نعيد إلى ديارنا المحطمة ما كانت عليه من عمار وبنيان

وإلا فهذه نهايتنا ، نهاية النسيان والغفلة !

– إذا لم يكن الفقر والمسكنة وليدي إهمالنا ،
وإذا لم يكن عفريت الطمع مبعثه سوء تدبيرنا ،

– وإذا لم يكن الرياء والخداع محصلة أخطائنا ،
وإذ ا لم يكن إبليس الجهالة نتاج غفلتنا ،

فلمَ كان ماضينا زاهراً ؛ وحاضرنا معتماً ؟



وإذا كانت الشاعرة قد تحسرت على ماضي إيران الضائع ، فإن شاعرة أخرى هي « فخري خلعتبرى » قد طالبت الإيرانيين بألا يعيشوا أسرى التفكير في الماضي ، بل عليهم أن ينظروا إلى الحاضر والمستقبل ، وأن يعيدوا بناء الوطن على أسس صحيحة سليمة ، حتى يعود الوطن قوياً ، وتعود الحضارة الإيرانية مزدهرة ، ولن يتم ذلك إلا بالإصلاح الداخلي الشامل والقضاء على معوقي التقدم والازدهار ، وسفك دماء كل الخونة والمخربين والمتسلقين على أكتاف الشعب

والمرائين ، واعتبرت أن العنف مع هؤلاء الخونة ، هو خير طريق للإصلاح :

راه اصلاح

مُلك را ز خون خائن لاله‌گون باید نمود
جاری از هر سوی کشور جوی خون
حشمت وفرّ کیان گر بایدت چون کاوه پاك
کشور جم را از ضحاکان دون باید نمود
هر وکیلی را که شد با زور وبا زر انتخاب
از درون مجلس شوری برون باید نمود
هر بنائی را که شد با جور وبیداد استوار
محو باید کرد ویکسر سر نگون باید نمود
تا بکیْ نسوان اسیر جهل،ودر غفلت رجال
اکتساب دانش وعلم وفنون باید نمود
بر گذشته دسترس نبود مخور افسوس آن
فکر اصلاحات آینده کنون باید نمود
(فخریا) اصلاح این ویرانه را جز خون مدان
کار اصلاح از سیلاب خون باید نمود(١)

---

١ ـ زنان سخنور ، جـ ٢ ، ص : ٣٤ ، والشاعرة فخري خلعتبري ولدت عام ١٩٠٠ م ، وكان والداها يجيدان اللغات الفرنسية والعربية والتركية ، فتعلمت منهما فخري هذه اللغات وبعد انتهائها من التحصيل والتعليم ، التحقت موظفة بوزارة الثقافة والفنون ، ومن مؤلفاتها : ازدواج اجباري ، اوراق بريشان ، سركذشت يكزن ، دختر نادان ، بيمان شكسته ، كما ترجمت بعض الكتب عن اللغات الاجنبية التي كانت تجيدها ٠ كما نظمت حوالي أربعة آلاف بيت من الشعر ، وذلك على نمط الاقدمين ٠ (انظر نفس المرجع، ص : ٣٢ ـ ٢٨) ٠

وترجمته :

طريق الاصلاح

ــ يجب أن يُخضب تراب الوطن بدماء الخونة
وأن تجري دماؤهم أنهاراً في ربوع المملكة
ــ إن ترُم عظمة الكيانيين ومجدهم ، فتشبه بكاوه الطاهر
وخلص الوطن ممن يشبهون الضحاك في الظلم والتكبر [1] .
ــ وكل نائب تلاعب في الانتخابات بالقسر والرشوة
عليك بطرده خارج المجلس بكل عنوة
ــ وكل بناء أسس على الظلم والتعسف
يجب أن تقوض دعائمه وتزيله بكل عنف .

٥ ــ إلى متى تظل النساء أسيرات الجهل ، والرجال أسرى الغفلة ؟
على الجميع الكد والسعي لاكتساب العلوم والفنون والمعرفة
ــ لا يجب أن نأسى على ماضٍ ضاع وانقضى .
بل يجب التفكير في حاضر أنقى وأزهى .
ــ لا صلاحَ لهذا الخراب إلا بسفك الدماء يا «فخري» !
فلتجرِ الدماء أنهاراً كي يستقيم بعد ذلك مجرى الأمور !

★ ★ ★

وشاركت الشاعرة « بدرى تندري » المتخلصة « بفاني » بنات جنسها من الشاعرات الداعيات إلى الإصلاح ، ورأت أن هذا الإصلاح لا يستقيم إلا إذا شارك فيه جميع أبناء الشعب وبخاصة المسئولين منهم ، فالحاكم يجب أن يكون مسئولاً عن رعيته ، أميناً أمام الله والشعب ،

---

١ ــ كاوه حداد وبطل قومي لدى الايرانيين ، قاد ثورة شعبية للقضاء على الضحاك الحميري الذي استولى على ايران واشاع الدمار والخراب في ايران .

وأعضاء الحكومة يجب أن يكونوا من ذوي الخبرة الذين يعتمد عليهم في تصريف الأمور بدراية وحنكة ، والقاضي يجب أن يتسم بالعدل والإنصاف ، وألا يتخذ من منصبة القضاء مغنماً يحقق من ورائه كسباً غير مشروع عن طريق الرشوة والخداع :

اصلاح ملك

الا ای ملت ایران بیا وفکر فردا کن
برای خدمت میهن ز جان خود را . مهیا کن

ز جان ودل نما تبجیل وتکریم از وطنخواهان
خیانت پیشگان ملك را امروز رسوا کن

عبادت نیست جز خدمت بخلق ای‌زاهدخوشبین
در اینره پاگذار وبا خدای خویش سودا کن

شده پیچیده ودرهم مدار چرخ ملك جم
به استادی خود سر رشته از تدبیر پیدا کن

٥ ــ مشوتطمیع‌بیگانه، برونکن دشمن از خانة
وطن از لوث خائن پاکتر از دور کسیرا کن

بدست بخردان کاردان ده کار کشور را
ز فکر روشن دانشوران‌حل معما را کن

رجال باسیاست را نما مسئول کابینه
وکیل پارلمان را از وطنخواهان دانا کن

قضاوت را بدست قاضیان پاکدامن ده
وز اینرو خادم وخائن ز یکدیگر بجزا کن

غرض، مگذار كاين كشور فتد در دست بيگانه
مخواه از ديگران اصلاح ملك از خود تمنا
— بيا هان گوش كن اين گفته شيواى (فانبرا)
الا اى ملت ايران بيا وفكر فردا كن[1]

وترجمته :

اصلاح المملكة

— أيتها الأمة الإيرانية ، أفيقي ، وفكري في الغد ملياً ،
واستعدي لخدمة الوطن بروح صافية زكية ،
— أحسني تبجيل المخلصين للوطن ،
ثم ادمغي الخونة بالعار والهوان ،
— ليست العبادة إلا خدمة الخلق أيها الزاهد ،
فاسع في هذا الطريق أيضاً ، ففيه عبادة الله الواحد ،
— لا تتركي ملك جمشيد تتقاذفه أحداث الزمان وصروفه ،
بل اجتهدي في الإمساك بزمام الوطن ، وأحسني توجيهه ،
— لا تجعليه مطعماً للأجانب ، بل حرريه من أولئك الغاصبين ،
واجعليه أنقى من إيوان كسرى ، وطهريه من دنس الخائنين .
— ولتعهدي بأمور الوطن للعقلاء النجباء ،
ولتحلي مشاكله بالثاقب من فكر العلماء ،

---

١ — زنان سخنور ، جـ ٢ ص : ٢٧ ، ٢٨ ، وقد سبق التعريف بالصاعرة، انظر ص : ٢٠٧ .

– وليكن المسئولون عن الحكومة ذوي سياسة وحنكة
وليكن عضـــو المجلس ذا دراية وحكمة
– ولتعهدي بالقضاء إلى من يكونوا ذوي طهر وعفة
وبهذا يُفَـــرَّق بين خادم الوطن ومن أقدم على الخيانة .
– وفي النهاية ، لا تتركي الوطن فريسة للأجنبي
ولا تطلبي من الآخرين الإصلاح ، مكتفية أنت بالأماني .
١٠ – أيتها الأمة الإيرانية ، أفيقي ، وتنبهي لما تقوله « فاني »
وأحسني التفكير في المستقبل الزاهي .

من بين الذين دعت الشاعرة فاني لإصلاح حالهم ،وحسن اختيارهم أولئك الذين يتولون منصب القضاء ويجلسون على منصة العدالة ومسند الحق ، وذلك لأن مرض الرشوة وبخاصة بين كبار موظفي الدولـــة وبعض القضاة – كما ذكرت في التمهيد – كان قد تفشى ، مما أضاع الحقوق ، ولهذا نرى الشاعرة بروين اعتصامي تسخر من أولئك القضاة الذين تخلوا عن ضمائرهم مقابل عرض الدنيا الزائل ، في صورة شعرية طريفة حيث مرض أحد القضاة،ولم يقو على مواصلة الخداع والرياء، فكلف ابنه بالذهاب إلى المحكمة وممارسة القضاء مكانه ، عـــلى أن تكون الأحكام لمن يدفع الرشوة مهما كان مذنباً . فذهب ابنه وجاءه فلاح يشكو ظلماً وقع عليه ، فطالبه القاضي الصغير برشوة حـــتى يحكم له ، فأخبره الفلاح بأنه لا يملك ما يدفعه ، فثار الجدل بينهما وتطور ، حتى أقدم القاضي الصغير على سفك دم الفلاح لامتناعه عـــن دفع الرشوة ؛ ومما يلفت النظر أن پروين هروباً من المواجهة الصريحة مع القضاة ومن يساندونهم نجدها تذكر أن هذه القصة حدثت لأحـــد قضاة بغداد ، ولكن الواقع ، يقول بأنها تعني قضاة إيران،فما أكثر ما هاجمهم الشعراء من الرجال ؛ حتى لا يكاد يوجد ديوان شعري إلا وعرَّض بهم .

« نا آزموده »

مدتی ، قاضی ز کسب و کار مانــد
آن متاع زرق ، بی بازار مانــد
کســی نمی‌آورد دیگــر نامــه‌ای
بره‌ای ، قندی ، خروسی جامه‌ای

نیمه شب ، دیگر کسی بر در نبــود
صحبتی از بدره‌هــای زر نبــود
زر ، دگر ننهاد مرد کم فــروش
زیر مسند تا شود قاضی خمــوش

چون همی نیروش کم شد ، ضعف بیش
عاقبت روزی پسر را خواند پیش
گفت ، دکــان مرا ایــام بســت
دیگرم کاری نمیــآید ز دســت
تو بمسنــد بر نشین جــای پــدر
هر چه من بردم تو بعد از من ببر
خوش گذشت از صید خلق ، ایام من
ای پسر ، دامی بنه چون دام مــن
حق بر آنکس ده که میدانی غنی است
گر سراپا حق بود مفلس ، دنی است

گفت آری ، داوری نیکو کنم
خدمت هر کس بقــدر او کــنم
صبحگاهان رفت و در محضر نشســت
شامگه بر گشت خون آلوده دست

گفت : چون رفتم بمحضر صبحگاه
روستائی زاده‌ای آمده ز راه
کرد نفرین بر کسان کدخدای
که شبانگه ریختندم در سرای
خانه ام از جورشان ویرانه شد
کودك شش ساله‌ام دیوانه شد

روغنم بردند وخرمن سوختند
بره‌ام کُشتند وبز بفروختند
گر که این محضر برای داوری است
دید باید کاین چه ظلم وخود سری است
گفتم این فکر محال از سر بنه
داوری گر نیك خواهی زر بده
گفت : دیناری مرا در کار نیست
گفتمش : کمتر ز صد دینار نیست
من همی گفتم بده ، او گفت نی
او همی رفت ومنش رفتم ز پی

چون درشتی کرد بامن کُشتمش
قصه کوته گشت ، رو در هم مکش
چونکه زر میخواستی وزر نداشت
گفته‌های او اثر دیگر نداشت (۱)

---

۱ ـ دیوان پروین اعتصامی ، ص : ۲۴۶ ـ ۲۴۸ .

وترجمته :

« عديم التجربة »

ـ أصاب البوار تجارة المكر طوال المدة الّتي قعد فيها القاضي بعيداً عن الكسب والعمل .

ـ فلم يحضر أي شخص رسالة تحمل خمراً ، سكراً ، ديكاً أو رداءً .

ـ كما لم يتواجد على بابه أحد في منتصف الليل ، حتّى يحضر له بدرة من ذهب .

ـ ولم يضع أي تاجر غشاش ، ذهباً تحت مسند القاضي طلباً للصمت .

٥ ـ وعندما اشتد به المرض ، وخارت قواه ، استدعى ابنه للمثول أمامه .

ـ وقال له : هكذا أغلقت الأيام متجري ، ولم تعد لي قدرة على إنجاز أي أمر .

ـ اجلس مكان أبيك ، واحمل من بعدي كل مهمامي ومكسبي .

ـ لقد انقضت أيام سعيدة صدت فيها الكثيرين من الخلق ، فانشر شباكك يا بني ، كما نشرتها أنا من قبل !

ـ أعط الحق لمن تعرفه غنياً ، حتّى ولو كان الحق مع الفقير المعدم !

١٠ ـ قال (الابن) : سوف أسوس العدالة جيداً ، كما سأخدم كل إنسان حسب قدرته .

ـ مرت ساعات الصباح وهو جالس بالمجلس ، وفي المساء عاد مخضبة يداه بالدم !

ـ قال : حينما ذهبت إلى المجلس في الصبـــاح ، أقبـــل إليّ مزارع يافع .

ـ جاء يشكو أعوان السلطان ، إذ اعتدوا عليه مساء بالقصر .

ـ وقال : لقد أصاب الخراب داري من جورهم ، كما أصابوا طفلي الصغير بالجنون من حمقهم .

ـ سرقوا دُهني ، وأحرقوا حصادي ، قتلوا حملي ، وأحرقـــوا ماعزي .

ـ فلو كان هذا مجلس عدالة بحق ، فلا بد من التحقيق في مثل هـــذا الظلم وذلك التعسف !

ـ قلت : تخل عن هذا التفكير المحال ، فإن ترغب في الإنصـــاف ، فلتدفع ذهباً .

ـ قال : إنني لا أتقاضى ديناراً واحداً عن عملي ، فقلت : لا أقل من مائة دينار !

ـ هكذا قلت : ادفع ! وقال : لا . هكذا رحل ، ومضيـــت أنـــا أعدو خلفه .

ـ وحين أغلظ القول سفكت دمه ، وبهذا انتهت القصة ، فـــلا تقطب الجبين هكذا ، يا أبتِ !

ـ لقد طلبتَ الذهب ، وهو لا يملكه ، لذا لم يكن لحديثه من نتيجة غير هذه !



وهكذا شاركت شاعرات إيران رجالها في الدعوة إلى إصلاح المجتمع ، والعمل على تجنب ما يسيء إلى الأمة ، ويقف حجر عثرة في طريق تقدمها وازدهارها ، ولكنها — كما قلت من قبل — دعوة بعيدة عن العنف والثورة التي تعرض صاحبها للمؤاخذة والاعتقال والتشريد،وما إلى ذلك من صنوف المعاناة التي لا تقوى عليها المرأة . المهم أن المرأة الإيرانية خرجت إلى الحياة والمجتمع ، فأرادت أن تعبر عن مسئوليتها كذلك تجاه ما يدور ويحدث في هذا المجتمع ، وأنها كأم وأخت وزوجة وابنة عليها أن تُنبِّه وتُصلح وتقوِّم وتنقد حتى يسير ركب الحضارة إلى الأمام والازدهار ...

★ ★ ★

ليست هذه كل الأغراض التي حفل بها الشعر النسائي الفارسي خلال النصف الأول من القرن العشرين ، بل إنها نماذج فقط لما نظمنه من أفكار وآراء،وإن كنت قد ركزت على ذكر أشعار تتعلق بحياة النساء، وبصلتهن بالأسرة كزوجة وأم وبنت إلى جانب كونها مواطنة تتفاعل مع أحداث الوطن تفاعلاً إيجابياً . فمما لا شك أن شاعرات إيران قد نظمن كذلك أشعاراً تقليدية على غرار ما نظمه كبار شعراء الفارسية في عصورها المختلفة ، فقد حاولت بروين اعتصامي نظم العديد من القصائد على غرار قصائد الأنوري ، ونظمت الشاعرة شمس الضحى (المولودة في ١٩٠٠ م) غزليات على غرار غزليات سعدى [١] ...

كما أقبلت بعض الشاعرات ممن يُجدن اللغات الأوربية على ترجمة بعض الأعمال الأدبية الفرنسية أو الإنجليزية نظماً ، فقد حاولت الكثيرات منهن ترجمة بعض حكايات لافونتين ، كما ترجمت

---

١ — زنان سخنور ، جـ ١ ص : ٢٨٨ — ٣٠٢ .

الشاعرة فخري خلعتبرى بعض القطع الشعرية الإنجليزية والفرنسية إلى اللغة الفارسية[1] ، وفعلت مثلها العديدات ممن نظمن شعراً فارسياً إبان النصف الأول من القرن العشرين ... إلى غير ذلك من المجالات التي نظمن فيهاو عبرن عن آرائهن من خلالها ...

وإذا كنانعترف بأن بعض ما نظمنه لم يرق إلى مستوىما نظمه كبار الشعراء في إيران ، فإننا نعترف أيضاً بأن بعض هؤلاء الشاعرات قد وقفن شامخات الرءوس أمام هؤلاء الشعراء ، ويكفي أن ندلل على صدق ذلك بأن الشاعرة بروين اعتصامي قد اعترف لها الجميع بالسبق على الكثيرين من أترابها الشعراء ، وحظي ديوانها باهتمام يفوق الاهتمام بأي ديوان آخر ، فقد طبع ديوانها خمس مرات بينما طبع ديوان ملك الشعراء بهار مرتين فقط ، وطبع ديوان ايرج ميرزا مرتين كذلك . كما حظيت أشعار فروغ فرخ زاد التي عاشت خلال هذا القرن ــ النصف الثاني منه ــ شهرة فاقت ما حظيت به أشعار غيرها من الشعراء ، وسيكون للحديث عن شعرها مجاله ؛ وذلك عندما نعالج الشعر المعاصر في كتابنا المقبل .

ونهاية الأمر يمكن القول بأن إفساح الصحف والمجلات المجال أمام الفتيات والنساء لنشر أشعارهن ، وكذلك إقبال بعضهن على طبع ما ينظمنه ، يمثل ظاهرة تستحق الاهتمام والدراسة والتحليل لنعرف أسبابها ونتائجها على الأدب الفارسي في العصر الحديث . وإنني لأرجو أن يتصدى الدارسون لهذه الظاهرة الجديدة والجديرة بالرعاية . حتى يقدموا خدمة كبيرة للأدب الفارسي الحديث ، ولتاريخ الحركة النسائية الإيرانية خلال القرن العشرين .

---

١ ــ المرجع السابق ، جـ ٢ ص

كلمة لها بقية !

هذه بعض القضايا التي اهتم الشعراء الإيرانيون خلال النصف الأول من القرن العشرين بالحديث عنها ، وتضمينها آراءهم في الحياة والمجتمع ، وإلى جانبها قضايا أخرى عديدة لم يتسع الكتاب لمناقشتها والحديث عنها من خلال الصور الشعرية التي نظمها الشعراء للتعبير عما يختلج في قلوبهم من أحاسيس ومشاعر تجاه قضايا العصر والوطن ، وإنني أرجو أن أتمكن — أو يتمكن غيري — في المستقبل القريب من الحديث عن قضايا أخرى من قضايا الشعر الفارسي الحديث ، حتى يجد القارىء العربي الفرصة للاطلاع على مزيد من النماذج الشعرية التي يمكن من خلالها فهم الظروف البيئية والسياسية التي يعيشها شعب شقيق يشاركنا آلامنا وآمالنا ، ويتعاطف معنا كما نتعاطف معه في كل ما يدور بعالمنا الشرقي والإسلامي من قضايا وأحداث !

ولكن هناك قضية أدبية كبرى بدأت تبرز إلى المقدمة في السنوات الأخيرة من النصف الأول من القرن العشرين وهي قضية « الشعر الحر » ، وقد تزعم هذا الإتجاه التجديدي الشاعر نيما يوشيج ، ولكنني آثرت أن أترك الحديث عن هذه القضية ، لأنها وإن كانت قد بدأت في النصف الأول من القرن العشرين ، إلا أنها لم تمض نحو النضج والاكتمال إلا في النصف الثاني منه ، ولهذا ستكون قضية الشعر الحر هي المحور الأساسي الذي ستدور حوله أبواب الكتاب التالي عن الشعر الفارسي المعاصر ، وأرجو يكون لقاؤنا معه قريباً ! .

المراجع

من المراجع الشرقية

١ — إبراهيم فخرائي : در جنبش مشروطيت ، طهران ١٣٥٣ ش

٢ — أحمد كسروي تبريزي : تاريخ مشروطهٔ إيران ، چاپ دهم ، طهران ١٣٥٣ ش

٣ — أديب پيشاوري : الديوان ، تقديم على عبد الرسولي

٤ — استعلامي (محمد) بر رسى أدبيات امروز ، تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهي

٥ — الول ساتن : رضا شاه كبير ، يا ايران نو ، ترجمة عبد العظيم صبوري ، طهران ١٣٤٤ ش

٦ — اندري أوبي : فينوس وأدونيس « مسرحية فرنسية » ترجمة وتقديم محمود صابر (ضمن سلسلة روائع المسرحيات العالمية) القاهرة ١٩٦٧ م .

٧ — ايرج ميرزا : الديوان ، چاپ سوم ، باهتمام وتقديم محمد جعفر محجوب ، طهران ١٣٥٣ ش .

٨ – بديع جمعة : شاعرة ايران بروين اعتصامي ، صوت المرأة الشرقية في العصر الحديث . القاهرة ١٩٧٧ .

٩ – بهار (ملك الشعراء محمد تقي) : الديوان ج ١ ١٣٤٤ ش ، ح٢ ١٣٤٥ س ، تقديم محمد ملك زاده .

١٠ – بهار (ملك الشعراء محمد تقي) : تاريخ احزاب سياسي يا انقراض قاجاريه ، طهران ١٣٢٣ ش .

١١ – بينا (علي أكبر) : تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران ، طهران ١٣٣٢ ش .

١٢ – پروين اعتصامي : الديوان ، چاب پنجم طهران ١٩٦٢ ، باهتمام أبي الفتح اعتصامي ، وتقديم ملك الشعراء بهار .

١٣ – تقي زاده : لزوم حفظ فارسى فصيح . يادگار سال چهارم اسفند ١٣٢٦ ش .

١٤ – خلخالى (سيد عبد الحميد) : تذكرهٔ شعراى معاصر ايران ح ٢٢١ طهران ١٣٤٤ ش .

١٥ – دهخدا : لغت نامه

١٦ – سايكس (سير برسى) تاريخ إيران ج ٢ ، ترجمة محمد فخر داعي گيلاني ، طهران ١٣٣٣ ش .

١٧ – سعيد نفيسى : تاريخ شهريارى شاهنشاه رضا پهلوي ، طهران ١٣٤٤ ش .

١٨ ــ سليمى (علي أكبر) زنان سخنور ج ١ ، ٢ ، ٣ چاپ دوم (١٣٣٥ ش)

١٩ ــ شوقي عبد الحكيم : أساطير وفولكلور العالـــم العربي ، القاهرة ١٩٧٤ م .

٢٠ ــ صادق هدايت : البومة العمياء ، الترجمة العربية : ابراهيم شتا ، القاهرة ١٩٧٦

٢١ ــ صفا (ذبيح الله): تاريخ أدبيات إيران ج٢ طهران١٣٤٧ ش

٢٢ ــ صفا (ذبيح الله) : گنج سخن ج ٣ تهران ١٣٤٠ ش .

٢٣ ــ عارف القزويني : كليات ديوان ، چـــاپ سوم ، تهران ١٣٣٧ ش

٢٤ ــ عشقي (ميرزاده) : الديوان : نشر على أكبر سليمى، طهران ١٣١٢ ش

٢٥ ــ فرخي اليزدي : الديوان ، تقديم حسين مكي ، طهـــران ١٣٤١ ش

٢٦ ــ القزويني (محمد ن عبد الوهاب) بيست مقالة ج ١

٢٧ ــ كيا (زهراي خانلري) : فرهنگٓ ادبيات فارسي درى ، طهران ١٣٤٨ ش

٢٨ ــ محمد اسحق : سخنوران ايران در عصر حاضر دهـــلي ١٣٥٥ هـ . ق

٢٩ ـ محمد رضا پهلوي : مأموريت براي وطنم ؛ طهران ١٣٥٠ ش .

٣٠ ـ مهدي ملكزاده: تاريخ انقلاب مشروطيت ايران طهران ١٣٢٩ ش .

٣١ ـ نصرت الله حكيم إلهي : عصر پهلوي وتحولات ايران، طهران ١٣٤٦ ش .

٣٢ ـ ياسمي (رشيد) : آدبيات معاصر ، طهران ١٣١٦ ش

٣٣ ـ يحيى آرين پور : از صبا تانيما ج ١، ٢ طهران ١٣٥١ ش

٣٤ ـ يحيى نوري : حقوق زن در اسلام وجهان، چاپ سوم ايران ١٣٤٧ ش .

من المراجع الاجنبية

Bertels, Otcherk : Ostari Persidoskey Littraturi, Lenıngerad 1928

Brown, I. G. : A Literay history of Persia. Vol. IV. 3rd ed Combridge 1930 .

Brown I. G : The Persian Revolution 1905 - 1909, 2nd ed. London, 1966 .

Brown. I. G. : Press and Poetry of Modern Persia, London 1914

الفهرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة